

رَصْدٌ

لَسْبًا حَرًّا لِفِكْرٍ

الجزء الأول

تأليف

عبد العزيز بن محمد آل الشيخ المحفّظ

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رد لسياحة الفكر

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ

(ح) عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله

رمح لسياحة الفكر. / عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر..

الرياض، ١٤٢٧هـ.

٤٤٠ ص، ١٦ × ٢٢,٥ سم

ردمك : ٨ - ٧١٦ - ٥٦ - ٩٩٦٠

١ - الأدب العربي - السعودية - العصر الحديث أ - العنوان

١٤٢٧/٥٨٨٥

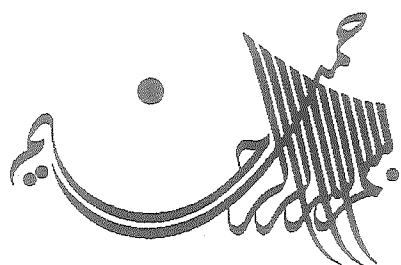
ديوي ٩٥٣١، ٨١٠

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٥٨٨٥

ردمك : ٨ - ٧١٦ - ٥٦ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



المقدمة

أجنحة الفكر حرة في الانطلاق، لا يعوقها عائق، ولا يقف في طريقها حاجز. تجوب الآفاق كما يحلو لها، وتمسح الرياض كما يعجبها، في الأفلاك هي تأخذ من ازدهار النجوم، وصفاء الأجواء، ورقة النسيم البكر، وفي سياحتها بين الرياض تتمتع بالأزهار وتختار الورود، وتستظل بالدوح، وتقطف الثمار وإنتاجها خير سلة، إنه الكتاب، أنبل وسيلة ثقافة وأشرف أداة علم، منه يأتي الخير، وفيه توجد المنفعة، عن طريقه يتقدم المجتمع، وعلى يده يأتي النمو والتطور. وأشرف قمة بين الكتب هو كتاب الله العزيز، قرآنا الكريم، ثم كتب السنة، ثم ينداح الخير بالكتب النافعة المختلفة.

تحاول وسائل ثقافة حديثة جدّت على الفكر، ولكنها لا تزال تلهث، وهي مجدة في السير جاهدة أن تلحق بالكتاب الذي يسير بأناة وتؤدة، ولا يلتفت إلى من يحاول مزاحمته؛ لأن وجود الجديد من نبع القديم، وبقاءه من معينه، وتطوره مبني على أسس الكتاب، ونموّه بعون منه، والكتاب يتطور ويتحسن في مظهره ومخبره وجاذبيته وفي قبوله، فالكتاب قمة شائخة، لا تزعزعها الرياح ولا تحركها العواصف.

سياحتي في رياض الكتب جاءت من منبعين، المنبع الأول كتب مدت المطابع يدها ووضعتها على رفوف مكتبات البيع، أو ركبت جناح هدية تكرم بها مؤلفها، فاستوجبت جاذبيتها أن تعطى أولوية في القراءة والتعمق، والرغبة في إشراك

بقية القراء في الزبدة التي خرجت بها، فأشعت ما
توصلت إليه في مجلة أو على صفحة جريدة،
والمربع الثاني كتب اطلعت عليها من قبل من
أحسن الظن بي، فطلب مني أن أكتب مقدمة لها،
فكتبت ما لا يعدو أن يكون فهرساً يكشف
للقارئ خطة السير التي رأيت أن الكاتب تبناها،
والأسلوب الذي اختار، هذه السياحات أُعِدُّها
بُنياتٍ لي، أليس أنهن ينسبن إليّ، ولم أرض لهن
الشتات، هذه في مقدمة كتاب، وتلك في المجلة
الفلانية، وثالثة في صحيفة سيارة، ولهن حق أن
أجمعهن في قصر واحد، يلم شملهن، وينظم
عقدهن، تتماسك أيديهن، يصل إليهن الخاطب
بسهولة، ويجدهن القاصد للفائدة منتظرات،
لإعطاء ما فيهن من فائدة - إن وجدت - أو

دالات عليها في مظانها من مناطق السياحة
اللاتي زرناها معا.

ولست أول من عطف على بنيات فكره،
فأنقذها من التشتت، وجمعهن في كتاب، فقد
سبقني كثيرون في القرن الماضي، ولا يزال غيرهم
اليوم يفعل مثلما فعلوا، وهذا باب مُحمد فُتُح،
وسیظل مفتوحاً، وستظل الدعوة إلى سلوكه
عالية الصوت، محمودة النعمة.

كل مقالة من هذه المقالات تتحدث عن
نفسها، وتبين طبيعتها، والسبيل الذي سلكته
معه، والجادة التي سارت عليها، وطولها
وقصرها اقتضاه المقام، ولن يعدم القارئ أن
يعرف ما أوجب الطول أو القصر. وهي كما
سيرى القارئ متنوعة الموضوع، تتشابه في شيء،

وتختلف في شيء.

أرجو أن يجد كتابي هذا قارئين يستفيدون منه
الفائدة التي رجوتها عندما جمعت فيه ما جمعت،
وأن يقبل الترتيب الذي اتخذته، وأن يكون سبباً
في أن يعود من يقرأه إلى الكتب التي اعتمد
عليها، والتي هي أصله.

والله الموفق ،،،



مع كتاب «صفحات من حياتي»^(١)

أهداني معالي الأخ الأستاذ منصور بن محمد الخريجي، نائب رئيس المراسم الملكية، كتابه: «صفحات من حياتي»، وقد وصف فيه - فعلاً - حياته، وما مر به منذ أن بدأ يعي أمور الحياة؛ وقد مر بهذا بفترة هي جزء من التراث، والحديث في التراث، أو عن التراث؛ بالنسبة لي، له جاذبية، وأي جاذبية، وأسعد سعادة جُلّي عندما أرى كتاباً جديداً عنه؛ فرائحة المادة تنعشني، وتدخل السرور على نفسي، ويزيد هذا الشعور كلما لمس الأمر حياة آبائنا الأقربين؛ وزمنهم كان مختلفاً عن

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة يوم الأحد ٢٧/١٢/١٤١٧هـ الموافق

١٩٩٧/٥/٤م بالعدد: ٨٩٨٤.

زمننا، وزمننا بما قفز من قفزة حضارية مادية جاء
مختلفاً عن زمنهم، كل الاختلاف، حتى إن ابن
اليوم ليدersh عندما يسمع عن بعض ما كانت
حياتهم عليه، إذا ما قارنها بحياته، ويكاد لا
يصدق ما يسمع.

وقد لاحظت في الآونة الأخيرة الإقبال على
كتابة ما يرسم صوراً واضحة، وشاملة، عن
الماضي القريب، وهي ظاهرة تحمد، وتستحق
التشجيع، ومن حسن الحظ أن لها قبولاً، ولمن
ساهم فيها إعزاز وتقدير، لما تكمله من معلومات
عن حياة الناس سابقاً، فيملاً بذلك خانة، إن لم
يسارع بملئها، ضاعت مع مرور الزمن، وذهاب
أهلها.

وفي قراءة كتاب: «صفحات من حياتي» متعة

متناهية، وقراءته تشد القارئ، حتى أني عندما بدأت به، أوقفت قراءة ما بيدي من كتب، وتفرغت لقراءته، وإكماله، والمتعة فيه تأتي من بعض العناصر فيه، وهي كثيرة، ومتشعبة، وأقتصر على بعضها، وألخصه فيما يلي:

أولاً: طريقة سرد الحوادث، وتتابعها، والمقدرة على التشويق بالحادثة الأولى للثانية، ثم إلى ما يليها، وهكذا، فهي سلسلة واحدة؛ وهذه الطريقة تدل على التمكن من زمام الكتابة، وتضمن عدم ظهور الأمر برتابة مملة، وهو ما يحاذر الكاتب عادة الوقوع فيه، فالكاتب بما يقرأ يود المتعة والفائدة، ولا تكون إلا بمثل هذا الأسلوب المشوّق.

ثانياً: الأسلوب، وفيه من السلاسة ما يجعل

القارئ لا يشعر بأي نتوء يأتي من كلمات غريبة، أو ألفاظ مقتسرة، أو جمل غامضة، والترابط بين الجمل يدل على ضلعة في الكتابة، ووعي ما يريح القارئ، ويجذبه، ومعالي الأستاذ منصور له كتابات سابقة، دلت على أنه صاحب أسلوب متميز في القصص التي سبق أن كتبها، وهو شاذ، يستطيع القراءة والكتابة.

ثالثاً: الصور المدهشة، التي سوف يجدها القارئ الناشئ، والمعلومات المعجبة، التي سوف يفاجأ بها، ومع مقارنة ما جاء فيها بما في زمنه سيرى بدائية تلك، وما فيها من فقر مدقع، وعوز متناه، وما فيها من مشاق في طلب العيش، والكدح المتواصل، لتأمين لقمة العيش؛ عوز في الأكل، وفي الشرب، وفي السكن، وفي الملابس،

وفي الأدوية، واتقاء البرد، ومكابدة الحر.

رابعاً: السجل المليء بما يعطي فكرة عن مرحلة مهمة من مراحل سير حياتنا في المملكة العربية السعودية، وفي ما جاورها من بلدان عربية، لجأ إليها مواطنون، أملاً في تحسين أمور حياتهم المعيشية، فلم تغن عنهم كثيراً، وبقيت المعاناة، أو خفت قليلاً، مما لا يشفي الغليل، أو يبرر الغربة وأساها.

خامساً: الصور التي رسمها للحرمان تستجلب الدمع الذي لا يقاوم، ومثلها الحنو والعطف الأسري من القادر؛ ومن قرأ خبر عطف عمه عليه وعلى العائلة، عندما علم عن حالهم، وهم في سوريا، وهو في المدينة المنورة، ومجيء اليسر منه بعد عسر، تترقق الدمعة في

عينيه؛ لقد مثل بهذا الموقف البناء الاجتماعي،
والتعاطف الأسري، الذي زعزع شدة الغربة،
وقضى على أسباب المعاناة، وهي صورة من صور
متكررة في هذه البلدة الطيبة، والمجتمع الخير.

سادساً: الوصف المبدع للرحلة البريئة التي
قام بها معاليه مع عائلته، وتعرضهم لخطر الموت
عطشاً، وهي صورة متكررة في السنين الماضية، لم
يبق منها ومن أمثالها إلا الذكرى، وإن القارئ
ليدهش من قوة ذاكرة معاليه، فقد جاء بأدق
التفاصيل عن هذه الرحلة المرعبة؛ وعند قراءتها
يشعر القارئ وكأنه يعيش حوادثها، يتمتع بما
تمتع به أولئك السَّفر، ويعاني ما عانوه، من عناء
ورعب.

سابعاً: وصفه لما بعد مرحلة الطفولة، وما كان

فيها من إضاءة أو ظلمة؛ والمرحلة الثانية هي مرحلة الدراسة المنتظمة المضمونة، وفيها يريق العلم الخلاب، والراحة ليست فقط في الجسد والذهن، وإنما في الروح والنفس؛ وقد أجاد معاليه في وصف هذه المرحلة، وشعوره نحوها، وقد أعطى فكرة عن بعض جوانب الدراسة، نعرفها جيداً، ومررنا بها، ولكن لم يكتب، حديثاً، عنها، إلا ما كتبه، وأجاد فيه، الأستاذ عبدالله بن حمد القرعاوي، تباعاً في المجلة العربية؛ ولهذا يعتبر معالي الأستاذ منصور مجيداً في هذا التفصيل الذي سطره، ويصبح به مقدماً على السهل الممتنع، سهل لأنه باشره هذه المباشرة، وممتنع على من أحجموا عن ذلك أو من تأخروا فيه، وأرجؤوه إلى وقت لاحق.

ثامناً: وصفه للدراسة الجامعية، وما فوقها، وهي دراسة تمت في الخارج، وسجل عنها ما مر به من تسهيلات وصعوبات، وكأنه يصف حالة كل طالب سعودي مر بهذا الطريق، وسلك هذا المسلك، سواءً كانت دراسته في بلد عربي، أو في بلد غربي؛ وسيجد كثيرون من قرائها أنهم يقرؤون في هذه الفقرة حياتهم الدراسية، وستذكرهم هذه الذكريات بما قد يكون بهت في أذهانهم؛ وهي مجال للمقارنة بين فترة مضت وفترة لحقت، وستُري مدى التقدم التعليمي في المملكة في السنوات الأخيرة.

تاسعاً: وتأتي مرحلة العمل، واعتماد المرء على نفسه في تأمين معيشته، وإيجاد مفحص له في مجتمعه، يبين به مدى مواظنته، وحرصه على

المساهمة في صالح بلده، وقد رسم معاليه صوراً
برّاقة لهذه المرحلة، وما مر به فيها، وكيف كان
الأمر حينئذ في تلقي الخريجين، والحرص عليهم،
والتنافس عليهم، والظفر بهم، لقلّتهم، وشدة
الحاجة إليهم؛ وأرى الحيرة في ذهن المتخرج في
تقرير مصيره باختيار العمل المجزي، المفيد،
الموصل.

عاشراً: كان معاليه يتكلم دون تكلف، ودون
تصنع، وبانطلاق تام، ولهذا فلم يحجم عن ذكر
بعض المزالق التي تعرض لها، والمواقف التي
قابلها، و«المطبات» التي «أكلها»، وليس هناك
من يسلم من مثل تلك الأمور، ولكن الشجاع
هو من يُقرّ بها، ولقد أثبت معاليه أنه شجاع،
بصراحته المتناهية، عن مواطن الضعف، التي

رسمها بريشة الفنان، الذي جعلها تبدو جذابة،
ومعجبة.

وبعد:

فالكتاب هدية قيمة لرف التراث في المكتبة
السعودية، وأرجو أن تشجع هذه التجربة معاليه،
على إخراج مخزون الذكريات عنده بالتفصيل
الذي نتصوره، بعد أن رأينا نماذج منه، ولعلنا
نرى ذلك قريباً إن شاء الله، وفقه الله.

عبدالعزیز الہویطر

٢٢ / ١٢ / ١٤١٧ هـ

مع ديوان «أنوار»

لنورة العبدالله الشبيلي^(١)

اللغة هي الجسر الذي تعبر عليه الأفكار من قائل إلى سامع، وهي الوعاء الذي يحمل المعاني، فيوصلها إلى المستقر، الذي أريد لها أن تستقر فيه؛ وصاحب الفكر، وحامل المعنى، يختار مركبة اللغة التي يتقنها، والتي يعتقد أنها تؤدي ما يحول بذهنه خير أداء، لأن اللغة التي يتقنها، واللهجة التي يجيدها، هي القادرة على أداء ما في نفسه أداءً صحيحاً، وتعبر عنه تعبيراً دقيقاً، وتنقله نقلاً صادقاً، فإذا كان العرب، قد ابتعدوا بعض

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة: يوم السبت ٥/٣/١٤١٧هـ الموافق:

٢٠/٦/١٩٩٦م العدد ٨٦٩٦.

الشيء عن لغتهم العربية الفصحى، واختاروا
العامية؛ لأنهم يتقنونها، ويجيدون التحدث بها،
فالشعر منهم أولى أن يأتي باللغة العامية، إذا ما
طفح الصدر بالشعور الفياض، وطغى سيله،
وعلا زبده، فلا ينفسه إلا جملة متقنة، وصور
صادقة، وأسلوب سلس يعبر عن الحقيقة
والخيال، ويعكس بصدق ما في النفس.

لهذا ازدهر الشعر العامي في الجزيرة العربية،
وغيرها من البلدان العربية، وأصبح ديوان هذا
الشعر حاملاً لعواطف الناس، ومختلف
شعورهم، وأضحى سجلهم الحاوي لتاريخهم،
والحافظ لحوادث زمنهم، ومتقلب أحوالهم؛ ولم
يعد لأحد منهم غنى عنه إلا لمن تشرب بنمير
اللغة العربية الفصحى، وصار أقدر على ركوب

قطارها، لما خزنه من محفوظ الشعر الفصيح،
نتيجة الثقافة العميقة، والعلم الواسع.

وقد بدأ الشعر العامي يختفي؛ لأن اللغة
العربية الفصحى بدأت تسترد موقعها تدريجاً؛
وصار الشعر الهزيل من العامي اليوم أكثر من
السمين، والرخيص زاحم الثمين، ولهذا عندما
يسطع نور شعر عامي جديد تلتفت الأنظار إلى
هذا الإشعاع المتسلل بهدوء وسط ظلمة من
القصائد العامية المتدنية، التي ساعد على رواجها
عوامل عديدة مختلفة، من بينها عاطفة قديمة تجاه
الشعر العامي، لها صداها، والتعلق بها، مع أمل
في أن النهاية سوف ترفع من هذا الشعر المتدني،
بعد المران، وطول التجربة، ولكن الواقع ينفي
أي بوادر لصدق هذا الظن، وصحة هذا التوقع.

أقول هذا بمناسبة إشعاع وهاج سطع فجأة
من ديوان صدر حديثاً، جاء من بين قلائل من
الدواوين العامة المضيئة، وقد شدني إلى قراءته،
فلم أتركه بعد أن بدأت حتى أكملته؛ ووجدت
أن للشاعرة ديناً وفاؤه في التنويه عنه، والتعريف
به؛ وأنا لا أعرف الشاعرة، ولم أسمع من قبل
بشعرها، والتقصير قد يكون مني، فقد يكون لها
مشاركة بشعرها في الصحف، ولكني أعرف
عائلتها الكريمة جيداً، وهي من خير العائلات.

وشعرها يستحق الوقفة، والتمعن، لكشف
بعض الزوايا الممتعة في أبياتها، مما تتميز به،
وتنفرد، وسوف استعرض بجولة خاطفة، بعض
ما أوجب وقفتي المتأنية قليلاً أمام بعض القصائد
أو الأبيات لإعطاء أمثلة ما شدني.

وفقت الشاعرة لاختيار اسم الديوان «أنوار» ؛
لأنه يحوي أنواراً فعلاً، ففيه أنوار تشع ولأء
ووطنيةً، وفيه أنوار عائلية ساطعة: حب ابنة
لأمها، وزوجة لزوجها، وأم لأولادها؛ وفيه أنوار
لإيمان قوي، وعقيدة صافية.

فهذه نماذج للضيء الذي برر في نظري تسمية
الديوان «أنوار» ، أما مصدر الشاعرة فمختلف،
فهي تقول إن المواقف والظروف التي مرت بها،
أو شاهدها في غيرها، سلطت «أنواراً» على حنايا
القلب، وخفاياه، فجسدت الأحاسيس،
وداعبت بأشعتها الدافئة منابع الحب في قلبها
ووجدانها، فاهتز الوجدان، وفاض بمشاعر
الاعتزاز بالوطن، ومشاعر الحب والشوق
والعتاب:

«بعض الظروف اللي تمر بحياتي
تهز وجداني وتشعل به أنوار
تكشف خفايا القلب تكشف سماتي
وتفيض أحاسيس من أعماقي أشعار»
(ص: ٥، ٣٣)

والإهداء الذي سكبته الشاعرة لجُين صب في
راحتي والدتها، وسوف تظفر الدمعة من العين
عندما تستنشق هذا العبق من الحنان، والعبير من
البر، وسوف يملأ روحك رضى بفيض معناه
الغامر:

«إلى بيتي الأول، وحيي الأول
إلى من تحت أقدامها الجنة
إلى أمي

أجمل زهور الروض
وأغلى ما في الوجود
يا أغلى الغوالي، يا عطر ورد يفوح
حبك حياة، وتاج يزها به الراس
«أنت لنا نبع وبسمات وفروح
وفيّ تذذع فيه هبات نسناس»
أليست الشاعرة تتكلم باسمنا جميعاً تجاه
أمهاتنا؟ ألا يتمنى الكثير منا، ممن لا يقولون
الشعر أن يكونوا قالوه في أمهاتهم، ولأمهاتهم.
والديوان قسم بعد هذا إلى أقسام، واحتوى
على واحد وثمانين صفحة، وفيه ما يزيد على ستين
عنواناً، وأول قسم جاء عن القصائد الوطنية،
واستهلهت الشاعرة بقصيدة ترحيب بخادم

الحرمين الشريفين، حملت تحيتها، وعاطفة فياضة،
تدل على عمق الولاء، وبالع تقدير، بأسلوب
جزل، وعبارة سلسة، وقافية مناسبة، لا تكلف
فيما قالت، ولا افتعال بما أبدت، لتمكن الشاعرة
من ملكة الشعر، وقدرتها على انتزاع معانيها من
بيئتها، المحيطة بها، فالصحراء مصدر من مصادر
أداة الرسم عندها، بنبتها وزهرها تقول في هذا:

«من جيتك نبت الوطا خزام وزهور

وفاح العبير بنجدنا من سعدنا»

وتتبع هذه القصيدة قصيدة ثانية بمناسبة
خروج خادم الحرمين الشريفين من المستشفى،
فيها نبض قلب، ورقة عاطفة، ونبع حنان، تقول
في مطلعها:

«سَمّت عليك قلوبنا واستمدت

من حبها لك يا ملكنا تباشير»

جملة «سَمّت عليك» تقوم مقام قصيدة كاملة،
تستولي على الإنسان، ويقف أمامها معجباً،
يتملى روح هذه الكلمة الأخاذة؛ لأن نبع القلب
فيها ودود، دفؤه انساب إلى لسان ذرب فصيح.

والقصيدة الثانية عن صاحب السمو الملكي
ولي العهد ونائب رئيس الوزراء ورئيس الحرس
الوطني، سبكها سلس، وأسلوبها منساب،
ومعانيها قوية، وقوافيها طبيعية؛ وتماثل في نبضها
وقوتها وموسيقاها سابقاتها، واستهلاها كان
موفقاً، وهل أجمل من البدء بالدعاء حين تقول
الشاعرة:

«يا الله عسى كل النوايب تعداه

الي سما بالفعل، والطيب حاشه»

(ص: ١٣)

وفي الصور في هذه القصيدة، وفي الألفاظ،
تغلب على الشاعرة بيئتها، وما فيها من طبيعة،
فتأخذ منها معانيها، وتختار أجمل ما في هذه البيئة،
وهو المطر، وهي مثل جميع أبناء الجزيرة متعلقة
بالمطر، وما يأتي منه، فتختتم قصيدتها بيت
تستعير فيه المطر لمعنى من معانيها، وهي تعلم
تأثير الاستعارة في المحسنات البديعية، ولهذا جاء
تعبيرها قوياً لما أرادته من إبراز سجايا سموه التي
عددتها، والصورة البيانية التي اقتنصتها في ذلك
هي تأكيد الأكثر بما هو أقل، فالرشاش أضعف
إلى المطر، وهو جزء منه، وهذا تعبير لا يفكر فيه

إلا متمكن من قياد القول:

«ما والله أحصي بالقصايد مزاياه

جمايله كثر المطر مع رشاشه»

(ص: ١٣)

وفي وسط القصيدة بيت تقول فيه:

«عبدالله اللّي بالمواجيب تلقاه

يسكن المظلوم في وسط جاشه»

(ص: ١٣)

في هذا البيت رسمت صورة ملموسة

محسوسة جمعت كل ما يمكن أن تدل على

المواجيب في الشطر الأول، ثم اختارت واحدة

من أهمها في الشطر الثاني، وهي الاستجابة لنداء

المظلوم، والمقدرة على إنصافه بسرعة وإتقان:

«يسكن المظلوم في وسط جاشه»

وعن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن
عبدالعزیز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء،
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام تبدأ
قصيدة مطلعها:

«سلام يا شيخ شجاع ومهيو ب

ليث بهامات المعالي مقامه»

(ص: ١٥)

تبدأ هذه القصيدة بالسلام، وكأنها في حلبة
إنشاد، محافظة بذلك على النمط الأصيل لهذا
الفن، ولا تقفل البيت دون أن تبدأ بذكر مزاياه،
وستواليها في أبياتها اللاحقة؛ وأسلوبها البياني
يلاحقها منذ البيت الأول فالمعالي في صورة إنسان
له هامة، والليث بشجاعته متربع على هذه الهامة،

صور مزدحمة بعضها فوق بعض، ولكن دون
ارتباك أو ثقل، ترسم الصورة المطلوبة في ذهن
السامع دون جهد.

وتفتح نافذة على بعض الزوايا في صفات
سموه فتقول:

«بطبع الكرم والجود مولاي موهوب
سلطان، سلطان الوفا والكرامة»

(ص: ١٥)

أما وقد بدأتها هذا البدء المتعارف عليه بين
الشعراء الأصليين، فقد انتهت بمثل ما بدأت به
القصيدة من الأصالة:

«له التحية عدا ما خط مكتوب

وما غردت فوق الغصون اليامة»

(ص: ١٥)

ثم توجه تحيتها في قصيدة متماسكة الأجزاء،
مناسبة الكلمات، متصلة المعاني، تسير رخاءً
بأسلوبها المشرق إلى صاحب السمو الملكي الأمير
نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية، وتعدد فيها
مزاياءه في توطيد الأمن، والأخذ على يد العابثين،
وترسم رسوماً بديعة، لما في ذهنها من معانٍ
وأفكار وصور، وقد افتحت قصيدتها هذه
بالبيت الآتي:

«أهدي سلامي والتحية لنايف

شيخ حكيم نال كل الفرايد»

(ص: ١٧)

وشيوخ هذه لها معناها عند العارفين بأصول
الشعر العامي، ويذهب صداها بعيداً في أذهانهم،
وهي تحلي جيد القصيدة التي تُبتدأ بها، وتوشي

حاشيتها في أي موقع جاءت فيه.

والشاعرة تؤكد دور سموه في عمله فتقول:

«يا ويل من ينوي الردى والنكاف

من رادع الطاغين وأهل المكايـد»

وتختتم قصيدتها بالدعاء، وهو من خير ما يبدأ

به ويختتم فتقول:

«احفظ لنا يا خالق الكون نايف

سيد على الأسياد بالطيب زايد»

(ص: ١٧)

وتبدأ قصيدة عن صاحب السمو الملكي

الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض،

فتسبك بعض ما تعرفه عن سموه من خلق

وصفات، في أبيات مشعة، وتصف ما تحقق على

يديه من إنجاز في هذه المنطقة، وتستهل قصيدتها
بالبيت الآتي:

«درع الرياض الله بفضلہ يزيده
عز وسعادة مع حياة هنية»

(ص: ١٩)

وتأتي على بعض ما جاء على يده من إصلاح
فتقول:

«ولا بو فهد تشهد مواقف مجيده
شواهد تبقى مدى الدهر حيه»

(ص: ١٩)

وكعادتها تختم القصيدة الوطنية بالدعاء لمن
يستحق الدعاء فتقول:

«يا الله عسى عمره سنين مديده
ويديم عزك بالرياض الأبيّه»

(ص: ١٩)

ومن القصائد التي تخاطب فيها وطنها
القصيدة التي مطلعها:

«يا غالي عزك علا بالعلالي
من عيشتي بك، زاهي بك خفوقي»

(ص: ٢٢)

وتسمق الوطنية عندها وتعلو حين تقول:
«غيرك من الأوطان ما قد حلالي

في غربتي بان الغلاك وشوقي»

(ص: ٢٢)

وفي قصيدة «حياتنا» (ص: ٢٣) تقول:

«حياتنا من فضل ربي تساهيل

وقلوبنا بيض بها الطيب مشهور»

وتسوق في هذه القصيدة صوراً متتابعة للحياة في المملكة: أمطارها، وزراعتها، والعاملين فيها، والبسمة التي تعلقو شفاه الناس بسعادتهم وهنائهم، ولمحة عن المملكة، وتكوينها، وإشارة إلى تاريخها، وإلى أهلها.

في هذه القصيدة جمعت صوراً ومعاني يعجز عن وفائها مقال ضاف؛ وساعدها على هذه الإضاءات ارتقاء الشعر عندها، وبراعتها في التعبير، مع عدم تكلف، وسلاسة وسيولة.

وفي قصيدة «يا رب» تدعي لابنها دعاء ينتظر أن يأتي بهذه الحرارة من أم لابنها؛ ولكن ما كل أم تستطيع أن تصوغ مثل هذه الدرر من الدعاء،

وترفع بها كفها إلى ربها في أن لا يحوج ابنها إلا
إليه، وأن يحفظه من حسد الحسود، وخداع
المضللين؛ ثم تصور فرحتها به، إذ هو نور قلبها،
ولا غرو، وبهجة عينها، ولا عجب، وهو زينة
دنياها إذا قرب، ومثار حزنها إذا بعد.

وفي قصيدة «امبارك» تهني ابنتها على زواجها،
ومن جملة ما قالت:

«تبارك الله شعشت منك الأنوار

أشرق سنا نورك على كل موجود»

(ص: ٢٩)

الدعاء على لسانها دائماً، تصوغه بعبارات
تتفنن فيها، والدعاء درة واسطة في عقود شعرها،
يُنثر هنا وهناك، في أول القصيدة، ووسطها، وفي
نهايتها:

«يحفظكم الله من تصاريف الأقدار

جعل الهنا دوم وفرحتكم تزود»

(ص: ٢٩)

ويأتي قسم الوجدانيات، وتستهلها بقصيدة
عنوانها «أنوار»، وفي هذه القصيدة من التلميح ما
يغني عن التصريح، وفيها وصف لفيض من
العواطف الجياشة، والشعور المختزن، وفيها
رسائل مجنحة، مرسلة من قلب نابض، إلى من
يدري ما وراء الكلمات.

وبدء القصيدة مستهل حي للنفثة الصدرية،
التي تصور قلقاً عند من تصفهم الشاعرة، وهم
من أشارت إليهم في مقدمتها عندما قالت إنها في
شعرها تصف أحياناً مواقف تمر بغيرها، لا بها،
ولكن هذه المواقف تثيرها، فتساب شعراً على

لسانها:

«بعض الظروف اللي تمر بحياتي

تهز وجداني وتشعل به أنوار»

(ص: ٣٣)

تكشف خفايا القلب، وتكشف صفات
أصحابه، بأحاسيس فاضت من القلب الخافق،
اتمن عليها دفتر الأشعار، وأرسلت مع حمام
زاجل لا يرى ولكن يُحس.

وتبرز البيئة مرة أخرى، لتفرض نفسها على
التعبير عن الازدهار والخصب ونضارة المحتوى،
وتختتم بذلك القصيدة:

«واقبل علي، لقياك يجمع شتاتي

ويزرع صحاري دنيتي عشب وازهار»

(ص: ٣٣)

وتطل البيئة والزرع والمطر، وكلها رموز
للحياة، مرة أخرى في القصيدة التي عنوانها
«هتان» ، فيأتي البدء هكذا:

«زرعت في قلبي من الحب آهات
وهتان عطفك بالموده سقاها»

(ص: ٣١)

ويتم جمال البيت في تنالي الاستعارات، مما
أوجد صوراً محسوسة، تراها العين مادة ملموسة
أمامها، ولا أقوى من نطق المادة الملموسة،
المستعارة عن طريق البيان ومحسناته، ولا أعلى
صوتاً، ولا أشد تأثيراً.

ثم تأتي قمة الأبيات في فكرة مظهرها
التناقض، وهي في الحقيقة فلسفة عميقة، تشمخ
في معناها إلى ما يجعلها تدخل حيز الأمثال:

«وإن كان قلبك ما ذكر كل ما فات

عزي لروح موتها من رجاها»

(ص: ٣٤)

حتى الكلمات الدارجة تلبسها ثوباً قشياً،
وحُلّة براقّة، وثياباً سندسية، تقف الرّجل عندها
حائرة، والنفس مستمتعة؛ فأنت تستوقف
شخصاً لتسأله عن الطريق، سؤالا ساذجاً، أو
لتسأله عن الساعة، أو لتوقف تدفق سيل حديثه،
فتقول «لو تكرمت لحظة»، كلمة تخلو من روح
الشعر، ولكنها في بيت الشاعرة امتلأت
بالشاعرية، واحتلت مركزاً، في الذوق، مفاجئاً لم
يكن متوقعاً، ورفعت من شأن هذه العبارة،
وانتشلتها من الحضيض، ورفعتها إلى القمة،
وأخرجتها من ركن منزو إلى مكان فسيح.

إن من قرأ هذا البيت سوف لا يُسقط بعد
اليوم هذه الجملة، أو ينزلها عن مستواها، حتى لو
جاءت في كلام عابر، فصداها هنا سوف يرن. ما
الذي قلب الوضع لهذه الجملة، ورفع من معتاد
مفهومها؛ إنها العفوية، وعدم التكلف، واختيار
الحضن الدافئ لها في البيت والسلاسة الطبعية
التي لم يسبقها تحير أو تزويق، ففي العنوان:
«عهود» تبدأ القصيدة:

«لو تكرمت لحظة، تسمع اللي باقوله

كلمة من محب، ذاب شوق وحنان»

(ص: ٣٥)

«لو تكرمت لحظة»، نورها أخفى بقية البيت،

رغم ما فيه من كلمات الوجدان: «محب» و«ذاب»
و«شوق» و«حنان».

وإذا كانت القصيدة بدأت بقمة، فقد
استمرت في القمة، إلى أن خُتِمت بقمة، تقافزت
فيها الألفاظ مع المعاني، في رقصة وجدانية
منتظمة، هادئة مشعة؛ فيها نفث عاطفة،
اصطخب موجهها، فأغرق قلباً في بحرهِ:
«موج حبك جذبني مع أمانِي خجولة
وقلبي اليي يحبك غارق من زمان»

(ص: ٣٥)

وفي قصيدة «يا سعود»، و«اعتذار» و«الشك
مرفوع» و«خاطره» و«موج البحر» خواطر
جياشة، ومعانٍ فواحة، وعواطف تعلو مع أمواج
من الشعور، وتهبط معها، شرحها وتحديد
معانيها يفسدها، لأنها معانٍ فيها من الإشعاع ما
تعجز الكلمات الثرية عن تحديدها، ولا يعبر

عنها إلا نبل الشعر وتحليقه.

ويعلو موج الشعور، وتختبط عواصف محيطه
في العناوين الآتية:

«موج البحر» و«هلا» و«إنسه»، القارئ فيها
يتنقل من معنى دافئ، إلى برد قارس، ومن لمسة
حانية إلى رجفة ألم، ومن بسملة ثغر، إلى دمعة
عين؛ وعواطف مستقرة تثور، وثائرة تستقر.

وفي عنوان سمّته «خمسة عشر» بدأ الجيشان
يهداً، ولكن الألم يفرض نفسه، ويطل على
استحياء من نافذة منزوية، فرغم ذكر السعادة،
والسعادة معروف ما هي، تأتي يحملها غيمها،
والغيم ليس من أخذان السعادة

«وشفت غيم السعادة في سماي انتشر»

(ص: ٤٤)

وهنا لابد من وقفة نذكر فيها بأن الشاعرة
تبنى شعور أناس، حالتهم حركت وجدانها،
ولكنها تختار من الضمائر ما يوحى وكأن الحالة
حالتها؛ وليس منها في الحقيقة إلا الاندماج
الشعري العميق الشعور؛ واندفاعها يأتي من أنها
سعيدة في حياتها، في زواجها، وفي أمومتها، وفي
عائلتها، وهي خير من يستطيع المقارنة بين هذه
السعادة، وما يعانيه الآخرون.

وفي «ليت» تأتي قصة حياة، وبوح ألم، وزفرة
حرى، يُقبل القلب، ويُقبل، ولكنه إقبال
استسلام، أجبره عليه تاريخ مشرق مضيء، يشفع
للخلل الذي حدث، إلا أن وخز الألم يعود،
فتهدئه عاطفة تعجز عن أن تكون إلا طاغية، وما
تفتأ إلا أن تجتر الماضي، فيغلب ضوؤه على ظلام

الحاضر.

وعنوان «خاطره» يذكر بأن الشاعرة أم، فهي
تناجي قلبها مناجاة طفلها، تبثه شكاتها، وتطلعه
على ما خفي من شعورها، وتخبره بقرارها.
ثم تطل «في شهامة» مظاهر فرح، وعلامات
بهجة؛ ويرقص قلب، وتهداً نفس، وتحلو ذكرى،
وتسمو صفات، وتختتم الأبيات الأربعة بهذا
البيت المعبر:

«عمر مضى لي قبل شوفك حسوفه

معك يتسامى كل ود خبرته»

(ص: ٤٧)

وتستمر قصائد الوجدانيات في جيشانها، ولا
أذكر أني قرأت قصائد وجدانية، تالت بهذا

العدد، وبهذه القوة، وبهذه الصور الصادقة،
وبهذه السلاسة، وبساطة البوح، ورقة الشعور،
والجدل العاطفي المقنع، وكل واحدة من القصائد
التي تلت هي قصة متكاملة، تشير إلى أمور
يستطيع معرفة كنهها من تمنع فيها، فالشاعرة لم
تصرح تصریحاً يجعل محتواها مبتذلاً، بل وثقت
بأن القارئ سوف يرسم الصورة التي أرادت أن
ترسم؛ ونجاحها في هذا أنها لم تقل الشعر ليقراً،
ولكنها قالت له لأنه شعور تراكم داخلها، وانساب
على لسانها بإملاء من قلب «خفوق»، «خفاق»،
و«خافق» يبدو أنه تحمل الكثير في هذه الحياة، وما
أكثر ما تتحمل القلوب، ولكن هناك من يخفف
حملة لأنه وجد متنفساً مجزياً في الشعر، أما من لم
يجد فقد قتله الوجد، وقضى على قلبه الحمل

الثقيل.

ومن أراد أن يعرف مدى قوة الشاعرة في شعرها، وتمكنها من هذه الملكة الرفيعة، فلينظر إليها في قصيدة: «لا تحاول» حيث أقدمت على قافية صعبة لا يستطيع خوض بحرها إلا شاعر متمكن، وقد دخلت غبتها، وخرجت منها مرفوعة الرأس.

وكل قصيدة في هذا الباب لها قدرها وقيمتها في كلماتها، وفي صورها، وفي خيالها، وفي سبكها، وفي انسياب معانيها، وفي العواطف الدافئة، أو المتأججة فيها، كل واحدة قائمة بذاتها، وكل قصيدة صورة واضحة لما يعتلج في نفس الشاعرة، استطاعت أن تعدد القصائد في طرح أمر واحد، دون أن تتراكم الصور، أو تختلط، أو

تشابك، أو تأتي بالملل؛ كل قصيدة، رغم توافق
الصور وتمائلها، توحى لك أنها جديدة، والسبب
هو أن النفثة تأتي طبيعية، لا تكلف فيها، ولا
تزويق، لا تجد مغالاة، ولا تجد تصنعاً، تحس ما
تحس به الشاعرة، وكأنك ترى التعاون عندها بين
القلب واللسان، هذا يصيب الشعور، وهذا يهيم
له القلب الذي لا ينفع لغيره.

إلى أن تصل إلى عنوان «يا صاحبي»، ونحن
في شعور منفرد، يحكي عما يجيش بصفة محددة،
أما في «يا صاحبي» فتأتي إلى استقرار ذهني،
يتطور من الشعور الشخصي، ليضع القواعد،
ويرسم المبادئ:

«البعد لاهب، ويتواقد بالأضلاع»

(ص: ٦٢)

أمر ينطبق على كل أحد، هو أقرب للمثل أو
الحكمة، ومثله الشرط الآتي، وبه ختام الأبيات:
«إن ضاع حب القلب كل العمر ضاع»
(ص: ٦٢)

وتبرز المقدرة على التحكم في قياد الكلمات،
وحسن تطويعها للمعاني، وهو أمر لا يقدر عليه
إلا من عانى في هذا المجال، واستطاع تطويع
اللغة لما يريد، وكلمتا «قسا» و«نسا» أدتا دوراً
كبيراً في المعنى والأسلوب، نتيجة تجانس
الكلمتين بهذه الصورة اليبانية:
«كل ما خلي قسا قلبي نسا»

(ص: ٦٤)

لو انفصل هذا الشرط عن شرطه الثاني لأصبح

مثلاً قائماً بذاته، صادقاً في مدلوله، مضيئاً في معناه، راقصاً في أسلوبه؛ والقصيدة متعددة الصور النابضة: صورة بحر حيرة، فيه مركب يدير دفة شراعه هوى الحب، لا هواء الرياح؛ الصور والألفاظ عجيبة لدنة في يد الشاعرة تضعها في قالب الذي تختاره، وتخرجها بالقالب الذي يحلو لها.

والعبارات التي تأتي في صورة أمثال، تدل على نضج لغوي ومعنوي، وهي قاعدة سارت عليها الشاعرة، تنهي بها معاناة شخصية، وكأنها تعطي ملخصاً لحالتها، وحالة كل من هو على شاكلتها، وهذا واضح في ختام أبياتها التي بعنوان: «خبرك عتيق» حينما تقول:

«وبامشي لراعي الطيب لو مامشى لي»

(ص: ٦٥)

ولها ولع بصور البحر والأمواج، والصحاري،
ونبتها وزهرها، وهي هنا تستفيد من كلمة
أمواج.

وإذا كان لابد للقارئ من تتبع نور شمعة
يغطي نورها على غيرها في كل قصيدة، ففي
الأبيات التي عنوانها «مشاعري» بيت رقى زلفا
عليها في حسن التعبير، وصدق المعنى، خاصة
الشرط الثاني منه:

«كان الهوى لك في عروقي ودمي

وقلبي حنون والعواطف سخي»

(ص: ٦٩)

وبيت آخر فيه بساطة لها من الجاذبية ما يجعل
القارئ يقف، ويتمتع بهذه الصورة المتخيلة
للأفراح، وهي تنادي الشاعرة فتستجيب بكلمة،
سحر الشعر لبسها، فجاءت مضيئة، بثوبها
البهيج:

«نادتني أفراح الزمن، قلت سمي»

(ص: ٦٩)

«قلت سمي» فيها كل سحر الاستجابة،
وتجبر على سرعة الالتفات، وفيها المبادرة
الكريمة، والنظرة المقدرة، والطاعة المخلصة،
والعاطفة السخية، والرعاية الحانية؛ خرجت هذه
الجملة من ثوبها القديم المتذل، وانسلخت من
جلدها المعتاد، ولبست حلة زاهية، مظهرها
لامع، ومخبرها قوي النسيج.

والأبيات التي عنوانها «مستخير» أبيات راقصة في وزنها وقافيتها، يود القارئ أن الأبيات لم تنته بنهاية الصفحة، وأنها استمرت صفحات وصفحات؛ وقد تناغت قوافي الأشر الأولى مع قوافي الأشر الثانية، في موسيقى متناسقة مبهجة: «فعل» في الأولى، و«فعل» في الثانية، تبدأ الأبيات بمستهل موفق:

«يا حبيبي عن هواكم مستخير

ما لقيت من الهوى غير القهر»

(ص: ٧٠)

وهذا الوزن المبهج، والقافية الراقصة، تكررا في: «أسعد الله» وفي «أشواق»؛ وفي أشواق تعود الشاعرة إلى رصد نتيجة تجربتها في مبدأ يتضح في الشر الأول من البيت التالي:

«أشهد أن المفارق، يا المشاوف، كليف

خص إلى ثارت أشواق لها ما هقيت»

(ص: ٧٢)

إذا تمعنا في كلمة «خص» في الشطر الثاني
وجدنا أنها أخذتها من «قاع الجصة»، ولا يصل
إليها، ويضعها في موضعها، إلا مسيطر جيد على
اللغة، ممسك بلجامها.

وتركب الشاعرة قطار الاستعارة؛ لأنه
الوسيلة المثلى لرسم الصور الشعرية، فترسم
الصبر إنساناً له «حيل» وطاقه، وأن الفراق حمل
هدّ ظهره، وثقل أركس قوته، خاصة إذا تعاون
البعد والشوق على كتف الصبر المسكين، وصارا

«ضغثاً على إبالة»^(١).

وفي كلمتي «حيل الله» ترتقي المعاني، وتسمو الأفكار، ويطل العقل، فتعبر الكلمات تعبيراً صادقاً عما في النفس، مع لمسة شعرية في التنقل من معنى إلى معنى، ومن فكرة إلى فكرة، والعاطفة خلف الستار تدير الدفة، وتهدي السفينة، بين أمواج من الشعور، تلتقي وتفرق، سمة النفس الرقيقة؛ ويأتي بيت يقف عملاقاً تدور حوله الأبيات بمعانيها، اقتراباً وابتعاداً:

«الله يسهل لك، وكل خير تشوف

حيل الله أقوى، باعنا من شرانا»

(ص: ٧٥)

(١) هذا مثل عربي: أي بلية على أخرى.

«باعنا من شرانا» ضياء وهاج، القوة جاءت
من سرعة تتابع البيع والشراء، والدفع جاء من
تحول العاطفة من الشراء إلى البيع.

وفي «تعال» تركض الشاعرة إلى البحر، ولها
به إلف، تستعير منه ألفاظها وصورها؛ وهذه المرة
هو بحر سعادة وأفراح، يبحر فوقه من تخاطبه،
وتدله على نقطة ضعف في إباطها، ومفتاح سحري
تفتح به باب قلعة غرورها:

«كلمة حنان منك ترضي غروري

تبحر بي ببحر السعادة والأفراح»

(ص: ٧٨)

وتُغرق في الإبداع عندما تقول:

«إلى متى والحزن يرسم ظلالك» (ص: ٧٩)

الحزن في هذا الشطر كائن يتحرك، بيده أداة
رسم، يسيرها على صفحة لأمعة، ينتهي منها
بصورة ظل المخاطب؛ هذا الشطر من البيت
مخلق في الخيال، مبدع في الصورة.

وفي «عتاب» لهيب يتأجج في الوجدان،
ويستعر في الضمير، وتأتي نتيجه عبرة تتكسر في
الحلق، فتخنق الكلمات، وتسمح لدمعة أن تفر
من العين، فتفضح المكنون؛ وتتابع أمواج
الشعور، وتعصف رياحه، ويتلمس الشخص
الهدوء فلا يمسك به، وتختل الراحة، فلا تقتنص،
وتفر من بين الأصابع، ويتطلع إلى نجدة من
القلب، فهل ينجد القلب؟

والعجز عن التنفيس يلاحق الشاعرة،
فيحرمها الهدوء ويحجب عنها الراحة التي

تنشدها، ويفر طائر الاطمئنان من قفص الأمل،
ولا يسمع إلا خفق أجنحته مبتعداً، وبطلة
الشاعرة بين أمواج متتابعة، فالذكرى تغلبها
بثقلها، مخالفة بهذا طبيعة الذكرى، وتعين الدموع
بسلطانها الذكرى بثقلها، فيظهر المكنون:

«تقواني الذكرى، وتغلبني دموع»

(ص: ٨١)

«وحتى صياح، يفرج الهم، ممنوع»

(ص: ٨١)

جاء هذان الشطران في أبيات عنوانها: «يا أهل
الخير»، وفي هذه الأبيات تفصيل للمعاناة التي
أوجبت هذه النفثة.

هذه نظرة «ماسح روض» سريعة خاطفة على
باحات الديوان وروضاته، لمست بعض جوانب
تلفت النظر؛ وليست دراسة متعمقة، وهي ما

يستحقه الديوان، ومثله من الدواوين لذته في تملي
محتواه؛ والتمعن في الشعور الجياش الذي برز في
كل صفحة من صفحاته، وفي كثير من أبياته،
خَفَقَ القلب فيه عال، ووجيهه يُسمع من بعيد؛
المعاني أخذت حقها من الإبداع، والصور نالت
ما تستحق من الإتقان، والأسلوب علا وسمق،
والتأثير بالغ، يثير التصور المغرق في القبول
والانجذاب.

ومما يزيد من قيمة هذا الديوان أنه أخذ من
رقة المرأة نسجه، ومن عاطفة الأم والزوجة
حرارته، ومن المواطنة الولاء والالتحام؛
استطاعت الشاعرة أن تضمن لنفسها مكاناً في
رف المكتبة السعودية، في حيز الشعور الصادق،
والإحساس الكريم.

حياها الله، وأرانا منها المزيد مادامت تتقن هذا
الفن، ومادام يتشكل في يدها هذا الشكل
الفائق.

عبدالعزیز النویطر

١٦ / ٢ / ١٤١٧ هـ

«فكر القائد»^(١)

تأليف جواهر بنت عبدالعزيز بن

عبدالله بن جلوي

كتاب خرج حديثاً عن خادم الحرمين الشريفين، وهو كتاب أنيق في عبارته، سلس في أسلوبه، متقن في إخراجهِ، سليم في خطته، وهذه الصفات الحسنة تليق بكتاب يتحدث عن الفكر، وهو أشرف ما لدى الإنسان، وأنبى أمر يفاخر به، ويتحدث عن قمة السلطة، وهي فخر الأمة، ورمز وطنها، والمحور الذي تلتف حوله محبة، وولاء، وقدوة، وخادم الحرمين الشريفين

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة: يوم الثلاثاء ١٦/٨/١٤١٨هـ

الموافق: ١٦/١٢/١٩٩٧م بالعدد (٩٢١٠).

— حفظه الله — أهل لهذا، لما بينه وبين شعبه من
صلات حميمة، وقربى متينة، وتناغم في كل
المجالات، لأن الأساس واحد، والمنطلق واحد،
والاتجاه واحد، والنية الحسنة واحدة. والهدف
واحد.

وسيقف هذا الكتاب بارزاً، بأناقته هذه، على
رف المكتبة السعودية، يملأ خانة هو جدير بها؛
لأنه عن رجل فذ، بذل جهداً، معترفاً به، دفع به
عجلة التقدم في هذه البلاد، المقدرة للجميل،
المعترفة بالفضل؛ وقد أحسنت المؤلفة، وأجادت،
إذ أخذت منطلقها عن فكر القائد، من واقع
الأفعال، ومن يستقرئ الأفعال ينبهر بما أنجز في
هذه السنوات المعدودة، يُرى هذا في شوارع
المدن، وزرع القرى في أرجاء المملكة، وتُرى هذه

الأفعال، كذلك، في الطرق الواسعة، والمطارات
المتعددة، والمستشفيات المجهزة، والموانئ الكفيلة،
والمرافق المختلفة، التي تنطق بالوجود المريح أينما
اتجه الإنسان.

كل هذا يشهد بصدق العمل، وعمق الوطنية،
وصفاء الفكر، وبعد النظر، والنية الخالصة،
والوعي الواضح، والعزم الأكيد، والتصميم
المتواصل.

نعم كانت نظرة الفهد بعيدة، وفكره ثاقباً،
كان ينظر إلى الأمور نظرة ملك، ويفكر فيها
تفكير ملك، صفة ذلك كله الجزالة والصفاء،
وصدق المنطلق، لا يرضى بالأدنى، ولا الوسط،
وإنما يعمد إلى القمم يبني فوقها صروح المجد،
الذي نفخر اليوم بمظاهره، ونتمتع بمخابره،

وننعم بمعطاته.

ولا يتبين قدر ما وصلنا إليه، في هذه النهضة المباركة، العمرانية، والثقافية، والاجتماعية، إلا بالمقارنة بغيرنا، ممن هو مثلنا في الإمكانيات، والظروف ودرجة السير في هذه الحياة. لم يكن - حفظه الله - يُسَلَّم بالعقبات، ولا بالصعوبات، إن وقف شيء من هذا عائقاً، يتغلب عليه، بعون الله، بحزم أكيد، وتصميم عنيد، كان يطمح إلى ما لا يطمح إليه إلا ذو البصيرة النيرة، وكان يأخذ مجال انطلاقه من دلائل اليوم، إلى بشائر المستقبل، بنظرة نفاذة، وفكر صاف، ينظر بهما للمستقبل، يستشف ما يتوقع أن يكون فيه، وما سيكون عليه، قياساً منه على ما تظهره تجارب الماضي، ومعاناة الحاضر، يبارك ما حمدناه اليوم،

ويسعى إلى ما هو محل المباركة غداً.

لقد جاء الكتاب وافياً بالغرض، مصيباً للهدف، فاتحاً نوافذ يرى منها ما لا غنى عن معرفته، للتعرف على دخائل البلد، وما عمل فيها، ومن عمل فيها، ومن أنجز وأبدع، ودرجة هذا الإبداع، وهذا الإنجاز، ومستوى تحقيق الأهداف، وأبعادها.

هذا كتاب أجادت فيه الكاتبة رسم رموز مختصرة لأعمال جيدة، استحقت أن يبذل لوصفها، وبسطها، وإبرازها، ما تم، مما جاء دالاً على جهد مضمّن، وبحث عميق، ومتابعة ملحة؛ وأول التوفيق في هذا أن اختصرت عملها في جانب واحد، بذلت فيه طاقتها، إقراراً منها بأن هذا قطرة من بحر، على كل مؤلف أن يغرف

غرفة، وعظماء الرجال سيرهم وأعمالهم لا
يستطيع التصدي لها مؤلف واحد، والأمر الثاني
الذي وفقت فيه، أنها اختارت الفكر مجالاً
لحديثها والفكر نبيل، وشريف، وأولى بالمرء أن
يختاره، وأن يصل سببه بسببه، ويجعله محط فكره،
ومرتكز ذهنه.

كان للمقدمة التي جعلتها بين يدي كتابها
مهداً مناسباً لما تلاه من معلومات، فجغرافية
المملكة أدت دوراً في تكوين ابنها، مما أوصله إلى
ما وصل إليه في صفاته الحميدة، وجاءت الصور
الفوتوغرافية للطبيعة، والمظاهر القديمة لسان
صدق ناطق بالحقيقة، والواقع.

والكتاب، وكاتبته سيدة، ومن آل سعود، عن
واحد في قمة الأسرة، له مدلوله، المرحب به، فلا

أَعْرِفَ بَمَنْ فِي الدَّارِ مِنْ صَاحِبِ الدَّارِ، وَلَاءٌ
وإِدْرَاكاً، وَفَهْماً، وَتَقْدِيرًا، وَمَا نَرَاهُ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ
يَزِيدُ الْأَمَلَ فِي أَنْ يَتَّصِلَ هَذَا الْحَبْلُ الْمَوْفُوقُ،
وَيَسْتَمِرَّ الْعَطَاءُ، لِتَكْتَمَلَ صُورَةُ تَضْيِيفِ أَشْعَةِ
مُتَطْلِعاً إِلَيْهَا فِي هَذَا الْمَجَالِ وَغَيْرِهِ.
هَذَا وَاللَّهُ الْمَوْفُوقُ ۚ

عبدالعزیز النوبطری

۱۳/۸/۱۴۱۸ھ

«الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي»^(١)

هذا عنوان كتاب صدر حديثاً ألفه الأستاذ أحمد بن زيد الدعجاني - جزاه الله خيراً - جمع فيه بعض المعلومات عن الشيخ محمد البواردي - تغمده الله بواسع رحمته - ومجرد رؤية اسم الشيخ محمد، أو سماع اسمه، أو ذكره، تثور في الذهن أمور عديدة؛ لأن ذكره يحرك في النفس ذكريات مبهجة، ومدعاة للفخر والاعتزاز، لما عُرف عنه - رحمه الله - من حسن الخلق، وخفة الروح، وسرعة البديهة، وحدة النباهة، وقوة الذكاء،

(١) كتبت في ١٤١٩/٤/٩ هـ ونشرت في الرياض (المسائية) الأربعاء

١٣/٤/١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٨/٥ م، وفي عكاظ الاثنين

١١/٤/١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٨/٣ م.

وطمأنينة النفس، وسعة الصدر، والنظرة الخيرة للناس، ولما كان يتصف به من متطلبات القضاء من أنوار المعرفة، وصواب النظرة، وعدالة الحكم، وغزارة العلم، ومعرفة زوايا الأنفس، مما يخدم القاضي في عمله، وغوصه بثاقب فكره على ما يخفيه الخصوم، وهم في ساحة القضاء إما خبثاً، أو حيلة، أو جهلاً، أو حياءً؛ وقد طالت تجربته في هذا الحقل النبيل المجهد، فنضج فوق نضجه، وأثار مرور الزمن بصيرته في عمله، فترك ذكراً منيراً في المراكز المختلفة التي تسنم شعفة سنامها.

واسمه - رحمه الله - يذكر، أيضاً بالحالة التي كانت عليها البلاد عندما شمر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عن ساعده ليوحد أجزاء المملكة،

وينشر الأمن، ويهيئ للاستقرار، خاصة استقرار
البادية في مجتمعات حضارية ثابتة، وما احتاج إليه
ذلك من خطط، يملأ الثغرات في تنفيذها برجال
أكفيا في هذه المرحلة الدقيقة من السير نحو
الهدف، وتثبيت الأطناب، وفي مقدمة هؤلاء
الرجال علماء الدين، وسُرج المجتمع، وكان
يتلمس طريقه لاختيارهم تلمس خير اللؤلؤ بما
تأصل منه، وارتفعت قيمته؛ لأن الأمر مهم،
ودقيق، ودفعهم إلى حيث هم، وإلى حيث
أرادهم: أنواراً مشعة تنير مجتمع هجر البادية
الحديث، بعقيدة صافية، ودفع إلى العمل البناء
السليم المنتج، والمواكب لما العالم مقبل عليه، مما
لا ينفع معه إلا العلم والتعمق في المعرفة،
وتكوين مجتمع متماسك متعاون، لبناء الوطن؛

وكان الشيخ محمد البواردي من بين من اختارهم
الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لإحدى الهجر،
فكانت مُنطلقه في عمله الذي توالى في عدد من
المراكز والمدن.

واسم الشيخ محمد يذكر، أيضاً، بحقوق
الرجال العاملين السابقين، الذين ساهموا في
وضع اللبنة الأولى لتأسيس هذا الكيان
الشامخ، الذي ننعم اليوم في ظله الوارف،
بالراحة والاستقرار والاطمئنان، والرخاء
والازدهار، وأصبح من حقهم أن يكتب عنهم،
وهم كثير، وعملهم مجيد، ولهذا يُشكر الأستاذ
أحمد الدعجاني على قيامه بقسطه تجاه رجل أحبه
الناس، وأصبحت سيرته عطر المجالس التي
يذكر فيها، فالحديث عن الشيخ محمد، في أي

مجلس، لا يكتفى فيه بقول عابر، أو حديث عام، بل يأتي الحديث مسلسلاً سلسيلاً، يتبع بعضه بعضاً بانتظام يدعو إلى الإصغاء والمشاركة: هذه قصة عن نباهته، وهذه رواية عن فطته أمام خصم مراوغ ذكي، وهذا جواب نابه لسؤال مُحير، وهذا جواب ناضج لقول ساذج، وهذا بيت شعر قاله الشيخ فيه إلماز لطيف، أو تحريف مبدع، أو إشارة ذكية، يأتي ببهجة وسرور.

ما تعرّف أحد على الشيخ محمد - رحمه الله - إلا شُغِفَ بأحاديثه الممتعة، المفيدة، وأُخِذَ بشخصيته المتميزة.

وكان لي حظٌّ معرفته معرفة جيدة، وقابلته مرات ومرات، بعضها كان مع صاحبِي المعالي الشيخ محمد بن جبير والشيخ راشد بن خنين،

وهما من يعرف المداخل إلى أحاديثه وقصصه العجيبة، لصلتها الوثيقة به، وبحقله. وكانت المرات التي يمكنني أن أقول إنني ابتهجتها فيها أتم ابتهاج هي زيارتي المتعددة معها له عندما أصيبت قدمه، فأقعدته هذا العارض في البيت، وأصبحت زيارته منتظمة، ولم يزاحم هذه المرات إلا مرة في أمسية من أمسيات رمضان بعد التراويح، جاء لزيارة صديق له كبير - رحمها الله - في الطائف على أساس أن يجلس عنده نصف ساعة؛ لأن وقت هذا ينتهي في هذا الوقت المحدد، ولكن بإلحاح من هذا الصديق بقينا وبقي الشيخ ثلاث ساعات مرت كأنها دقائق، والشيخ، في حديثه، ينتقل من خميلة ورد إلى مثلها. لا يزال صدى صوته السمع، وكلماته

العذبة يرن في أذني كأنه رفيف أقحوان في يوم
نديّ. رحمه الله رحمة الأبرار، وأوسع له في فسيح
جناته.

أسدى الأستاذ أحمد الدعجاني معروفًا لا
حدود له إلى عارفي الشيخ، وإلى الذين لا يعرفونه
من الجيل الناشئ؛ وخطوة الأستاذ أحمد مقدرة
حق قدرها، لا لأنها سجلت بعض الإضاءات
في حياة هذا الشيخ الجليل فحسب، ولكن لأن
أملنا أن تكون نواة لمعلومات أكثر في طبقات
قادمة، لأن بحر الشيخ محمد، فيما كتبه عنه
الأستاذ أحمد، عميق، والإضاءات لا يزال لها
إشعاع لا حدود له يبهج ويغرب.

* * *

أخي الحبيب الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن
جنيد حفظه الله^(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:
ابتهجت عندما وصلني خطابك رقم:
١٣٨٥ / ٧ وتاريخ ١٤١٩ / ٦ / ٣ هـ الموافق:
٢٣ / ٩ / ١٩٩٨ م، ومعه مجلد العددين الخامس
والسادس من مجلتكم القيمة: «عالم الكتب»، ولا
أظني أستطيع أن أصور الفرحة التي غمرتني
عندما رأيتهما تتحدث عن الرقم العربي، وتدافع
عنه، وتحمي أصله وتحله محله من الحقيقة، وتأتي
بالأدلة القاطعة، والبراهين الدامغة، التي تؤكد
أنه الرقم العربي، بلا شبهة أو شك، أو مرأى.

(١) أرسل الخطاب في ١٤١٩ / ٧ / ٨ هـ.

الثابت، يا أخي، لا يُعد ثابتاً إلا إذا كان ذا جذور راسخة عميقة، والجذور العميقة الراسخة تعطي العود صلابة وقوة، وتمكنه من الأرض التي يقف عليها، فلا تسهل زعزعته إلا بما هو أقوى منه وسيلة، وجهداً، وعزماً. وهذا أراه ينطبق على كل ثابت، حسب تأصل جذره، وفراهة متنه، واستقامة سوقه، وعدوبة الماء الذي يسقيه، واليد الحانية التي ترعاه، ولا تغفل عن ملاحظة شؤونه.

ومن الثوابت في مجتمعنا أن الأرقام، التي ألفناها، وكتبناها، هي أرقام عربية، وأن الأرقام التي يكتبها الغربيون، ومن يحذو حذوهم هي صورة مُخرَجة من الرقم العربي، وهي وليد مهجّن، من صورة رقمنا وتصرفٍ من اقتبسهِ؛

ومما ثبّت هذا عندي، على الأقل، استطراد
استطرده أستاذنا المؤرخ مبروك نافع - رحمه الله -
وهو أستاذ عالم، كان يُدرّس في كلية دار العلوم،
بجامعة القاهرة، في مصر، وهو من خريجي كلية
دار المعلمين العليا، وهي مؤسسة علمية،
مشهورة بقوة الدراسة بها، وشمولها. وكان الذي
يتخرج منها مهياً أن يدرس أي علم من علوم
العربية وآدابها، وتواريخ الأقطار العربية قديمها
وحديثها.

ولهذا لم نفاجأ في يوم من الأيام عندما تطرق
الحديث إلى أصل بعض اللغات، وخصائصها،
وتطور بعضها من بعض، فقام - رحمه الله -
ورسم على السبورة حروف الهجاء لِسِت لغات
قديمة، منها الهيرغليفية، ثم استطرد من باب إلى

باب في هذا المجال، وخط رحل حديثه عند الأرقام، فرسم الأرقام العربية من الواحد إلى العشرة، وأبان، خطوة خطوة، كيف وُلد الرقم الإفرنجي الحالي من الرقم العربي الحالي، وما رأيناه أمامنا كان مقنعاً أن الأصل هو رقمنا العربي الذي نعرفه، وأن الرقم الإفرنجي متولد منه، ومَن دقق المقارنة يجد سمات التشابه، ووضوح الأصل والفرع. ومن المؤكد أن الأستاذ الكبير مبروك نافع - عليه رحمة الله ورضوانه - لم يأت بهذا من عنده، ولا بد أنه، وهو الضليع في علمه، قد ارتكز إلى ركن متين في هذا.

لهذا كنت أتألم عندما أرى الرقم الإفرنجي يندس بيننا، ويتسرب إلى صحفنا، وكتبنا، وكأنه كشف جديد ثمين، يجب أن لا يفلت من أيدينا،

وأن نعض عليه بالنواجذ، وأن ننشره ما استطعنا
إلى ذلك سبيلاً؛ والحجج، التي يستند إليها
المقبلون عليه، غير مقنعة، ونشعر من جغرافية
أصحابها أنها تسللت إلينا من الغرب، وبصوت
خافت في أول الأمر، ثم ارتفع الصوت تدريجاً
حتى صم الآذان، واستمر أوار زحف الدعوة له،
واستمر تبني بعضنا للفكرة، والدعوة لها،
ودخلت الآلات الحاسبة، وهي بيئة صالحة
للأرقام، يعضدها بعض الآلات الحديثة،
وأصبحنا نخشى على رقمنا أن يواد، وأن يصبح
أثراً بعد عين، بعد أن أخفقنا في أن يُسمع صوتنا،
صوت الحق، وضاع في الغلبة والضجيج.

لهذا - يا أخي يحيى - فرحت فرحاً طافحاً،
مليئاً بالبهجة، والفخر، والامتنان، لما قمتم به من

دفاع عن هذا الرقم المسكين، الذي بدأت قوة
عشيرته تضعف مع الضغط الجارف، والهجوم
الكاسح؛ فأقبلتم بخيلكم ورجلكم، لنجدة
رقمنا وأهله؛ أما نجدتكم لرقمنا فهي بالتوثيق
العلمي المتتالي من أشخاص متعددين، وبطرق
مختلفة، أما نجدتكم لأهله فهي وضعكم السلاح
الكفيء في أيديهم ليصلوا به بجدارة أمام من
يلوّح لهم بسيف دانكشوت. ولقد أصبح هذا
العدد من هذه المجلة النافعة ماجداً نبيلاً لما حمله
من فكر منير، ونية صادقة حسنة.

أجمل التحية والتقدير والإعجاب والإعزاز.

أنوك

عبدالعزیز الہویٹر

شكراً للدكتور محمد الملحم^(١)

أهداني معالي الزميل الأخ الأستاذ الدكتور محمد بن عبداللطيف الملحم كتابين من كتبه، وكل واحد منهما قيم ومفيد، ولكني سوف أكشف عن بهجتي بصفة خاصة بكتاب معاليه: «كانت أشبه بالجامعة: قصة التعليم في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز، دراسة في علم التاريخ الاجتماعي».

وإهداؤه هذه النسخة لي لفئة أخوية أقدرها، فالتعليم هاجس كل فرد، وتاريخ التعليم هاجس يخيلني دائماً، وأسعد كثيراً عندما أجد

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة يوم السبت ٢٢ رمضان ١٤١٩ هـ

الموافق ٩ / ١ / ١٩٩٩ م العدد ٤٥٩٩.

ابن أحد المناطق يهتم بتاريخ التعليم في بلادنا في هذا القرن، لما في معرفة ماضي التعليم من مجال للمقارنة بحال التعليم في وقتنا الحاضر، وهذا يظهر القفزة الرائعة التي قفزناها، بذرتها خطوة رائدة من مؤسس هذا الكيان، الذي أدرك قيمة الإصلاح ببصيرته التي حباه الله بنفاذها، وبحكمته التي أكمل الله جوانبها، فرأى في العلم مفتاح أبواب التقدم بإذن الله.

وليس أقدر على الحديث في تاريخ التعليم في منطقة ما من أبناء المنطقة أنفسهم، لأنهم عاشوا حوادثها، أو سمعوا عن قرب، وبتكرار عنها، ممن عاشوها وعاصروها، وهم خير من يرسم الصورة لمعرفتهم بالمجتمع، وأثر التعليم فيه. ومكة المكرمة والمدينة المنورة كانتا بحرهما

الشریفین مصدر إشعاع علمی، ولم یکن یقترب
منهما فی ذلک فی بلادنا إلا الأحساء، التي انتشرت
فیها الکتاتب، ومؤسسات العلم، بل وتعددت
فیها أسر العلماء النافعین، ومراكز علم قام علی
ازدهارها أناس من أهل الخیر أقاموا لها الأربطة،
وتکفلوا بالمال الذی ینعشها، فأصبحت بهذا
مقصد أهل العلم من البلدان المجاورة، فتتج عن
هذا التفاتة حانية من أهل الأحساء إلى هؤلاء
الوافدین، وبالله - سبحانه وتعالى - ثم بهؤلاء
الوافدین انتقل العلم وحبه إلى بلدان متعطشة،
وكان من جواذب طلب العلم فیها مرور الحجاج
بها جیئة أو ذهاباً، فكان بعضهم یقیم حتی
یرتوي من العلم، ویعود إلى أهله مزوداً بالعلم فی
عقله وفکره وفي حقائب یعود بها إلى بلاده ملأی

كتباً ودفاتر، ومن أبرز الذين اجتذبهم إليها ما بها
من علم الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله
- إذ كانت الأحساء إحدى محطات رحله.

لم يكتب عن تلك الأزمنة المضيئة ما يوفيهما
حقها، فما كتب قليل لا يشفي الغليل، ولمس
جوانب محدودة، وهناك عتب على مثقفي
الأحساء فهم أقرب إلى اللوم من غيرهم، لأن
جميع إمكانات المساهمة متوافرة لهم: علم
ومعرفة، وقرب من المراجع بشرية وغير بشرية،
لو كتب عن كل أسرة علم ما قامت به وما أثرت
به لجاء سيل جارف، ولرأينا بحراً مليئاً بالدرر
واللآلئ. علوم الأدب والدين حقول خصبة
للكتابه، وجاء وقت لو قيل إن كل طالب علم في

الأحساء فقيه وأديب وشاعر لما كان في هذا
مغالاة.

في أهل الأحساء ساحة، ودمائة خلق، ورزانة
عقل، هذبهم الدين، ومسحهم الأدب بمسحة
بهجة تجدها في أحدهم من أول لقاء؛ وأول لقاء
لي مع أحدهم كان في القلعة في مكة المكرمة في
المرحلة الثانوية عندما جاء الطلاب المتخرجون
من الابتدائية في الأحساء إلى مكة للالتحاق
بمدرسة تحضير البعثات، المدرسة الثانوية
الوحيدة في المملكة، والتي كانت تصب فيها جميع
المدارس الابتدائية؛ وأول شخص تعرفت
عليه معالي الأخ الأستاذ حسن المشاري ومن
يعرفه يؤمن بأنه خير رسول للأحساء، وخير من
يمثل أبناءها، ويعطي صورة حسنة عنهم، رغم

صغر سنه فقد كانت الرزانة سمته، والبشاشة لا تفارق وجهه، إن تحدث فبهدوء، ويوفي الموضوع حقه بعقل ومنطق، حماسة سلام بين إخوانه في القسم الداخلي.

محيط العلم الذي كان يظلل الأحساء حباه الله بمحيط طبيعة جميلة: خضرة وماء؛ وتداخل العلم مع هذا المحيط بطريق طبعي، ويتمثل هذا في ابتداء أقدم عليه العلماء المدرسون مع طلابهم إذ جعلوا يوم الثلاثاء مثل يوم الجمعة يوم إجازة وعطلة، حتى يتسنى لهم أن يخرجوا مع طلابهم للحدائق والبساتين والعيون، يتمتعون، ويتذكرون العلم، ويتناشدون الشعر، ويزيلون الكلفة بينهم وبين تلاميذهم، أليس هذا آت إلا من نتاج الأنفس الزكية؟

ولي دالة على أسرة آل مبارك المباركة، وهي أسرة عريقة، لم أر فرداً من أفرادها إلا والخير ملء إهابه، بهذه الدالة أتوجه إليهم بتدوين نتاج فكر آبائهم الأدبي نثراً أو شعراً، ونتاج فكر غيرهم إن استطاعوا، وهم بهذا يرثون ذمتهم، ويشبعون رغبة المحيط الثقافي في بلادنا، ويكونون قدوة لغيرهم، ولهم أجر من اقتدى بهم، وشكرنا الضافي، وإن كان هناك ما هو مدون ومحفوظ فليشيحوه.

الأحساء كانت اسم نعمة جميلة ترن في آذاننا ونحن صغار، فكنا نتصوره، كما هو فعلاً، سلة غذاء، كان أهل نجد يلجؤون إليه للارتزاق والتجارة، أعداد غير قليلة من أهل نجد ذهبت إلى الأحساء وارتوت وعادت، المراسلات بين

هؤلاء الناس لو جمعت ودرست لمأّت مجلدات،
ولرسمت صوراً جميلة، وصادقة لحياة كانت
قائمة، كلها نشاط وكفاح، تمثل صوراً هي
مصدر فخر واعتزاز؛ وأهمية الأحساء السياسية
حينئذ لم تأت من فراغ، كما يقال، وإنما أتت من
حالة الأحساء الخصبة، وموقعها المهم، ومن
توافر الأسباب فيها لأن تكون بؤرة علم، ومركز
التقاء، ومهوى أفئدة لمن سبق أن عاش فيها، أو
عمل بها.

كانت القوافل تترى بين الأحساء ونجد،
فبجانب خيراتها، كان ميناؤها العقير مصدر خير
لما يأتي من العراق وإيران والهند، وما وراء ذلك،
وكان الطريق بين العقير والأحساء عامراً،
وكانت الأحساء بدورها تدفع إلى نجد بالخير

العميم إلى وقت قريب، وشاء الله - سبحانه وتعالى - أن يبقى لهذه المنطقة أهميتها بخروج البترول فيها وبقرها.

أشهد أن معالي الأخ الأستاذ الدكتور محمد الملحم قد قام بما يشكر عليه عندما كتب كتابه عن التعليم في مقاطعة الأحساء، وهو ابن الأحساء، وابن التعليم فيها وفي غيرها، وخير من يقدم على مثل هذا العمل، فقد عاصره وعاصر من عاصر الفترة السابقة، فهو مرجع ثقة، بذلك، وبعلمه وبكفايته، فهو قانوني بالتأهيل، وهو أديب عرفه قراء المجلة العربية، عندما أدى واجباً أسرياً بمتابعة نشر أدب أحد أقاربه الشعراء البارزين.

وكتابه هذا عن التعليم في الأحساء سوف

يكون مرجعاً مهماً في هذا الجانب، فقد جعل المدرسة الابتدائية التي أنشئت في الأحساء عام ١٣٥٦هـ محوراً لحديثه، ووفاهها حقها من التعريف والوصف، فألم بكل أمر حولها، من بنائها القديم، وبنائها الحديث في عام ١٣٦٠، إلى مديرتها وإدارتها، إلى زوارها، إلى الرحلات المدرسية، إلى الأناشيد، إلى مجلتها ومكتبة الطالب، إلى نظام التدريس، إلى نشاط المدرسين، إلى رموز المدرسة، إلى حفلات التخرج، إلى ما قيل عنها من قبل الرجال البارزين.

ولم تأت هذه المعلومات سرداً جافاً بل جاءت وفي ثناياها تضيء شمعات باهرة عن التعليم عموماً، وعن المجتمع وما هو عليه.

كتاب الدكتور محمد الملحم روضة من

الرياض المزهرة سوف يجد من يتنزه فيه متعة،
وسيعرف جزءاً من بلده، غال وعزيز، معرفة
تجعله يشعر بالعزة والفخر، ويعرف الفضل
لأناس مضوا إلى ربهم وأناس لا يزالون يؤدون
واجبهم.

شكراً للدكتور محمد الملحم فقد أنستُ
بكتابه، واستفدتُ مما فيه، وسوف يجد غيري أنه
وثيقة لا غنى عنها لمن أراد أن يعرف عن التعليم
في الأحساء خصوصاً وفي المملكة عموماً.

عبدالعزیز النوبطر

٢٠/٩/١٤١٩هـ

مع كتاب «الإعلام في المملكة

العربية السعودية»

للدكتور عبدالرحمن الصالح اشبيلي^(١)

عندما يتصدى كاتب مرموق، له تجربة
جامعية، وله مشاركة فكرية، وخاض معترك
الكتابة في المجال الذي يتقنه، ووقف حياته على
السير في دروبه، تتبارى عنده الهواية، مع حب
العلم، الذي جعله مهنته، وفي توافر هذين
العنصرين يُضمن - بعد توفيق الله - النجاح
بأعلى درجاته، وأوضح صورته.

وعندما يصدر لمثل هذا الكاتب كتاب، ويجد

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة عدد ١٠١٦٩ ١ جمادى الأولى

١٤٢١هـ ١ أغسطس ٢٠٠٠م.

الإنسان فيه تكامل الفكرة، وعمق البحث،
واستقصاء الجوانب، يحنق على الوقت إذا لم يتيسر
له أن يعطيه حقه من مبادرة القراءة، والأناة في
هذا، لتكمل الفائدة، ويشعر أنه أدى حقاً تجاه
المؤلف الذي تعب وكد وكدح وعانى، وقدم له
مجهوده على طبق من بلّور، ومع هذا تحول دون
تمتعه بما فيه ظروف العمل، وشواغل المنصب،
ولا يُعزّي الإنسان أمام هذا التقصير إلا أنه يعلم
أن أموره الخاصة تراكم دون أن يجد الوقت
لإعطائها حقها، وفيها المُلح، وفيها ما قد يفوت.
هذا ما قابلته عندما أهداني الأخ الدكتور
عبدالرحمن بن صالح الشبيلي كتابه القيم الوافي
المتقن أسلوباً ومعلومات وإخراجاً وطبعاً
وترتيباً. ولم يكن هذا الإتيان مفاجأة لي فأنا

أعرف الدكتور عبدالرحمن مرتباً في كل شيء،
دقيقاً في كل ما يتصدى له، لا يمل البحث، ولا
يَهَابُ الاستقصاء، يعطي الاستشارة ثقلاً يجعله
في موقف واثق مما يضع على الورق، لأنه لم يترك
وسيلة للتأكد مما وصل إليه من معلومات دون أن
يغوص في بحارها، ويختار أغلى لآئها.

ما كُتِبَ عن الإعلام في المملكة قليل، وليس
منه ما جاء شاملاً، متبعاً لتاريخ الإعلام خطوة
خطوة، منقباً عن الأسس التي مرت بها كل
حقبة، والأمور التي أثرت فيها، وكيفتها بالصفة
التي هي عليها، وقد فعل هذا الدكتور
عبدالرحمن.

الدكتور عبدالرحمن بدأ حياته في وزارة
الإعلام، وأكمل دراسته في الإعلام، وعشق

الإعلام عشقاً يزداد يوماً بعد يوم، وساعةً بعد ساعة، لا يزاحم الإعلام عند الدكتور عبدالرحمن شيء. تعلقه به جعله يكتب حلقات متتابعة عنه، وعن تاريخه في الصحف، ولعله كان يستدر بهذه الملاحظات تمهيداً للعزم بإخراجها ضمن كتاب، وقد كانت هذه المقالات تنال قبولاً من القراء الذين يقدرون هذا الجانب، وما كشف عنه في هذه المقالات مما لم يكن يتوقع.

وجاء كتاب الدكتور عبدالرحمن: «الإعلام في المملكة العربية السعودية: دراسة وثائقية وصفية تحليلية». وبه توافر للإعلام في المملكة موسوعة إعلامية، لم تدع جانباً معروفاً، أو يمكن أن يعرف بالبحث والتنقيب، إلا سجله، وفي مكانه المختار، وبالأسلوب اللائق به، ضمن خطة مدروسة

ونهج منتقى مرتب. جاءت هذه الموسوعة في ثلاثة عشر فصلاً، كل فصل يحمل في ثناياه ما يوفي عنوانه حقه، بدأ المؤلف، بعد تقديم معالي الأخ الدكتور غازي القصيبي، بمقدمة، تلاها الفصل الأول، وفيه المدخل التمهيدي للإعلام السعودي، وجمال في حقائق البيئة والظروف والسمات، فأجاد وأمتع، وجاء الفصل الثاني مهتماً بالجهات الرسمية المعنية بالإعلام، وفيه من المعلومات الوافية المفيدة ما يشع نوراً على هذا الجانب المهم من الإعلام. وجمع الدكتور عبدالرحمن في الفصل الثالث ما يخص الإعلام الداخلي والخارجي، والإعلام في الحج، معطياً نماذج لبعض الجوانب، ومحللاً لبعضها، وكان نصيب الفصل الرابع الصحافة السعودية، وفي

هذا مجال واسع للروح والمجىء، والتنقل بين تاريخ بدئها، ونوعيتها، وتأثير الأحداث العالمية عليها، ومطابعتها، ومؤسساتها، ودعم الدولة لها، مرافقاً ذلك تحليل ونقاش يثري الفكر، ويدعم الثقافة. ووجد الدكتور عبدالرحمن، بحق، أن الإذاعة السعودية تستحق أن تستحوذ على الفصل الخامس، فجاء في هذا الفصل بمعلومات سوف يدهش لها المختصون، لما فيها من معلومات تعد جديدة على من لم يكن قام بالتنقيب والاستقصاء.

والفصل السادس أوقف بكامله للتليفزيون السعودي، وهو المنافس الأول للإذاعة، والذي شد الجمهور، وأثر في الناس، معلومات، وحياة، وأسلوب معيشة، أعطاه الدكتور عبدالرحمن

حقه تاريخاً وتطوراً وكنهاً، ومعلومات داخلية عاشها، وواكب سير التليفزيون فيها، وكان له مشاركات في كل جانب من جوانبها، لوطنيته وعلمه وحماسه، ووقف نفسه على هذا الحقل المؤثر، وكان له برامج سنّت في فن المقابلات سنناً حميدة أصبح لها مريدون اليوم.

والفصل السابع عالج فيه أمر وكالة الأنباء، ولم يلمس فيها إلا البداية والنمو، قراءة وتحليلاً، والقراءة والتحليل عنصران مهمان في دراسته التي نتحدث عنها، ولم يطل الحديث فيها، لأن وكالات الأنباء العالمية، لكثرتها وتأثيرها، لم تجعلها الوسيلة الوحيدة في الميدان السعودي، ومع هذا بقي لها مقامها وسمعتها في محيط المملكة لما تتسم به من الصدق، والبعد عن

الإثارة، والمثابرة على سياسة تحكيم العقل وكلمة العدل والشرف.

والفصل الثامن لمس، بإعجاب، التعاون الإعلامي الخارجي سواءً مع الإعلام في دول الخليج، أو في مؤسسات الإنتاج الإعلامي فيه، أو الاتفاقات الثنائية. ولمس كذلك أموراً أخرى مع البلدان العربية الأخرى مثل وكالات الأنباء وغيرها. يتبع كل عنصر من العناصر التي عددها تحليل دقيق، ومناقشة فكرية ناضجة.

والفصل التاسع تناول الإعلام والقطاع الخاص، ودخل في هذا الفصل الإعلان، والطباعة والنشر، والإنتاج الإعلامي، وشركات الأبحاث والتسويق، ومجموعات الشركات.

والفصل العاشر تحدث عن دراسات الإعلام

وأبحاثه، وأخذ التحليل حقه عندما تحدث
الدكتور عبدالرحمن عن أقسام الإعلام في
الجامعات السعودية، والتدريب في مجال الإعلام،
والدراسات المتنوعة، وبحوث المدرسين،
وبحوث الطلاب. وهو فصل مهم خاصة وأن
الأقسام في الجامعات، وهي تدرس الإعلام،
وتتابع المستجد فيه، سوف يكون لها الأثر الأول
على مستقبل الإعلام، ونوعه، عندما يصبح
الإعلام في يد خريجي هذه الأقسام، بتخصّصه
الدقيق، وبالوسائل الحديثة، التي تتطور يوماً عن
يوم، بطرق مدهشة.

وفي الفصل الثاني عشر تحدث الدكتور
عبدالرحمن عن وسائل الإعلام الأجنبية في
المملكة، وهو فصل مهم، رغم قلة الصفحات

فيه، لما فيه من معلومات وتحليل، ولمجرد أنه
وُضِعَ له فصل سوف يكون له حق المتابعة
للتطور في المستقبل في الطبقات القادمة.

والفصل الثالث عشر عنوانه: نحو فكر
إعلامي سعودي جديد، جمع فيه عصارة فكره
المبنية على ما سبق من معلومات. أبان فيه حصيلة
الماضي، وما يُتوقع أن يكون عليه مستقبل الإعلام
بعد التغلب على العوائق مثل شح الموارد،
والحاجة إلى تطوير هيكل الإعلام، وإيجاد الصلة
القوية بينه وبين المرافق الفكرية في البلاد.

كل هذه الفصول في كفة راجحة، ولكن هناك
كفة مهمة تقابلها، وهي الملاحق التي هيأت
للقارئ، بجانب المعلومات الإضافية، سهولة
العودة والمراجعة لما قد يحتاج القارئ إلى

مراجعتة، وقد احتوت هذه الملاحق على أهم الأنظمة الإعلامية، وعلى السجل السنوي للأحداث السنوية والمناسبات الإعلامية من عام ٣٠٠هـ إلى عام: ١٤٢٠هـ، ولنا أن نتصور الجهد المبذول في هذا الملحق، نتصور صعوبة الحصول على معلومات عن سنوات ليس فيها تسجيل رسمي، ولا أحياء يدلون بمعلومات موثوقة. واحتوت مراجع الكتاب على ما هو مفيد في هذا الحقل باللغة العربية والإنجليزية.

هذه لمحة سريعة عن هذه الموسوعة الإعلامية الفريدة عن الإعلام في المملكة، سوف لا تستغني عنها مكتبة عامة أو خاصة، ففيها المعلومات، وفي معلوماتها ثقة، وفي أسلوبها جاذبية، وفي لغتها سلامة، وحسن سبك، وفي منهجها حسن

تخطيط وتنظيم وترتيب. فائدتها بصورتها القائمة كبرى، وسوف يكون أكبر منها ما سيضيفه المؤلف في الطبقات القادمة - إن شاء الله - وقد عرف الآن المسالك لجمع المادة، وعرف قيمة الخبر الإعلامي المفيد، مهما كان قصيراً، أو الحدث الذي لا يلفت النظر، فقد أصبح عنده اليوم ملكة ناضجة في هذا المجال تجعله قناصاً يحسن الصيد، ويحسن ما يصنع بالمصيد.

ولم يبق إلا أن أهنته على خدمة هذا الحقل المهم، وأدعو له بالتوفيق، والصحة والعافية.

عبد العزيز الزويطر

٢٦ / ٤ / ١٤٢١ هـ

مع الشيخ عبدالعزيز التويجري في كتابه:

«ذكريات وأحاسيس ناهت على

عضد الزمن»^(١)

منذ أن تعرفت على معالي الأخ الشيخ
عبدالعزیز بن عبدالمحسن التويجري في عام
١٣٨٠هـ، عندما زار الجامعة مع أحد أصدقائه
اللبنانيين، وأنا أجد متعة في الجلوس معه،
والاستماع لأحاديثه، لأنه يغرف، بجدارة، من
معين لا ينضب من التراث، معين زلال، يضيفي
عليه روحاً تجعل كل جزء في الصورة التي
يتحدث عنها ينبض بالحياة. والتراث، والحديث

(١) نشرت في «الجزيرة» في ست حلقات ابتداء من يوم السبت

٢/٢/١٤٢١هـ الموافق ٦/٥/٢٠٠٠م: العدد ١٠٠٨٢.

عنه، يشدني، فما بالك إذا كان من شخص عاش
هذا التراث، أو عاصر من عاشه.

هذا قبل أن يبدأ الكتابة، حتى إذا بدأها كشف
عن جوانب لم تكن معروفة، تمثل جيلاً من
متعلمي نجد، ممن لم يحصلوا على شهادات،
ولكن بعضهم أعطى الشهادات الأولى لمن
أصبحوا يحملون أعلى الشهادات. والشيخ
عبدالعزیز لم يقع ضحية عقدة الشهادة، ولم يرهبه
عدم توافرها فيه، فهو، وعدد غير قليل من
معاصريه، رضعوا لبان الثقافة من ثدي طبعي، في
بيئة طبيعية، ذهبوا إلى المتنبى في عقر داره. وإلى
المعري فجلسوا معه على عتبة داره، وجالسوا ابن
المقفع، وأخذوا يسرون في الأحياء، في مكة،
والمدينة، وبغداد، ودمشق، في أوج مجد هذه المدن،

يطرقون باب هذا الشاعر، أو الأديب، أو المؤرخ،
ويجلسون على موائدهم، فلا يبقون في الأواني
شيئاً مما لذ طعمه، وطاب أكله، حتى طفحت
عافية العلم والأدب قانية على أوداجهم، وما
إنتاج الشيخ عبدالعزيز التويجري إلا طفح ما
امتلاً به إناؤه، جاء كلمة، وأسلوباً، وعبارة، لما
أراد أن يعرضه من أفكار أخذت تدق جدار
صدره لتخرج، شاكية طول مدة العضل،
وسلاسل السجن، فسمح لبعضها أن تنسم
الحرية، متدافعة كما يراها القارئ في كتبه،
وآخرها كتابه: «ذكريات وأحاسيس نامت على
عضد الزمن» ترى هل كل حامل شهادة عليا
سوف يدرك مرامي الأفكار التي جاءت في هذا
الكتاب؟ أو سيغيب عليه كثير مما فيه كما غاب

عليه ما قبلها.

إن هذا الكتاب له حق كبير في الفهم بعد القراءة المتأنية، والكتابة عنه يجب أن تكون مفصلة باباً باباً، لإظهار بعض ما يكشف عن المؤلف وفكره ونظرته لجوانب الحياة، وهو لا يمثل صورة فرد، ولكنه صورة لجيل الشيخ عبدالعزيز، الذي ربما مر به، وعاش معيشة مماثلة، إنه صورة لحقبة من حقب سيرنا في هذا العصر، صورة الكفاح، وصورة الصبر، وصورة غلاء قيمة الوقت، وصورة محاولة إنارة الفكر في مزعاة من الزمن، تختلس للأدب، وتوسعة الفكر، وإشباع الذهن، بما يخفف عناء الجسد.

حتى العنوان لم يخل من عرض فكر الشيخ عبدالعزيز الذي ساد أسلوبه، فالأحاسيس

والذكريات لها جسم متكامل ولهذا تعبت فنامت
كما ينام الإنسان على عضد الزمن، فنظرة حنان
وعطف لا يأتي إلا من إنسان مع إنسان؛ وصيغ
من البيان أغرم بها أبو عبدالمحسن، وويل لغير
المتأني، فإنه سوف لا يخرج بشيء إلا إذا لبس رداء
الغوص، وتأنى ولهث حتى يحيط ببعض صور
البيان المتابعة العميقة، وهو أسلوب لا يستطيعه
إلا من كان ذا باع طويل في قراءة الأدب، والبيان
والبديع، أسلوب فقدناه إلا عند قليلين ممن ثبتوا
عند تراثهم الأدبي والفكري، ولم ينفروا منه إلى ما
هو أسهل قسماً حتى يتناسب مع أسنان في فم
ليس فيه أضراس لطحن الصلب من المعاني.

* * *

في المقدمة لكتاب: ذكريات وأحاسيس

يأبى الشيخ عبدالعزيز إلا أن يتواضع، فهو لا يدري، وهو في الحقيقة يدري، لماذا سمح للخاطرات أن يخرجن من حبسهن في ذهنه، وهو يتواضع مرة أخرى، فيقول إن ذهنه حامل، وأنه لم يعلم بالعانسات الخاملات، النائبات في داخل نفسه، وليس ذهنه خاملاً، ولا العانسات خاملات، وعانساته لا يضيرهن مرور الزمن، فالنظام الذي سنه الله هن يجعل كل يوم يمر عليهن قوة هن، وزيادة في قيمتهن، فهن، وهُنَّ صغار غير مرغوبات، وخلافاً لكل الإناث العجوز منهن مرغوبة مطلوبة جيلاً بعد جيل.

ويأبى الشيخ عبدالعزيز إلا أن يلبس الجهاد

ثوب الإنسان وهو محق لأن الرداء هو أول ما تراه العين، فتعطي إشارة للذهن بالقبول أو عدمه، ومَنْ من الناس الذي لا يلتفت إلى صورة امرأة، وفي حالة إلباس الجهاد ثوب الإنسان إيضاح أكثر من طرح الفكرة بخامتها الأصل، والقارئ الأديب يهمله بجانب هذا أن يُقوِّم مقدرة الكاتب في هذا التدثير وهذا الإلباس، والسير بالفكرة في هذا المنطلق إلى النهاية. وهذا ما فعله الشيخ عبدالعزیز فالعانسات الحبيسات جهلاً، لم ينتظرن السماح لهن بالخروج، وإنما دفعن الباب دفعاً، وخرجن إلى ساحة الورق وميدانه، في عدم ترتيب (وهذا يدخل أيضاً في باب التواضع)؛ ثم يوقف عربة الخيال، وينزل على أرض الواقع، فيتحدث عن حياته التي يروي ذكرياتها أو

مذكراتها؛ والحيرة والغموض كلمات ترددت هي ومثيلاتها في حديثه، وهو هنا يشكو بنعمة هادئة من غموض غلّف ما ينوي الإقدام إليه، سمة كل من تكاثرت الظباء على خراشه، فلا يدري ما يقول، وما يصيد من الأفكار، وما يُخرج وما يُخفي، وما يخرج به وبأي صفة يخرج به.

ومع هذا يكشف في مقدمته أن من بين وسائله المهمة أمام الغامض أو المحير، أنه سوف يحاول أن يفتح مغاليقه بالسؤال، وسوف نجد هذا واضحاً في مقالاته المتتابعة، التي جاءت منظمة تنظيماً مريحاً للقارئ، يعضدها في هذا حسن طبع للكتاب، وحسن إخراج، وحسن اختيار للورق والحجم، وهو أمر من أمور التمهيد لإغراء القارئ بالقراءة، فإذا جاء الماء الزلال في كأس

بلور في صينية جميلة، وقع القارئ أسيراً، باختياره
وبرضى وقناعة منه، وليت بعض من لا يراعي
هذا من القراء يتنبه لهذا، فهو يؤدي دوراً كبيراً
لدى الصبي والشادي والشيخ؛ لأنه ليس كل
إنسان حاد البصر، وفي مزاج للقراءة، فعلى
الكاتب أن يحرص على كل ما يجلب له القارئ،
ويشده.

وتأتي صورة بديعة معتبرة عن وجوب حركة
الإنسان، وعدم وقوفه؛ لأن هذا يخالف سير
الطبيعة، ودورة الكون، ولنا في حركة الشمس
والنجوم والأقمار والليل والنهار، قدوة ونسق،
وعظة واعتبار، لهذا حاول أن لا يستسلم إذا ما
وقف الغموض أمامه، وسيطرت الحيرة على
نفسه، بل امتشق الحسام، وحسامه هنا السؤال،

وقد جعل المسؤول يتعب ليجد الجواب، حتى لو كان المسؤول هو عبدالعزيز نفسه، فعبدالعزیز السائل قد لا يفصح عن ما يميل إليه، ولكنه بمجرد أن سأل أوثق نفسه، وسوف يزيد الوثاق ويشده، عندما يأتي الجواب إيجاباً أو سلباً. هذا الأسلوب لجأ إليه المؤلف في معالجة مثل هذه المواقف المحيرة، أو الغامض منها.

وما دام المؤلف قد وجد منفذاً للحرية بالسؤال، فسوف يلجأ إليه كثيراً، وسريعاً، فلماذا يبحث عن غيره مادام يجده، ولماذا يهمله وهو المنقذ له من حيرته، التي كثيراً ما لازمته؟

سوف نجد في الكتاب شداً قوياً إلى حياة الصحراء: مضاربها، ونبتها، وحيوانها، وإنسانها، ليلها ونهارها، غديرها وجفافها وخصبها؛

لا يكاد المؤلف يعيش معنا إلا لحظات، وكأنه يزورنا زيارة، وينتقد ما نحن فيه، أو يمتدحه، أو يقترح علينا تعديلاً في سير ناقته التي ترك لها العنان، حباً لها وتديلاً، أو يختار بين القديم والجديد، والحيرة تمشي معه أينما سار، يرافقهما غموض هنا، وإبهام هناك، وعممة على بعض الظواهر، وخير مثل للمقارنة بين الماضي والحاضر ما ورد في آخر المقدمة، مما جاء ختاماً لها، إنه ختمها بسؤال لأبناء اليوم: ماذا وجدوا في خيمة نسجها القلق والسأم والضياع؟ لقد ترك أمرهم إلى الله، وهذا هو جواب سؤاله، ونعم الجواب.

١- ذكريات لا أمل تداعيها.

هذا هو المقال الأول في مجموعة هذا الكتاب، وسوف نبين فيه الروح التي سيطرت على مقالات المؤلف هنا، وأبانت عن الناحية النفسية التي كان عليها وهو يكتبها.

تتضح في هذه المقالة بعض الصبغات التي تتردد في مقالاته، فلا بد أن يؤكد شيخوخته، وهو يريد أن يقدم عذراً، ولا يدري أنه في الحقيقة يطمئنا أننا سوف نقرأ لرجل ناضج عرك الحياة، وما سيقوله هو عصارة تلك الحياة، سواء أبان وأوضح أو ألغز وألمز، وصبغة ثانية هو يريد أن يحملنا معه في العربة فنرى حيرته التي لم تفارقه أي الطرق يسلك، وهو في أول مفترق الطرق، وهو يخشى، وله الحق في الخشية، أن ما عنده من

بضاعة لا يقبلها المتردد المديم على سوق اليوم، في عهد النفط وتداعياته، لذا فالكاتب يخشى وهو يعرض بضاعته أن يكون في رفضها رفض للقيم التي أغلاها هو وجيله، وتأبى هذه القيم إلا أن تطل برأسها، فالصبر في الماضي دواء الملل والضجر، والوعظ مثله، وكذلك حكايات الأمهات، وعجائز البيوت.

ثم يصل بالعربة إلى قريته، وهي نموذج لكل قرية في بلادنا، فيكشف القناع عن الصناعة التي كانت تسودها، فالناس لا ينظرون إلى ما هو خارج قريتهم، حركتهم الدائبة لا تخرج عن فلكها. يتحدث عن صلة الناس بعضهم ببعض، فكل بيت فيه قريب لساكن كل بيت، أي أن القرية أسرة واحدة، يعرف بعضهم بعضاً أباً عن

جد، النسمة إذا مرت بالبيوت عرف عنها
الصغير والكبير، لو مر طائر غريب عرف عنه
كل فرد، يعرف عن المولود حين يولد، وعن
الشيخ حين يمرض أو يموت.

يعطي صورة دقيقة واضحة لصلات الناس
الطيبة بعضهم ببعض، فلا كره، ولا رية، ولا
بغضاء، وهو يتلذذ الآن بصور هذه القرية،
وبالذكريات المتداعية عنها اليوم، ويتألم وهو يرى
في الواقع ما آلت إليه، مبانيها وأناسها وحيوانها،
لقد شاخت كما شاخ هو. صورة بديعة ترسمها
يد فنان، لكل قرية من قُرانا، قد لا يدرك دقتها
إلا من عاش ذاك الزمن وهذا الزمن.

الكاتب يسأل شاباً قابله أسئلة هو يعرف
جوابها، ولكنه أراد أن يسمعنا صوتاً غير صوته،

وكأنه يريد شاهداً على ما يروي، وإلا فالشباب
المسؤول ليس بأعلم من السائل، الذي كان من
جملة الراحلين عن القرية، وأحد الذين تسببوا في
أن تلبس ثيابها البالية، لتأتي حفيدة لها تجلس على
مرتفع يداعبه النسيم، دون خوف من غارٍ، أو
ذعرٍ من مهاجم، تنير الكهرباء جوانبها، حتى
أصبح ليلها مثل نهارها، تتنافس مع مثيلاتها أي
منهن تزيد فيها المدارس، والمستشفيات،
والمستوصفات، وحتى صالات الأفراح، التي
أصبحت مظهراً حديثاً ليس في البنايات ولكن
فيما تطور إليه أمر الزواج، والعادات والتقاليد.

ولا يستطيع الشيخ عبدالعزيز أن يُخلي فكره
من الصحراء، ومحتوياتها، ولهذا عندما تنهد، بعد
ما رأى من حال القرية، تنهد شعراً كل ما فيه

صحراء.

أما الخيام فإنها كخيامهم

وأرى نساء الحي غير نسائها

ثم لا يبعد كثيراً، فتأتي كلمة «قافلة»، وكلمة

«فلاة» وكلمة «القمر» وكلمة «مواشي»، والنزول

والارتحال، تعابير صحراوية.

نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا

وكذا الدنيا نزول وارتحال

ويريد أن يعطي عظة، ويهدي عبرة، فيأتي بها

على لسان شيخ يدب على عصاه، لا يُدرى من

أين أتى، ولا أين هو ذاهب، ولكن حكمته

بقيت، وموعظته وُعت، ونال إعجاب الكاتب

فلم يخل علينا بما وعاه منه، وما استفاده، وقد

تنبأ له بأن تغيراً سوف يحدث، وأن لكل امرئ نصيب منه، واليوم قد تغيرت القرية إلى مدينة، وعرف كل إنسان نصيبه منها.

وأبو الطيب المتنبي شاعر لم يفارق أهل نجد في حياتهم، يعرفه منهم العالم والجاهل، وكان هو سفير الأدباء والمتأدين، من لا يعرف المتنبي وأشعاره وحكمه؟ فهو خارج عن هذا الوجود، وأبو عبد المحسن من المعجبين به، ولعله وأمثاله، كانوا ممن حُبب الناس للمتنبي، ولهذا أشعاره في الحكم حاضرة في ذهنه، تنتظر أن يفتح لها الباب، وهما هو أحد أبياته يخرج بعد أن جاء دوره للخروج، واستدعي لذلك:

جوهرة يفرح الكرام بها
وغُصّة لا تستسيغها السّفلة

ثم يستفيد أبو عبدالمحسن من هذا البيت،
ويلبس وصف السفلة من يختارهم: «والسفلة
هم هوامش التاريخ ومناققوه ومزوروه».

ومن هذا ينفذ قوله إلى فكرة منزوية في ذهنه،
قرّبها الحديث في هذا الشأن، فيتساءل متى يُنخل
التاريخ، ويُصفّى، ويُخرَج منه ما يخالف الحقيقة،
ويبقى ما يمكث في الأرض، مما يكون مرآة
ناصعة تهدي إلى الحقيقة، ليتعظ الناس،
وليطمئنوا إلى أن فكرهم لم يجرح، وأنه قد احترم
من المؤرخين، وإنّ عهد الاستهوان بالعقول قد
ولّى.

كلمات تحمل هموم كثير ممن يؤمن بأن الحقيقة
هي أجمل ما يتحلّى به الكاتب، ولكن طبيعة
الحياة، وظروف كتابة التاريخ، وظروف الإنسان

تأبى إلا أن تغلب على الأماني والآمال، وسيبقى
تلوين التاريخ ما بقي في الدنيا لون، وما بقي عند
الإنسان حب للزخرف، وتمتع به.

٢- ما أجهله لا أحتسبه على اليقين

عنوان المقال الثاني في الكتاب، وهذا قول؛
الحق فيه ناطق، فالمرء لا يتيقن إلا مما يعلم علماً
ثابتاً لا مرية فيه، فماذا يجهل الشيخ عبدالعزيز،
وماذا يريد أن يعلم؟

يبدأ قوله بالحيرة والغموض، وهما أمران
رافقاه طوال رحلة الكتاب، حيرته هذه المرة تجاه
خواطره وذكرياته، ومحاولتهن الخروج إلى الهواء
الطلق بعد أن ضقن ذرعاً بحنان صدره، وهذا ما
برهنه القول فيما بعد، أما فيما قبل فيظنهن
عابرات سبيل، لن يمكن طويلاً داخل نفسه.

يلعب الشيخ عبدالعزيز برأسه ورؤوسنا في المقطع الثاني، ويأتي بالعماد الثالث في أسلوبه، وهو أسلوب التساؤل الذي أغرم به مدخلاً لحديثه أو مخرجاً منه، هنا يصعد وينزل، ونحن معه، فهو يجسد التساؤلات مثل ابن آدم تماماً، لأنها شمرت عن ساعديها، عندما التجأ إليها، وبدلاً من أن تعطيه جواً يريحه، أقامت سداً من الردود متصفاً بالفوضى، فحجب هذا عنه ما أمل في معرفته، ولا يعرف ببدء نفسه حتى يجد طريقه إلى اختراق هذا السد، ثم يلجأ إلى «لو» و«لو» حبل معلق في الفضاء، لا يسمن ولا يغني من جوع، ونفسه لو أبصرها لعرفها، ولكنه لا يجد إلى ذلك طريقاً، إلا طريق النوم والحلم، وهذا لا يأتي بالحل، لأن الحلم يحتاج إلى مفسر، فيكتشف

أن غموض الحلم، والاختلاف في تفسيره هو
سمة كل حياته في اليقظة، غموض في غموض.
ويأتي النصيح من خارج نفسه بأن يقتنع بمظاهر
الحياة، ولا يحاول الغوص عمقاً، فالغائب غائب،
ثم يلمس هذا الناصح العِرْق الحساس عند أبي
عبدالمحسن، فيذكره ببعيره الذي هو متعلق به،
ويطلب منه أن يكون مثله في قطع الطريق، وقد
عرف هذا الناصح كيف ينجح نصحه، فلا شيء
يطرب أبا عبدالمحسن إلا الصحراء ببعيرها
وجوادها ودوابها.

ومادام قد ذكره بالصحراء فليس من السهل
عليه أن يتركها، ولهذا أعقب قوله بقول عنها،
وعن نفسه، وعمّا يدور فيها، ويجول، فالحياة لا
تلد إلا المعاناة في «بيداء عاصفة بالهموم

والضنى». والأوجاع والتوجع ظلان للهموم
والشكوى.

والسنون، وتحديدھا، ھاجس لا یھملھ، وھو
الآن یذكر الثمانین ویحددها لمجموع ما سیعود
إلیه من ذکریات، وأحاسیس، لیقرأ ما کتب فی
سفرھا، وکما هو متوقع من طریقة الشیخ فی مثل
هذا لم یجد فی سفرھا شیئاً، ولیتھ یغرف لنا من
هذا العدم، ویکثر، فما یراه هو نحن لا نراه، وما
لا یعدُّه نحن نعدُّه، ولكنه لا یصبر عن فتح الباب
إذا طرقت من الداخل الطارقات المسجونات ثم
یجذبه التساؤل، وكأن فیھ له سحراً، ویأتی
التساؤل فی هذه الحال حاملاً الملامة والعتاب،
لأن المتوقع أن هذا السفر حافظ للأمانة، فلماذا
دار الشریط دون أن یسجل، وهل حقیقة أنه دار

دون أن يسجل، أو أن الصوت ترك خافتاً، فلا
تسمعه إلا أذن لاقطة هي أذن صاحبه، أما نحن
فيطوح بنا يمينا ويساراً. ويوغل أبا عبدالمحسن
في التجسيد ويجعل السفر يقف مناضلاً، ومجادلاً،
فينكر معرفته للشيخ، وينكر أن بينهما انسجام
واتفاق، ويتلو ذلك اتهام بأن ذكريات الشيخ ما
هي إلا هوامش اختارت التخلي عنه، وهو نفسه
لا يرى أنها تصلح أن يطلع عليها أبناؤه، وما
دامت ليست من النوع الخالد، فخير لها الوأد،
هنا عجز عن أن يبعد عن روح التواضع التي كلما
أراد أن يدخل حقل فخر تركه إلى صعيد ناء
ليزوي نفسه فيه، ثم يعطف عليه سفره ويحنّ،
ويعزيه بأنه ليس الوحيد في هذا، بل الناس كلهم
لهم ذكريات لا يريدون أن يعلمها إلا خالقهم

الذي يؤملون أن يضيفي عليهم ستره عما حدث
قبل بلوغ الرشد، ولعل بلوغ الرشد في رأيه هو
سن الثمانين حيث لا يناصره من شطحات الحياة
إلا العجز وما أقدر العجز على الخذلان!

ثم يوغل في الرمز عندما يتحدث عن الخفيات
التي تغصه، وتوجعه بطعناتها، ومع هذا يتقبل
ذلك فلا يضجر، ولكن هذا الرمز يعطينا المجال
لأن نتلمس ما وراءه بحرية قد لا تتحملها
الألفاظ أو الجمل التي أوردتها، ومرة أخرى تبرز
الحيرة فيشكو منها، ومن عجزه عن التخلص
منها، لعل قدمه تجد الطريق الذي تسلكه بدلاً من
الوقوف في مفترق الطرق مشدوها، ولا يشترط
أن يصل إلى الهدف ويكفيه أن يسير نحوه، حتى
لو سقط من الإعياء دونه، فالنية كافية، وليس

السقوط من الإعياء هو العائق الوحيد، فهناك قطاع الطرق، وهم قطاع طرق محدثون، ليسوا كقطاع الطرق السابقين، هؤلاء المحدثون هم السبب في عشرة الإنسان الساذج، العشرة الأولى، التي تجر إلى عشرات، وهي ما يود المرء أن يتداركه الله منها، ويستر عليه ما يقع فيه من أدرانها.

وتطل الهموم مرة أخرى برأسها، ومعها التساؤلات، التي يرتعب من النطق بها أو كتابتها، وهي تساؤلات يراها هيبية، يخشى وسوستها، لهذا يلجأ إلى الله أن يحميه من تعرضها له، حتى لا يضطر للاستسلام لها، أما من جانبه فهو يحاول أن لا تقف في طريقه حتى الممات.

ومن الهموم والتساؤلات إلى الحيرة والجهل، وطلب النور ليخرج من هذه الظلمات بعلم

العالم، بإذن الله، ووعظ الواعظ، ويجسد الجهل، كعادته في طلب التأثير، فتساعده الاستعارة على تصويره رجلاً يغلق عنه أبواب المعرفة، ويرمي مفاتيحها إلى حيث لا يعلم، إلى المجهول، تعبیر يألفه، ولا يفتأ ينطقه. ثم يتبين أن واعظ المسجد وُقِّع أكثر مما وفقنا، فاكشف أن الكاتب خائف، وتبين أنه قد تدبر الكون، فرأى أن كل من على هذه الأرض آمن إلا الإنسان، قد يكون لأن الإنسان عميق الفكر، وبقية خلق الله محمية بضحالة فكرها، ووصية الله للإنسان أن يعتني به.

وشعر أنه أبطأ عن التلطف بالغموض، والغموض كلمة أضحت من لوازم صور هذا الكتاب، فجاء بها في المقطع التالي على أحد

الألسنة، ولعله لسان واعظ المسجد، وأعطاه مفتاحاً لطريق يسلكها توازي الطريق الذي سوف يسلكه معطيه المفتاح، على أن يلتقيا في نهاية الطريق، فكرة رمزية عميقة، تحتاج إلى ثياب غوص كفيئة، ليصل القارئ إلى بُعد مراميها. ويخدع الشيخ عبدالعزيز محدّثه بأنه مستغرب من حرصه على اكتشاف غموض المجهول، والحقيقة أنه هو الحريص، لأنه الواقع في الغموض، والطالب لكشفه، ولهذا أعطى الحقائق التي وصل إليها عن هذا الكون، ومظاهر الحيرة فيه، نتيجة الغموض، ثم تنكسر القوة، وتفترُّ حدة النقاش، ويلجأ الشيخ عبدالعزيز إلى ركنه الدافئ المعتاد في الصحراء في «عالم الخيام والبعير والبدواة»، مدرسته التي يرفع اسمها على سارية

عالية، ترفرف بالفخر، وتباهي شرفاً ورفعةً، ثم يتواضع ويصف نفسه على لسان مخاطبه بالجهل لهذه النتيجة.

ويقفز من أعمال النفس، ومن كهوف الذاكرة، صدى تهمة الحضر للبدو، في تأخر مجتعمهم، وازدراؤهم لمحيط الصحراء: «نظرت إليه وهو يوبخني، ويزدري خيمتي، ويعيري، وبدائوتي» فاهتز كيان الشيخ المكدود، ويذكر مزدريه بأن الخيمة والبعر والبداءة هي الأساس الذي انطلق من منصبه الصاروخ إلى القمر، لو فكر الإنسان وتدبر لوصل إلى الحقيقة، وكان هذا فراق مؤيد بين متجادلين رضى كل منهما بما اختار، ولكن شيخنا ذهب بملء يديه من حكمة تبجيل التجربة، وعصارة السنين، ونور الحق.

٣- أصل المئذنة وأقول لا وألف لا

الشيخ عبدالعزيز التويجري لا يقبل التعبير الساذج، لأن الفكرة شريفة، وأسلوب إظهارها لابد أن يكون شريفاً مثلها، وتجسيد الصور المجردة أحد أساليب الشرف في الكتابة، لهذا بدأ هذا المقال بصورة يعشقها، ويرسمها دائماً، وإن اختلف الرداء الذي يكسوها به عندما يريد أن تقابل القارئ. الأفكار عنده مخلوقات مجتمعة في مكان باب مغلقة، وبمجرد سماعها لمزاج الباب، تتزاحم على الباب عندما يبدأ في فتحه، ويقوم جدل بين المتزاحمات كل واحدة تريد أن تسبق الأخرى، يتساوى في ذلك من ملّت الحبس، أو من تطلعت إلى الهواء الطلق، ومقابلة الناس.

يسمع الشيخ جدل تلك المتزاحمات، ويريه

بعض ما يسمع، فينسى التجسيم الذي تبناه
لأفكاره، فيُخرج الحديث من «سلب» التجسيد
إلى «سلب» الواقع، ثم يطل الخوف مرة أخرى
أمامه، ويرتاب من الطريق الذي سلكته الفكرة،
ولماذا لا يخاف «فما في الطريق اليوم أمان لماش على
غير هدى». ثم يدخل في الذكريات، وما يشده
دائماً هو ذكريات الصحراء، وهنا نجده يكشف،
دون أن يقصد، عن مدى ثقافته في الأدب العربي،
ورجاله وشعرائه، ويذكر ثلاثة من فطاحل
شعراء العصر الجاهلي، وكأنه يوحى لنا بأن هذه
مدرسته الابتدائية، التي رضع لبانها، وشب لحمه
على حلاوتها وخيرها، ثم تبدأ ريشته تتحرك
 لترسم حياته الاجتماعية في صغره، متنقلاً من سن
إلى سن، ومن حياة إلى حياة، ومن مجتمع إلى

مجتمع، حتى اللحظات التي هو فيها «شيخاً
حادياً على أوراقه، يناجي نفسه، ويسأئله...»
وتساؤله عميق كما هو المعتاد منه، مختار فيه لمعرفة
من يصنع الذكريات أهو الإنسان الذي يمشي
على الأرض، أم الزمن الذي يدلف به من عهد
إلى عهد؟

وتشده ذكريات الطفولة، فيقف قليلاً عندها،
ويتوجد على سذاجتها، وخفة حملها، وغياب
الهموم عنها، فيها يعيش المرء من يومه ليلته،
لغده، وهكذا دواليك، ويعبر عن كل ذلك
واضعاً في جُمْلِهِ من زهور الصحراء ألفاظاً،
يعجبه أن «يتلمظها»، كلمات مثل: «يجتر»
و«الماعز» و«حشائش الصحراء» و«الرياح»
و«روائح الخزامى»، و«الجمال» و«الناقة»،

و«أخفاف الإبل» هذا كله في مقطع واحد من
مقاطع هذه المقالة البالغة أحد عشر مقطعاً. كلها
تدور حول العنوان.

ثم تأبى الثقافة إلا أن يكون لها حيز أكبر من
حيز رجال الجاهلية، فيتناول الكاتب غصناً من
دوحة الوطن، ويتحدث عن بدء الإسلام
واندياحه في أرض الله الواسعة في ظل رايات
أبطاله، ويُعدّد منهم من كان في الرعيل الأول.

ثم يعود إلى ذكرياته، فيعجن خبزها مع تمرها
مع لبنها، حقائق ألُبت ثياب استعارة جمّلتها،
وزينتها، وأوضحتها، فالليالي والأيام لها أعناق،
وهناك جواد للإنسان والحيوان في هذه الصحراء،
والإنسان لا يريد أن يركب جادة الجهل، إذ ليس
هناك إلا السراب والعطش، وللسراب حكمة

يستشفها العاقل، والتجوال هذا يذكر بتجوال
الذكريات داخل جواد النفس، وسرعان ما يقود
بعض هذا إلى الحيرة، منتهى كثيراً ما يقف عنده
طريق الشيخ. «مالإنسان؟» «ما يعده في عالم
البعد اللامتناهي»!! ماذا عنده من ذكرى بعيدة
أتى بها معه إلى هنا؟».

وتأخذه الحيرة، فيوغل في الفكر، ويتساءل عن
أمسه ويومه وغده، ويتخيل العالم بأجمعه معه في
غرفة نومه، يجادله ويخونه في الجدل ضعف في
جوانب نفسه، مما يعيد له حيرته، وقلق يشاركه
النهار والليل والتاريخ والإنسان الذي كتب
التاريخ، أو كُتب باسمه، ويأمل أن يحدث
«تصالح بين عصر وعصر، وماض وحاضر
ومستقبل».

لقد ابتعد عن الصحراء، وهذا في نظره
عقوق، فتشده إليها يد الوفاء، فيعود إلى جملة
وخيمته وصحرائه ولكن في الذكرى، وليس في
الواقع، لأن عصره قضى على الجهل، وأحرق
الخيمة، وحول الصحراء إلى مدن، وألبسها لباساً
جديداً، وإن طُلب منه نسيان هذا فلن يقدر،
ويخشى من مستقبل لم تتبين حتى الآن معالمه،
فهل يصل الأمر به إلى أن يلبس لباساً غير لباسه،
ثم بعد هذا، وإن تمسك بلباسه، وتمسك به ابنه،
وابن قومه، ماذا عن الأحفاد؟ حيرة وغموض،
وقلق، وهم، وخوف.

التساؤلات كثيرة، ولو سمح لها أن تتألى،
واستقبلتها الأقلام والأوراق لاحتاج رصدها
لعشرات السنين، دون أن يكتمل الجواب.

ويشتاق إلى الصور البيانية، أو تشتاق إليه،
فيعمد إلى أداة رسمه، فيصور القرون كائناً حياً
يمشي هزياً في وعيه، فيأتي له بما لا يريد مما تدفعه
الأيدي الأجنبية إلى الوطن العربي، سلاسل
وقيوداً تحت صور النفاق السياسي، والخداع
المكرر.

ثم يتسع الجرح، ويخرج الشيخ إلى الوطن
العربي بآلامه، وابتعاده عن ماضيه، فلو أُجري
امتحان من ذا الذي سوف ينجح، الظواهر تدل
على أن الناجح القذيفة والجهل، والنتيجة: «تجدد
الآلام، والمصائب، والنكسات، وترث المفاهيم،
وتتعد الحياة».

ويجسد صورة أنثوية، قد تكون فكرة، وقد
تكون ذكرى، وقد تكونان معاً، هذه المؤنثة

اقتحمت عليه خلوته لتخبره بما تَغيب عليه،
وتأتي هنا الحيرة فهل عابت عليه عهد الصحابة،
وتطلعه إليه، وإعجابه به، أو أنها لا تدري بهذا،
لأنه في داخله، ونقدها منصب على ما تراه منه
ظاهراً، مما يدل على جهله بمصادر قوته المادية
والروحية والخلقية والعقلية، لأنها تنظر بعين
العصر الذي: «كله إبداع: عقله وتفكيره
وغرائزه». هذا كله مبطن بالتواضع، كما هو
المعتاد منه عندما يحس أنه دخل حيزاً لا تغطيه
تجربته البدوية، في عين بعض المعاصرين.

ويؤكد تواضعه بجملة صريحة، يستهل بها
مقطعاً من مقاطع مقاله: «أتساءل لأي رجل
جاهل». فيشرح مظهر هذا الجهل بما يعتقد
مقبولاً، ولكنه غير مقبول للقارئ إلا إذا أخذ

مدخلاً نبيها لما جاء بعده من أن علمه لا يفرضه
إلا على قلمه وأوراقه، يهمس في أذنبا ببعض
مشاعره وأحاسيسه، وذكرياته عن الخيمة
والجهل التي أصبحت، عند هذا الجيل، في
متحف التراث.

وفي الختام:

وفي الختام أكتفي بما سبق في المقالات، وهي
نموذج لما يمكن أن يسير عليه الفكر في بقية
الكتاب، ولو وجدت الوقت لتتبع الأبواب
باباً باباً، ولكن خوفي (أستعير الخوف هنا من
معالي الشيخ عبدالعزيز) ألا أجد الوقت سريعاً
وهذا ما جعلني أكتفي بما فكرت فيه بصوت
مسموع، وحسبي أنني أبنتُ مجرى فكري فيما
قرأت في هذا الكتاب الذي أعدتُ قراءة بعض

أبوابه أكثر من مرة، واخترت أوقات السفر التي
أجد أن لا يقطع عليّ تفكيري أحد، وهي ميزة
يعرفها كل من نهج هذا النهج.

والكتاب الذي نتحدث عنه كما جاء في عنوانه
ذكريات من الماضي تصحبها أحاسيس، وكل
ذلك صيغ بثوب من الاستعارة قشيب. لم يُكتب
هذا الكتاب للإنسان المعتاد، ولو كان الأمر
كذلك لما اختير هذا الأسلوب البياني الجذاب.
يحتاج القارئ إلى التأنى في القراءة، وإعادة الجملة
مرة، أو مرتين، أو أكثر أحياناً، ليتمتع بها، أو
ليحيط بمراميها، القريبة والبعيدة، وليفك
الاشتباك بين بعض المعاني والجمال، لما فيها من
تداخل سببه تزاخم المعاني ومحاولة كل معنى أن
يسبق الثاني، والمؤلف المسكين صار في بعض

المواقف مثل خراش الذي تكالبت عليه الظباء،
فلا يدري أيها يصيد.

وأحياناً يحتاج القارئ أن يعيد قراءة المقطع من
المقالة ليعرف مؤدى مجمل القول، وأحياناً يضطر
إلى العودة لعنوان المقال ليعرف موقع المقطع أو
الفصل منه، وهذه سمة الكتب الجادة، ذات المادة
المهمة.

أعطى المؤلف مجملاً لصورة الذكريات حتى
أصبحت وكأنها لا تخص المؤلف، وإنما تخص
جيله، وأحاسيس جيله، وهذا موطن من مواطن
قبول الكتاب قبولاً حسناً، لأن الحديث عن
النفس أحياناً ينفر، ولكن الحديث عن الجيل كله
حديث جذاب من أول وهلة، لأنه صورة لحقبة،
والشيخ عبدالعزيز عندما تحاول نفسه أن تخدعه

ليتكلم عنها ينفر نفور الطير، ويلقمها مبدأً عاماً،
أو تصرفاً عاماً، لمجتمع عاش فيه هو وغيره.

لا يستطيع قارئ أن يخرج بالفائدة المطلوبة إذا
ما اكتفى بقراءة مقال من الكتاب أو بعض
الكتاب؛ لأن الكتاب صورة واحدة، لا تقبل
التجزئة، خاصة وأن الأبواب كل باب يسلم
القادم إليه إلى ما بعده، فأنت في يد أمينة من أول
مدخل إلى خاتمة المطاف؛ وليس للقارئ عذر،
فالطباعة جميلة، والحرف ليس صغيراً، ولون
الورق مختار، وحجم الكتاب سهل الحمل
والتناول.

في الكتاب علامات على الطريق يراها القارئ
طوال الرحلة: فالصحراء والخيمة والبعر والماعز
والضأن والإبل والخيول، والشمس والقمر
والرياح والمطر، والوديان والرياض، لا تفارق

المتلفت أثناء الرحلة يمينا ويساراً. والراحل
سوف تجده في حالة من الصديق مع النفس ومع
الناس، فهو في حيرة تجاه بعض ما لا يستطيع سبر
غوره، لغموضه، وعسرته على التفسير ذي
النتيجة الجازمة، ولهذا فالخوف ملازم له،
ويضطر في محاولة لفهم ما عليه أستار أن يلجأ إلى
السؤال، ولكن السؤال قد يأتي بسؤال، وقلما - في
هذه الرحلة - أن جاء الجواب قاطعاً شافياً.

أعظم خوف احتل نفس المؤلف الخوف من
المستقبل لشباب البلاد، ومن الزحف الحضاري
في العالم، وهو زحف سريع، ومخالف لما عرفه
المؤلف في حياته الطويلة. فصور هذا العصر في
عينه معتمة، ويخشى ويخاف أن تزيد العتمة
فتتمحي المعالم المعروفة، وتختفي الصورة، وهذا
أمر مرعب.

وسيرى القارئ أن من أساليب المؤلف التجسيد، وجعل الأمور المعنوية كأنها كائن حي يمشي على قدمين، فيجعل هذا الكائن يتحدث بلسان يعتقد المؤلف أنه أفصح من أن يُتكلم باسمه، واختيار الصورة الخيالية التي بهذه الصفة تحتاج إلى مقدرة في الإلباس وفي الاستنطاق.

سيجد القارئ أن المؤلف استطاع التعبير عن بعض جوانب الحياة التي قد لا يستطيع أحدنا أن يتقن الحديث فيها، إما لعجز مفرداتنا أو أسلوبنا، أو لعدم تكامل الصورة في ذهننا، ولكن المؤلف استطاع أن يقول ما كنا نريد قوله فأجاد وأحسن، وفي الكتاب عدة لمحات من هذا، وأقربها إلى ذهني الآن حديثه عن طفولته التي لم تكبر رغم احديداب ظهره، وليس هو وحده في هذا كما ذكر ولاحظ، ويتبع هذا تعبيره عما ترميه

سني الطفولة على سني الكهولة والشيخوخة.

أما التعابير البديعية فالكتاب يكاد في كل جملة أن يحويها، وهذا مثل منها: «نامت على عضد الزمن» في العنوان، «نرعى مواشينا الذهنية في هوامش التاريخ» في فصل: ذكريات لا أمل من تداعيتها. «أتوق الآن أن أزرع على ورقي شيئاً من أشجار الطريق». في فصل: لا أزرع شجرة لا تظل متعباً.

«سأبقى طفلاً أحاول أن أرضع العبر من ثدي الحياة» فصل: لا أزرع شجرة لا تظل مُتعباً. «وأخذها رديفة له على جمل العلم»، فصل: ألا تعودين يا راعية الغنم، «وأخاف عليها عضلات العصر»، فصل: ألا تعودين يا راعية الغنم، و«ليتني أحلب من ضرع ذهني»، فصل: ألا تعودين يا راعية الغنم.

هذا قليل من كثير من صور مضيئة بالبديع
ومحسناته، سوف تفتح لك باباً إن كنت ممن قد
ولع بهذا الفن في إحدى دراساتك أو قراءاتك.
وبعد:

الكتاب سوف يملأ فراغاً في رف المكتبة
السعودية، وسوف يكون إضافة مُرحباً بها في
رف المكتبة العربية، ولا يوفيه حقه - كما قلت -
إلا قراءة متأنية، لستم بها الفائدة، والله المستعان.

عبدالعزیز الہویطر

١٤٢١/١/٢٢ هـ

مع الدكتور غازي في أبيات القصيدة^(١)

من الأمور التي تميز بها معالي الأخ الأستاذ الدكتور غازي بن عبدالرحمن القصيبي صوابُ اختيار ما يكتب عنه، وحسن انتقاء عناوين ما تجود به قريحته الثرة: كتاباً كان ذلك، أو مقالة، أو محاضرة. ويلمس القارئ أو السامع في هذا إبداعاً، ونمطاً جديداً. وهذا، بدوره، يلفت النظر، من أول وهلة، إلى ما يكتب، ويشدُّ من رأى العنوان إلى الرغبة الملحة لمعرفة ما تحت العنوان، فإن أوحى بالبساطة فوجئ بالعمق، وإن أوحى بالعمق فقد يفاجأ بالبساطة الشَّاذَّة، مع الفائدة المتكاملة، وقد يكون وراء البساطة أمر

(١) كتبت في ٢٦/٨/١٤٢٥ هـ وأرسلت للنشر في صحيفة الجزيرة.

دفين عميق.

وأخر كتاب له: «أبيات القصيد» (مكتبة
العبيكان) قد يبدو العنوان بسيطاً لأول وهلة،
ولكنه في الحقيقة مليء بما يطر الذهن بالصور.
«أبيات القصيد» تماثله أغصان الدوحة، أو
شجرة اللؤلؤ، أجزاء مشعة في قناديل ضياء، قد
يكون هناك قبل الدكتور غازي من انتقى
مختارات من دواوين متعددة، صبّ فيها ذوقه،
خاضعاً لما يحيط به من ظروف البيئة والتعليم،
واعتياد الناس، والذوق العام المسيطر في زمنه،
ولكني لا أذكر، وإن كنت في هذه الأيام لا أعتمد
على ذاكرتي كثيراً، وأتهمها، بحق، بالتخلي عني
بعد الصحبة الطويلة، أني قرأت أن شاعراً انتقى
أبياتاً من قصائده هو، فإن صح ظني فالدكتور

غازي هو أول شاعر يقع طائره على هذا الغصن
المياد. تُرى ما الذي حدا به أن يفكر في هذا الأمر
غير ما صرح به في المقدمة. إنه الإبداع والفن،
فقد رأى في بعض الأبيات ما قد لا يراه غيره،
وأحب، وهو الآن يدب على ظهر هذه الأرض،
أن يبرئ ذمته، وأن يكتب وصية حب لأبيات
بعينها، تستحق في نظره «الوصية الواجبة»، لأنه
أراد لها أن تأخذ نصيب الأسد من عاطفته،
وليضمن أن لا يعيش النور الساطع في قصائده
عين القارئ عن رؤية ما في هذه الأبيات المختارة
من نور ساطع، وجاذبية قوية؛ فالقارئ قد لا
يفطن لذلك ما لم يهز الشاعر الذي قالها، والذي
يعرف ما وراء ظاهرها، كتف القارئ الغافل،
ويقول له: هذه هي الأقرب إلى قلبي، وهي ابنة

خفقة من خفقاته.

الطيف، والحلم، والانسباب، سمات من
سمات الشعر الرقيق، وقد اجتمعت في «الطيف»
(ص: ٩):

طيفاً قدمت .. كأنه حلم الصِّبا

ينساب في قلب المشيب المعتم
صورة رُسمت بريشة أمينة، فيها ذكرى جميلة،
لم يمحها الزمن، تسالته، وكأنها حلم سمح له
النوم أن ينساب في قلب هصره الزمن حتى أعتم.
ومع هذا فالشاعر في لذة ونشوة، ولا يستطيع
أحدنا إلا أن يحصر ذهنه في هذه الصورة، التي
رفت على ريشة قلم الشاعر، وهي تُقبَّل صفحة
الورق الناصعة، بعد أن تمتع بها الفكر، طاعة
لصدى رجفات القلب.

وفي بيت آخر: «عطاء» (ص: ٩)، نحن أمام
ميزان عادل، في كفة منه مادة ملموسة، لها حزب،
ولها أنصار، وكفة أخرى معنوية لها حزب، ولها
أنصار، ولها مقدرون. الأولى فيها مادة زمنها
محدود، ولمعتها لمعة «لمبة ماغنسيوم»، خاطفة،
والثانية فيها مادة باقية، لا حدود لزمنها، بل إنها
مثل كل العاديات كلما مر بها زمن أهداها إلى
الزمن الذي يأتي بعده، متأكداً، أنها وهي تدرج،
سوف تجمع قِيماً لا تقدر بثمن. وفيها إحياء
بمعنى وصورة لمن اختار طريق صاحب الدرة:

إذا أعطاكِ غيري عقد ماس

منحتكِ من عيون الشعر دُرّة

قد يمر بهذا البيت من لا يتنبه إلى ما فيه من
صور مضيئة، لكن المتمعن لاختيار الشاعر لهذا

البيت يصحو من غفلة، لو رجعنا إلى القصيدة
كاملة نجد أن الشاعر خلق في جو التميز في هذا
البيت.



و«خianat» (ص: ٩) تنبئ عن سخط الشاعر
على بعض من في زمنه، فنفت نفثة أحرقت نهاج
عانت في بعض المجتمعات، والشاعر بسهولة
اللفظ، وعذوبة السبك، وصدق المعاني، أعطى
الفكرة حقها من البروز، ورشح البيت للامتياز،
فوقع عليه الاختيار:

قلت: «خianat» .. وهل بينكم
إلا الذي أبرم عهداً .. وخان؟
يلاحظ أن الشاعر لم يقل: «وهل أنتمو إلا
الذي»، وإنما اختار الكلمة الدقيقة التي أرادها

فعلاً.



وكلمة: «القبلة» (ص: ١٠) قد تنقل قارئ البيت إلى معنى القبلة المعتاد، فيظن أن الشاعر رسم صوراً بهلوانية، أو قال قولاً مطروقاً؛ كيف يلثم البر والبحر، وما يسير عليهما، والبدر والليل والسمار والنغما. قد يُظن أنه إنما عدد كلمات شعرية، ولكن عند التمعن نجده يرمي إلى نشر المحبة والسلام والتآخي، وحب الخير، والبعد عن الأثرة، والسعي في إيجاد الروابط الاجتماعية بين الناس؛ فإذا عمت هذه الأمور البر والبحر، ومن عليهما، وشملت الأفلاك، وما يحدثه دورانها، وكلّ شيء مادي ومعنوي، فقد عمت السعادة والإخاء، وانقشعت السحب الداكنة،

وحل النور محل الظلمة. لهذا اختار أن تكون هذه
المعاني في هذا البيت:

لثمت برًّا .. وخليجاناً .. وأشرعة
والبدْرَ .. والليلَ .. والسَّمارَ .. والنغما
ويذهب الشاعر في رسم الصور التي في ذهنه،
فيأبى إلا أن يسمح للروح الشعرية لأحد فطاحل
الشعراء الماضين، أن تصب على سن قلمه حكمة
لا يشك أحد في صحتها، فرغم أنه يعاني في
داخله أوجاعاً أخفاها، إلا أن ظاهر سعادته حرك
حسد الحاسدين: «خفية»، (ص: ١٠)

أخفيت عن كل العيون مواجعي
فأنا الشقيّ على السعادة أحسد
قال هذا القول الصائب بألفاظ اليوم

وأسلوبه، ولم يقل كما قال السابق: «حتى على الموت لا أخلو من الحسد». فغازي أخفى مواجهه، وجاءه الحسد على شيء أخفاه، فلم يعلم به من حسده؛ ففي البيت إخفاء، وفيه إظهار، وفيه شقاء، وفيه سعادة، وفيه الشاعر، وفيه آخرون. صورٌ تتحرك أمام القارئ، تقول إن هناك ما أوجب الاختيار، وفي البيت فخر للشاعر على الإتيان بهذا المعنى على هذه الصورة، وفيه ثقافة تطلّ ملحّة، تبين مخزون الشاعر عن ألم الشعراء السابقين.



ويُخفي الشاعر حبه الخير للآخرين تحت عنوان: «المروءة: تعريف» (ص: ١١)، فيجعل غصناً من غصون المروءة يحب الخير لغيره، فإن

سهرت عين مما ألمّ بصاحبها فمشاركةً في الشعور
يسهر هو معها، لا ينام ملء جفنيه وهناك عين
جانبها النوم. إنه من غير المروءة أن يفعل غير ما
فعله من مشاركة على الأقل إذا لم يستطع إزالة
أسباب السهر:

وإن سهرت مُقَلَّةٌ في الظلام

رأيتُ المروءة أن أسهرا

وحبه للخير يدفعه إلى «المدينة الفاضلة»

يريدها لعالمه الذي يعيش فيه: «عالمي» (ص:

٤٢)، عالم مضيء، مليء بالخير، والحنان، لا جوع

ولا معاناة، لا حرّ ولا قرّ، ويريد إبصاراً

للأعمى، وسمعاً للأصم، وبرءاً لطفلة أقعدها

الشلل، والشلل صورة تقض مضجعه:

أريده لبني الإنسان .. يحضنهم
أباً يوزع في أطفاله النعمة
أريده دون جوع .. دون مرتعش
في الريح .. يحلم لو سال الدجى كرماً
أريده يمنح الأعمى نواظره
ويمنح الطفلة المشلولة .. القمماً
لهذا كانت جهوده في إيجاد مثل هذا العالم،
وسعيه إلى أن تحقق حلمه في مشروع مركز
الإعاقة، الذي تبناه حتى وضعه في يد أمينة.

* * *

ويحمل هموم الناس على طاقة قلبه، فدمع
مخفي في ظلمة الليل يسيل دمع عينيه، ويبقى
مشاركاً الورى في معاناتهم، والناس يصفون هذا

العمل خطأً بالعبرية: «العبرية» (ص: ٤١).

كل دمع سال في الليل على

وجنة .. يترك أجفاني ندية

واجماً .. أحيا معاناة الورى

ويقول الناس .. «يا للعبرية!»

ولتأكيد جانب الخير يأتي بالضدين في «قوافي

الحب» (ص: ١١) فالحب عدو الصلب، والصلب

إن نجح في أول الأمر فالحب له البقاء مع مرور

الزمن. نظرة غازي الفاحصة تؤكد نظريته

للحياة، فهو مع الجانب المضيء فيها:

وتبقى قوافي الحبّ إذ يعبث البلى

بمن علقوا قيساً على آلة الصلب

لم يقل قوافل الحب، وإنما قال قوافي، لأنه

شاعر، والقوافي من دكانه، وبضاعته، وترك لي،
وربما لغيري، كلمة: «القوافل». و«قيس» رمز
يعرفه القارئ، ولا تضيء الفكرة إلا بهذا التعبير
الرمز.

وللتأكيد من طغيان النور على الظلمة في ذهن
الشاعر والخير على الشر، والبهجة على الغم،
يلبس بيتاً من قصيدة ثوب المبالغة في «مبالغة»
(ص: ١١)، وفي هذا البيت يتبين مدى تغلغل
العاطفة السمحة في خياله:

لم تكوني في خيالي امرأة

كنتِ فجراً باسم النور .. دنا

وزهو الشاعر بدوره في الحياة يُصطاد الدكتور
غازي في مبالغة أخرى، وفخره هنا مقبول، لأنه
يأتي ضمن إطار قانون الشعراء الخاص بالادعاء

المتسم بالمغالاة: «مخترع» (ص: ١٣):

لا تسألني عن معاناة تمزقني

أنا اخترعت الظما .. والسهد .. والملا

وتغلبه الذكورة في «الشبح» (ص: ١١)،

وينسى رقتَه فيأمر محبوبته أمراً، ويحذرهما، ولعله

يريد أن يرعبها تكملة لصورة الأمر. هذه قاعدة

عند الرجال، يأمرهم ويتوقعون أن يطاع أمرهم،

وهو هنا يصدر أوامره إليها أن تقوم، وتفتح له

الباب: «بالمعروف» وإلا .. فسيأتيها شبحه

المخيف الباكي، في يوم مقبل، فيفتح الباب

عنوة، ويخرج من مفاصله، وسيغمى عليها من

هول الموقف، وهو منظر مخيف.

هنا ينسى القارئ الشاعر ورقته، ولا يتذكر إلا

يوسف وهبي في إحدى مسرحياته:

قومي! افتحي الباب! إن لم تفتحيه .. غدا
يَدْخُلُه شبحي الباكي .. فينخلع
أسلوب الأوامر قد يكون أحياناً جذاباً؛ أمران
متتابعان، كل أمر يوحى بدعوة، إذا استوحينا
سلطة الرجل على المرأة في زمن ما، ومنها بقايا
اليوم، فكأننا نسمعه يقول: قومي! لا قمتِ!،
وافتحي الباب! لا فتح الله عليك! ولكنه بدل
الدعاء أنذر وأرعب.

وخيبة الأمل تظهر في بعض أبياته بصور
متعددة، وكل صورة تُري مدى تأثيره بما يراه مما
ظن أن خلافه هو الواقع، ولكن الواقع أكد أن
الظاهر غير الباطن، فأخذ السراب صورة لخبية
الأمل، في «رقص السراب»، (ص: ١٢):

أطالع في الوجوه فلا تُريني

سوى رقص السرابِ على البطاحِ

وخيبة الأمل تأتي في صورة أخرى في

«الصحوة» (ص: ١٥)، وقد سبح في خيال ظن

أنه صادق، ثم أفاق من سهاده، فلم يجد في يديه

مما ظن أنه يملؤهما إلا الهواء:

وكان الحلم .. ثم أفقت منه

وقد ضَمَّتْ يداي على الهواء

وخيبة الأمل تؤكدُها التجربة مع الأنام، وقد

تبينها في إعراض الخدين، وأنها أقسى من ظلم

الأعداء، «تجارب» (ص: ٥٠):

وجرَّبتُ الأنام .. فكان أقسى

من الأعداء .. إعراض الخدين

وفي هذا مغالاة لا يكمل الشعر إلا بها، وقد
اكتشف الشعراء مدى تأثير المغالاة منذ العصر
الجاهلي.

وشيء من خيبة الأمل يجدها فيمن ظنه ملاكاً،
رقيق البسمة، ولكن حظه منه، في الواقع، نصل
سكين غرسه هذا الملاك في صدر فرحه، ويقول،
ومطية (المقابلة) التضاد مركبه: «الملاك القاتل»،
(ص: ٦٠):

ويا ملاكاً .. ظنت الرفق بسمته

انظر لنصلك المزروع في كبدي
وهو مغرم بالتضاد (أو المقابلة) كما تسمى في
البلاغة، يرسم به صوراً يدخل منها إلى حقيقة
مسلم بها، فهو يخاف من ظاهر شيء، وقد يكون
داخل غمامته السوداء ضياء ساطع، يُفرحه بعد

أن أربعه، ويهجه بعد أن أفزعه، فيقول في:
«تحرير»، (ص: ٥٦)، والمعنى مطروق، ولكن
التضاد في هذا البيت ألبسه جلباب الإبداع:
ويرعيني المصير .. ورب حتف

يروع .. وفيه تحرير السجين
ويساهم التضاد (المقابلة) بين الحب والحق في
رسم صورة صادقة لعدم اجتماع الحب والحسد
في إناء واحد. والحب خدين لا يفارق الشاعر،
ولعلّ «الحاء» و«الباء» قد حُفرت في ذهنه،
وأصبحت عنصراً رئيساً في دمه، فإن لم تبرز في
المقدمة، فهي صورة خلفية لكثير مما يقول، ففي
إحدى الصور التي ينقشها الحب يقول: «عن
الحب» (ص: ٥٨):

من جرّب الحبّ لم يقدر على حسد
من عانق الحبّ .. لم يحقد على أحد
وتعلّق الشاعر بالحب يفتح نافذة على قلبه،
وإضاءة الحب في القلب تتكرر في شعره بصور
مختلفة، يأتي بها منفردة، ويأتي بها مقارنة مع
ضدها، ويكشف ما يضمّره للناس في «هدية»،
(ص: ٦٣)، ويلتفت باحثاً عن الرداء الذي
يلبسه المعنى الذي يحول في ذهنه، فيقول:

من ظلامي العميق أهديهم النور
ولحني أصوغه من بُكائي
في هذا البيت اشترك ركنان من الأركان التي
يتسم بها شعره عند التضاد، فهو يصوغ من
الظلام النور، ومن البكاء اللحن الشجي، وهو
بهذا يجني من الشوك الورود.

وحبه لغيره يتبين في «طبيب يداوي الناس»
(ص: ٥٩)، وقد انتشرت الجراح في جسمه، ومع
هذا فهو يداوي من به علة، وظاهره بهيج وباطنه
حزين:

وأنا العليل .. أحسُّ أدواء الورى
وأنا المرقط بالجراح .. أضْمَدُ
لا يقوم بهذا إلا محب للعليل، ويسعى في برئه،
والطبيب المداوي يئن تحت وطأة آلام الجراح.
وليعبّر عن صورة في ذهنه، فلا يجد وسيلة
خيراً من صور التضاد، بين الجوع، وهو ما يلازم
الفقر، ومناجم الذهب، وهي من سمات الغنى:
«مناجم الروح» (ص: ٥٧). ويأتي بهذا المعنى في
صورة سؤال استغراب:

أيشعرُ بالجوعِ مَنْ رُوِّحُه

مناجِمُ للذهبِ الأصفرِ؟

ويشدو التضاد منتصراً في «حواء»، (ص:

٥٦). وهذا محيط وردي، والشاعر لا يقاوم

ابتسام الورود، ويقابله بالإبداع:

إذا ضحكْتُ سمعتُ اللحن يشدو

وإن غضبت سمعتُ زئير نمرة

وإن شاءت هوت بي في جحيم

وإن شاءت رمتني في المجرة

ضحك يقابله غضب، واللحن الشادي يقابله

زئير النمر، وقاع جحيم يقابله ارتفاع إلى

المجرة.

ويكاد لا يمر بيت أو بيتان إلا وبعدهما بيت

فيه التضاد، ولعل الدكتور غازي حمد هذه المطية،
تسير به رهواً في صحراء مجلبة أحياناً، وفي روض
أخضر أحياناً أخرى، وفي الروض نجد صور
الحب، والإشعاع، والفجر، والضياء، والعطف،
والحنان، وفي الصحراء نجد الفراق، والنكوص،
والغدر، وخيانة الحبيب، وقسوته، وكذلك نجد
ما في السياسة من مضحكات.

والحب معه دائماً، راضياً عنه، أو عاتباً عليه،
نظرته إليه مرة باسماً، وأخرى عابساً، له معه
رضى، وله معه سخط.

والمنى حلوة عادة، لأنها تجعل صاحبها يسبح
في خيال مبهج، مليء باللذائذ والمتع، ولكن روح
الحزن تقبض روح الشاعر بيد قوية، فتجعل
أمنيته ترخي شراعها فوق بحر يؤدي به إلى ظلمة

تحيط ببهجة المنى، والظلمة هي الغرق، الذي
قضى على الشراع الجميل، المفرد ليغازل الريح
الرخاء الناسجة بردها على وجه البحر الصافي.
«الغريق» (ص: ١٣)

آه لو يدري شراع مبحر
في المنى .. ما طافَ في بالِ الغريق
والمرأة، وهي سلة الحب، تريد أن تذوق طعم
الحنين، ومادام الأمر أمر طعم، ففي الطعم لذة،
واللهب هو الطريق إليها، فالعنصران اللذان لا
يفارقان الشاعر اجتماعاً في هذا البيت: طعم يراد،
ولكن الحصول عليه عن طريق ما يعكسه:
«الطعم» ص (ص: ١٤):

تريدين طعم حنيني إليك
إذاً لامسي بيدك اللهب

ويأتي بيت فيه روح الصحراء المجذبة، لأن
الصورة قائمة، وفيه «أنا» و«أنت»، وأي قحط لا
يكون بين القبور؟! والشاعر يرسم صورة حسية
واضحة، فعمره كأنه عقد انفرطت حياته،
فانحنى يجمع شتاتها. والظلمة، وهي صفة
القبور، لا تبقى في ذهنه، وإنما يبدد ظلمتها بذبالة
زاد من ضعفها أنها تطل من خلف الضباب. إذاً
كان بقاءه هناك عذاباً جاءه من نثار العمر، وهو
الآن يحاول أن يجمع ما فرط منه، ولكن تعبته لم
ينته بعد، فالمقبل منه فيه مكابدة: «بين القبور»
(ص: ١٤):

أنا بين القبور ألم عمري
وأنت ذبالة خلف الضباب

فرغتُ من العذاب .. وعدت وحدي
أكابد ما تبقى من عذابي
ويبدو أن زائر المقبرة لازمته الوحشة، فخلافاً
لما اعتمده الشاعر في الكتاب من الاقتصار على
بيت واحد، ضم إليه آخر، ليؤنس وحشة البيت
الأول! أو على الأصح يريه أنه «ليس في الهم
وحده».

وتبقى قاعدة التضاد معه وهو يفكر في الموت:
صحراء أخرى مجدبة في تفكيره، وهي مجدبة لأن
فيها حصد أرواح، والتضاد جاء في ثوب تساؤل
واستغراب، فنحن نخاف الموت، ومع هذا نمشي
له طائعين عن طريق مدح المطاعين بأحلى الشعر
المشجع على حصد الأرواح. وفي هذا البيت من
أسلوب غازي، وهو وضع الاستغراب داخل

رداء يختاره، يضمن أن تكون الصورة واضحة،
والفكرة مقنعة، والعظة مؤثرة. يقول في «مفارقة»
(ص: ١٥):

نخاف لقيا الموت .. لكننا

نقول أحلى شعرنا في الطعان
وفي البيت الآتي «عن الذهب» (ص: ١٥)،
يطل «صاحبنا» وملازمنا «التضاد» في البكاء
وضده الشدو، والهـم وخلافه الطرب، وإن
تسأـحـنـا في الوصف قلنا: الرغبة وضدها الأمر.

والبيت معبر في تركيبه، وأسلوبه، ومعناه،
لولا عنوانه «عن الذهب»، الذي يجاذبنا ليصرف
الذهـن إلى أن الحديث عن الذهب، المعدن الثمين
المعروف، وفي الذهب الصفات التي رسم
صورتها الشاعر. أما إذا تناسينا العنوان، وعلقنا

المعنى على مشجب السياسة، فهو يعني الحاكم
المتسلط، فهو الذي إذا أمر الناس بالبكاء بكوا،
وإذا أمرهم أن يغنوا غنوا، وهل لهم غير ذلك؟
فهو الذي سبب الهم، وهو الذي حرك الطرب.

وأما مشجب الحب، وهو قريب من غازي،
والحبيب يتسلط على القلوب، فإذا أمر بالشيء
أطيع، وإذا أبدى الرغبة في ضده، فيسارع إلى
تلبية رغبته. هل أراد غازي حيرتنا، ليقى له
وحده العلم بالمقصود؟ ما عرفنا شاعرنا يحب
الأثرة، ولا بد أنه رأى أن هذا في مصلحتنا!

نبكي إذا شئت .. نشدو حين تأمرنا

ففيك وحدك، كان الهم والطرب

ألم أقل: إنه سريع إلى رسم صورة عن طريق
لون «التضاد»، كأنَّ في التضاد «مغناطيساً» لا

يستطيع البعد عنه، يجذبه رغباً عنه، وأليس في
شعره روض مزهر، وصحراء قاحلة؟ لقد رفع
القناع، فأبان أن حبه لهذا الأسلوب مكين، وقد
اتضح هذا في «بطاقة تعريف» (ص: ١٥)، غير
مهمّل التأنيث، وفيه جاذبية له:

أيا ابنة كل اخضرار المروج

أنا ابن الجفاف .. وما استولدا

لعل الصَّبَّار والعرفج والحرمل أوحى له
بالجفاف.

وتحلوا له الصحراء، فإن لم يأت باسمها صريحاً
جاء بمرادف، ومن مستلزمات الصحراء الظمأ،
ومن لم يتصور بشاعة الظمأ، والهلكة به،
فليتصور أشباح الجحيم: «العمر: تعريف» (ص:
١٦):

وهنا عمري .. ثملات صَبًا

وظما قفر .. وأشباح جحيم

أما البيت في «موت الحراب» (ص: ١٦):

كيف أبكيك .. والبكاء حرامٌ

حين تهوي غب النضال الحراب؟

فقد سبقته إلى هذه الصورة أساء بنت أبي

بكر، أم عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهم جميعاً -

- عندما قالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجّل،

والشاعر في بيته هذا خاط قماش كلمتها جلاباً

زاهياً.

والموت حق، والشاعر مؤمن بهذا، وزار كما

رأينا قبور الموتى، وبكى، وبكى معه، أخاه

«نبيلاً» - رحمه الله - لأنني أعرفه، وأحبه، وبكاء

الشاعر جاء تحت عنوان: «نبيل» (ص: ٤٠):

مررت بهذي الأرض حلماً مسافراً
وخلفتها .. أندى .. وأحلى .. وأبدعا

لو وضع الشاعر عنوان هذا البيت: «الطيف»
لما أبعد عن وصف «نبيل»، ومروره بهذه الحياة،
طائراً، فارداً الجناح، لم يطوه إلى أن استقر به
المقام، لا على غصن عالٍ، وإنما في ممر، نرجو أن
يكون موصلاً إلى جنات النعيم.

لاشك أن من بين ذكريات الشاعر، المتغلغلة
في روحه، أخاه «نبيلاً»، وله نصيب في «هزيمة
الموت» (ص: ١٧):

يأخذ الموت كل شيء .. ويعيا
بالغوالي .. من ذكرياتي الغوالي

لا ننسى التضاد هنا، فالأخذ والعجز عن
الأخذ ضدان.

ولا ينصرف ذهنتا عن «نبيل» عندما نقرأ
البيت الذي عنوانه: «أخي» (ص: ٥٤)، فنيل:
كان ملء البر والبحر أخي

ومضى .. لم تبق إلا الذكريات

إن نبيلاً يعيش في دم غازي، ذكرى باقية، تطل
كلما رأى رفيقاً، وكلما سمع همساً رقيقاً، وكلما
أحس بدفء عاطفة. يراه في باقة الورود، وفي
ضياء الإشعاع.

ومعرفتي بحبه لأخيه «نبيل» - رحمه الله -
وشعوره بعظم فقدته، أشعر أن كل بيت فيه موت
أو فقد، هو عن «نبيل» خاصة عندما يؤكد
بوعاء الكرم الطافح. يقول في «مضيف الموت»

(ص: ٥١):

حسبت الموت لما جاء ضيفاً

أتاك .. يوم مضيافاً كريماً

وقلت له: «أهلاً وسهلاً»

كأنك حاضن خلا حميماً

بيتان معبران، فيها الإبداع الذي تعودنا عليه
من الشاعر. وهنا صورة خلافة للكرم، لا أظن
الشاعر قد سبق إليها بهذه الصورة: الموت وهو
نخيف يحتضن الحبيب كأنه صديق حميم. لا يأتي
هذا القول إلا من عاطفة متقدة.

ولا أود أن أذكر الأبيات التي فيها ذكر الموت،
ولكنني أدون هنا عناوينها، وصفحاتها، لئلا
يطول الحديث، وحتى لا أفرض الصور التي

أخرج بها من الأبيات على القارئ، بل أعطيه الحرية في الصور التي قد يخرج بها، ومن المؤكد أن الصفات التي سبق أن عدت بعضها سيجدها القارئ فيما لم أذكره:

لقد رأينا كلمة: «لقيا الموت» (ص: ١٥) في «مفارقة» كذلك هناك العنوان: «نموت» (ص: ١٨)، والعنوان يدل عليه. وترد كلمة: «الموت» في البيت الذي عنوانه: «استعداد» (ص: ٢٤). والموت ورد في البيت المعنون: «نعي» (ص: ٢٥). ويأتي ذكر الموت في «ضيف الموت» (ص: ٥) وتأتي الكلمة في: «خالد» (ص: ٢٧)، ويردد ذكر الموت في «الواحة» (ص: ٢٨)، وصوت الموت في: «سباق» (ص: ٢٩). وفي «عمر أبو ريشة» (ص: ٣٠) ذكر للموت. وفي «قاطبة»

(ص: ٣٣) قتل. وفي «الموت .. قتلا» (ص: ٣٣)
جمع الموت والقتل. وفي «استفهام» (ص: ٣٥)
يطل الموت. و«في فاجعة» (ص: ٤٨) يموت
العز. وفي «إغراء» (ص: ٤٩) يذكر موته. وفي
«مضيف الموت» (ص: ٥١) يحسب الموت ضيفاً.
وفي «تحرير» (ص: ٥٦) ضيف مروع. وفي
«غناء» (ص: ٥٦) قتل ومقتول. وفي «الأمة
العربية» (ص: ٥٨) تقتل الأمة أولادها وتغتالهم.
وفي «الموت وروتين الحياة» (ص: ٥٨) يموت
جيل ويتلوه جيل. و«على العلات» (ص: ٥٩)
هناك من يذبح. وجيش الأشباح في «أشباح»
(ص: ٦٢). كما رأينا كلمة الموت والذبح والقتل
كلمات أخذت مكانها من أبيات اتسمت بالقوة،
وحسن التصوير، وجاءت هذه الكلمات في

مكانها المختار، معبرة عن شعور الشاعر، ورقة
إحساسه. وفي بعضها رقة الوصف، وفي بعضها
الحكمة الصائبة. الموت حاضر في ذهن الشاعر،
لأنه أخذ منه من هو عزيز على نفسه، والده،
ونبيل، وتكفي ذكراهما، لتجعل الموت حاضراً أو
شبحه.

الشاعر عاش بين البر والبحر، عمر هنا وعمر
هناك، ولهذا لا غرو أن تأتي بعض ألفاظ هاتين
البيئتين مسيطرة على الصور التي يرسمها، أو
مكملة لصورة لا تكمل بدون كلمة تؤخذ من
دوح الروض وطيره وغدرانه، أو سفين ذاك
البحر، وأشرعة سفنه، والمرافئ والموانئ،
والإبحار، والرسو، والغرق، وكأنه يكمل صورة
الموت التي ترددت في الأبيات التي اختارها: فمن

الصحراء أخذ رقص السراب (ص: ١٢)، ومن
البحر يأتينا شراع مبحر (ص: ١٣)، ومعه
غريق، ومن البحر تأتي المرافئ والموانئ، والإبحار
والرسو (ص: ١٤). وفي «بطاقة تعريف» (ص:
١٥) اخضرار المروج، والمروج في البر. و«ابن
الجفاف»، والجفاف في البر، وفي «العمر: تعريف»
(ص: ١٦) «ظما قفر» من لوازم الصحراء.
و«ذخر الزلازل» (ص: ١٧) مستلزمات الأرض
عادة. وفي «تساؤل»: (ص: ٧) يجمع باقة بحرية:
«غريق»، و«بحر»، و«موج»، و«شراع»،
و«ميناء»، و«تلوح ذراع مودعة». لقد بسم
الشعور هنا:

امتلاً الحوض وقال: قطني

مهلاً رويداً قد ملأتُ بطني!

وفي «واحة» (ص: ٢٨) تطل لازمة من لوازم
الصحراء، ففي البيت «واحة»، و«رمال»
و«ظماً». وفي بيت عنوانه: «تحويل» (ص: ٣٣)
تطل الصحراء، ومستلزماتها من ري وخصب،
وفي «بوح» (ص: ٣٤) «يمطر الليل أنجماً» مظهر
من مظاهر الطبيعة التي عشقها الشاعر. وهناك
«بساط الريح» (ص: ٣٦)، معه الليل، والنجمة
المسحورة، وتأتي الصحراء عنواناً (ص: ٣٩)،
و«اعتذار» (ص: ٣٩) فيها الذئاب، وبيئتها
الصحراء. ولا يبعد كثيراً عن البحر: ففي
«بحار» (ص: ٤٢) تأتي بحار القريض، ويأتي
أسطول. وفي «اسمها» (ص: ٤٤) تمطر السماء
ماءاً وساء الشاعر تمطر ذهباً، والمطر ضحكة
الصحراء، ويسير على الأرض، ويمر بالروض

في «أعْيذك» (ص: ٤٥) والروض صامت،
وزهره واجم، والأقمار في «عن الأقمار» (ص:
٤٦). وهكذا تتوارد الصور ففي «أسطورة» (ص:
٤٦) الذئب والحمل صورة من الصحراء، وفي
«شتاء» (ص: ٤٦) الروض والريبع، ثم تأتي
صورة من البحر مرة أخرى في «أفق وبحر»، وفي
«إدمان» (ص: ٤٩). وعلى الأرض «ينابيع»،
و«رمضان» وينبوع. والشرع ينشر في: «ابتسامة
الفراق» (ص: ٥٠).

ومظاهر الطبيعة شرقاً وغرباً في العنوان: «ثلج
.. وريبع» (ص: ٥١)، في هذا البيت «ثلج»
و«أرض» و«ريبع» و«عشب». وفي «الثريد»
(ص: ٥٢) نرى ثريداً في القفار، تتلهى به
الرمال، وتقذفه بالغبار. سمات صحراوية.

ثم ندلف معه إلى البحر في «المحارة» (ص: ٥٥) ومع المحارة اللؤلؤ المكنون.

وفي «رموز» (ص: ٥٧) نجد الحمامة والصقر والبازي، مكملات للطبيعة في البر، وقد يختص بهذه الطيور الروض. وفي «منسب» (ص: ٥٧) نرى الهيكل العظمي الذي كان يلبسه الشاعر كساءاً، يعطيه صفة يختارها، أما هنا فلا دثار، «بدو» وهم قاطنو الصحراء، وبحارة مداومو السفر في البحار. وإن كانت الصورة بهذا ليست واضحة فقد «حبرها» في «البر» و«البحر» من الشطر الثاني من البيت. وفي «تفاؤل» (ص: ٦٠) يعبس وجه الصحراء من زوابعها، ولكن في رياضها تبسم الورود والأقاحي. وفي «مهب الريح» (ص: ٦٠) يجتمع الورد وهبوب الرياح.

وفي «الذكرى» (ص: ٦٠) يقترب مرة أخرى من
«الضفاف» و«الغرق».

ولأنه شاعر مبرز، فالشعر ودوره المتعدد
الأغراض في معالجة أمور الحياة، لا يغيب عن
باله، فهو لا يكتفي بسبك الشعر في بوتقته، وإنما
يدخل ألفاظه في كثير مما يبينه من أفكاره، ففي
«شعر الدموع» (ص: ١٨) يقول:

أسندي الرأس.. فوق.. صدري.. وابكي
رُب دمع يُزري بشعر الفحول
لقد وجد ما هو أقوى في دوره من الشعر الذي
يأتي من فحول الشعراء.

وفي «احتكار» (ص: ١٨) يقول:
أنا وحدي شاعر المجد الذي
يتمناه خيال في خيالك

هذه روح المتنبى الفخور بشعره، الدال به على
الحكام، ولكن غازياً، شاعر زمتنا، لم يترك للنقاء
مدخلاً عليه، فقد حصر فخره في خيال محبوبته
لفظاً، ولكننا نعرف أنه يفخر على الناس أجمع،
وإن وضع على المشجب ثوب امرأة. كيف يعد
شاعراً إذا لم يفخر بشعره؟ والزهو سمة الشعراء.
وللشعر عند غازي تعريف غير التعريف
الذي نعرفه بأنه الكلام المقفى الموزون بالأوزان
المعروفة، وفي: «الشعر: تعريف» (ص: ٢٠)
يحدد معالم الشعر، فيقول:

الشعر قفزُ لحظة من الحياة في نغم
وليبتسم قوله عن شعره في «خلود» (ص:
٢٣) ألصقه بخد حبيبته، فقال:

شعري كحسنك .. لا يخبو شبابهما

لم تشك ليلى ولا مجنونها هرما
وفيما هو يغني بشعره يغلبه أسلوبه في التضاد،
فيقول في: «دموع القلب» (ص: ٢٣)
أشدو فأطرب بالغناء .. وربما

صدح الهزار .. وقلبه يتصفد
وهذا موقف يقفه كل الشعراء رقيقي
العاطفة، وهنا ما قاله أحدهم؛ وهو عامي:
أضحك مع الي ضحك والهم طاويني
طوية شنون الطَّرَق وإن قَطَّروا ماها
ويحدد الشاعر جيد الشعر في «طفولة» (ص:
٣٢) فيقول:

خير شعر ما قيل والقلب طفل
خير حب ما مات وهو جنين

يحتاج القارئ إلى سياحة ماهرة ليصل إلى
مرامي بلاغة البديع، والعمق الذي رسم بها. وإذا
رسم القارئ الصورة التي ظن أنه قصدتها خانك
في فهمك الشطر الثاني، فهو يوحى بصورة
أخرى، فأنت بين الصورتين صورة.

ويقول إنه يختل صوحيباته بشعره عن طريق
«حيل» (ص: ٤٤)، فينشد كاشفاً سرّاً لعله لم
يظهره إلا بعد أن أدى غرضه، ووقعت الضحايا
في الحيلة والختل:

لا تخذعنك أبيات أنمقها
فإن زخرفة الأشعار من حيلي
وأصدق الشعر بيت فرّ من شفتي
وضل عن درب قرطاسي .. فلم يصل

وثقته في شعره، وفي تأثيره، وجعله بضاعته
المرجاة، يبينه في «وعد» (ص: ٦١):

سأجعل من عينيك أنشودة الورى
سأجعل من عينيك معجزة الفن
وأنشد في عينيك شعراً إذا شدا

به سامر .. هام المساء مع اللحن
ويأتي بصور بديعة يقف القارئ أمامها متملياً
بما فيها من انفراد في الرسم، أو دقة في المعنى، أو
حسن في الأسلوب، أو جمال في التعبير. وهي
تلمس جانباً من جوانب الحياة، وقد يمر بكثير
من الناس، ولكنهم لا يقتنصون صيده مثل
غازي، فغازي ينظر بعين شاعر، وفكر فنان،
منطلقاً من ذهن صافٍ، ونظرة ثابتة، وذوق
رقيق. وهو بهذا كله يقول البيت المؤثر في

القلوب.

حنو غازي على الفقير، وعطفه على اليتيم،
وحبه لمساعدة المحتاج، تجعله يقول بيتاً ينبض
بالمروءة، ولهذا أعطى البيت عنوان: «المروءة:
تعريف» (ص: ١١)

إن سهرت مقلة في الظلام

رأيت المروءة أن أسهرا

وليس بعيداً عما قاله في ذلك البيت ما قاله في
البيت الآتي: «كل الناس» (ص: ٣٦)، لأن
شعوره نحو غيره يسكن قلبه، كأنه ولي أمر كل
أحد، وما يراه من معاناة الخلق تتغلغل فيه حتى
تستقر في العظم، مسامرة له:

آهات كل الناس تسكن خافقي

وعذاب كل الناس يؤنس أعظمي

ويعتلي في هذا الأمر في الأفق، فيقول في
«الشيب: تعريف» (ص: ٣٨)، وهو مغرم
بالتعاريف، فيعلن عما يعتقد أنه أفضل تعريف
للشيب، وللضعف والوهن، فالشيب وما يأتي
معه ليس في بياض الشعر، أو تجعد الوجه، أو
رعشة اليد، أو المشي باهتزاز، وليس في تدهور
السمع أو البصر، ولكنه في سقوط المرء من مقعد
المجد والشرف، مؤكداً ما يقوله المثل العامي:
«حيّ الشيب قبل العيب»:

ما الشيب أن تفقد الألوان نضرتها

الشيب أن يسقط الإنسان مندحرا

في «الحي الميت» (ص: ١٢) يخدعنا الشاعر
بأسلوب يجبرنا على الوقوف والتأني، فهو يترحم
على من تظنه صديقاً مات، أو قريباً دفن، أو حبيباً

فُقد، وتُفاجأ أن المترحم عليه هو من خان الرفيق.
صدق غازي!

رحمة الله عليه إنه

مات .. هل عاش الذي خان الرفيقا
والشاعر يتلذذ في المعتاد بحديث حبيته،
ويتلذذ بإسماعها غزله فيها، ولكن شاعرنا،
خلافًا للمعتاد، يمل الحديث منها له أو منه لها. ما
الذي جعله يفعل ذلك؟ أهو الخطو نحو
المشيب؟ (أقول هذا بخبث) أم أن حديثها فيه
نزق لا يتماشى مع جمال الوجه، ورشاقة القوام؟
لا بد أن عينيها جميلتان، وإلا كيف تغوص إلى
أعماقه. قد يكون هناك معنى آخر لا أجهله!
ولكنني بدأت الحديث عما بدأت به «خبث»،
وسوف أبقى الخبث، فلا أفصح عما قد يكون

أوحى به البيت غير ما ذكرت. البيت بديع،
وجاء تحت عنوان: «الحب الصامت» (ص:
١٢):

أرهِقْتُ من حمل الحروف .. فحدثني
بالحب أعماقي .. ولا تتكلمي!
وتأتي الحكمة في صورة بديعة في «كلام الجرح»
(ص: ١٢)

اترك الجرح لحظة .. يتكلم
رب جرح يطيب حين يقول
ولا غرو أن يأتي بيت «عمر الحب» (ص: ١٣)
مضيئاً، ففي البيت «الشباب» وفيه «الحب» وفيه
«المرأة»، وفيه الطفولة: حب غازي الراسخ
الثابت الدائم المقيم. والطفل هو السلطان

المسيطر على غازي، لقد استولى على قلبه وروحه،
لا أظن أن قَدَمَ حُبِّه للطفل لا تحار وتقف عندما
يرى صغيراً، حتى أكاد أقول: إنه يحب صغار
الذئاب.

ليت الشباب بعمر الحب .. يا امرأة
ما زال حبي لها طفلاً .. وما فطم
أتقن الشاعر في «موانئ .. ومرافئ» (ص:
١٤) إخفاء ما وصفه، واستعار الموانئ والمرافئ،
والتردد بينها، وهو يقصد كثرة تنقله من حب
أنثى إلى حب أنثى، وما يضيره أن يكون صريحاً،
وهو الشاعر الذي يقول ما لا يفعل. إنه الذوق
في اختيار الصور المعبرة عن طريق البيان والبديع،
وأسلوب الاستعارة، وإلباسها برداً بهيجاً،
يضيفي جمالاً لا يأتي بأسلوب آخر:

سلي المرافئ عني .. إنني رجل
أضني المرافئ .. إبحاراً .. وإرساءً
وهو صديق لأنواع البديع، ويصرح أحياناً
عن قربه من بعض أنواعه، فهذا «مجاز» (ص:
١٧) يستعيره لإحدى صوره المعبرة عن نظرة من
نظراته إلى الحب، وقبل ذلك استعار «المقابلة»
(التضاد).

تجيبني أنتِ .. في الكلمات
مجازاً يخاف دخول الحقيقة
صورة ملموسة، فالحقيقة بيت والداخل
المهيب حائر القدمين هو: «المجاز» هو صورة
لحسية بضاعتها الكلام (وربما في التليفون!) بخل

على بخل . هكذا الشعراء، ولهذا يتبعهم الغاؤون .
وتأتي بضاعته التي ملأت فكره وشعوره
وإحساسه: الشعر، فيأخذ منه صورة صادقة
ملأى بالحكمة، وعصارة الحياة، وعمق تجربة
المعاناة بين المحبين: ففي «شعر الدموع» (ص:
١٨) يقول:

أسندي الرأس .. فوق صدري .. وابكي
رب دمع يزري بشعر الفحول
البكاء يتقنه من أحس بسببه بصدق، وهو
سهل بهذا، ولكن الشعر ليس من السهل إتقانه
حتى من فحول الشعراء .

هناك أمر مُسلّم به من أمور الحياة، وهو النظرة
المحبة التي لا ترى إلا حسناً، حتى لو لم يكن
حسناً إلا في عيون صاحبه . ورغم أن هذه النظرة

في عيون غيره مخالفة إلا أن رأيها يُصدّق نفسه في
أن محبوبته أحلى النساء: «زعم» (ص: ٢٠):

وأزعم أنك أحلى النساء

وأمضي أصدق ما أزعم

هل هذا من العناد؟ أو أنه من العمى الذي
يصيب المحبين ممن إذا ضرب سهم الحب قلوبهم
شُلّت وسائل الإبصار عندهم والبصيرة،
واعتقدوا غير الصحيح صحيحاً، فالقبيح، على
هذا جميل، والمظلم منير.

والنظرة السوداء تأتي من عتمة التشاؤم، فهو
يقول في: «الصيف» (ص: ٢١) إنه سوف يموت
قبل الصيف القادم. وهذا هو المعنى الساذج
للبيت، وسواء كان هذا ما أراده الشاعر، أو أنه
جاء بهذا رمزاً للقاء يعدّه، ظناً أنه آخر لقاء.

وسواءً كان هذا أو ذاك فهو تعبير يدخل في إطار
قاعدة السهل الممتنع:

أبصرني الصيف هنا .. مرة

أشك أن يبصرني مرتين

للشاعر بيت سلس معبر، ذاك الذي وصف
به قلبه وقد تركه للهوى يعبث به، وفعل القلب
هذا سائر به إلى حتفه، سواء كان هذا إخلافاً
لوعده، أو قطعاً لصلته، فإن لم يكن القارئ أدرك
ما في هذه الأفكار، فقد رسمها الشاعر مادياً
بصورة فراشة لا تستطيع مقاومة وهج الضوء،
وفي الضوء حتفها واحتراقها: «الفراشة»
(ص: ٢١):

لا تعجبي! قلبي فراش الهوى

يقفز للنار، وفيها رده

وهذا المعنى يعيده بصورة أخرى في «سؤال
محترق» (ص: ٦٢):

ولماذا والأسى يحرقنا

نستطيب العيش في ظل اللهب؟

ومن الصور البديعة التي اختارها صورة
دمعتين تدمعها عيناه: الدمعة الأولى يودع بها
الأحباب، وهذا ليس المهم، وإنما المهم الدمعة
الثانية التي يكتب برماد لوعتها كتبه. وهذا
البيت: «دمعان» (ص: ٢٦) من الصور التي يعد
فيها مبتكراً، وقد ساعده على رسم هذه الصورة
الفريدة ما يعرفه الناس من حرقه فراق الأحبة،
ولكنهم في هذا البيت يطلعون على سر خفي
مبهم خبأ، تبين آثاره في الآهات التي لا تسمع
وإنما ترى تسيل على الورق، دون أن يعرف

الناس أنها دموع:

أودع أحبابي بظاهر أدمعي

وأكتب بالدمع الذي لا يرى الكتب

ويعتذر الشاعر ببيان مدهش عن حالة شرقية،

تعيشها بعض البلدان العربية، في حالتها الراهنة:

«العذر» (ص: ٢٨):

يا سيدي! عفوك يا سيدي

إذا اكتفينا بحروب اللسان

فإننا أجبن أهل الوغى

وإننا أفصح أهل البيان

وتأتي هذه الصورة بوجه آخر، وتلتقي مع

السابقة عند تقاطع طريق قريب، في «هجاء»

(ص: ٣٨) يقول:

وتنهش .. تنهش فينا الكلاب

ونقنع أنا هجونا الكلاب

وتحيط به هذه الفكرة، فكرة عدم وجود قوة،
والاستغناء عنها بالقول في: «بحار» (ص: ٤٢)،
يقول:

بإبحار القريض! ماعز بحر

لم يصنه من العدا أسطول

وتطل عاطفة حب الخير عند غازي في «المجد»
تعريف» (ص: ٣٢)، فيُعرّف المجد بأنه أن لا
تبيت امرأة جائعة، وأن لا تفتقر طفلة فتلبس
الخرق:

المجد ألا يضم الليل جائعة

المجد ألا تغطي طفلة خرق

والشاعر، مع الحبيبات، في شد وإرخاء، مرة
هو راض، وأخرى ساخط، ومرة هو كاسب،
وأخرى خاسر، ومرة هو في موقف القوة،
وأخرى في موقف الضعف، ومرة يقول قولاً
واضحاً وأخرى يقول قولاً مبهماً.

في «قاطبة» (ص: ٣٣)، يقول إنه عشق حسان
الأرض كلهن، فكان القتل في ذلك العشق، ومع
هذا فهو يشكو إلى واحدة منهن حاله:

أشكو إليك حسان الأرض قاطبة

عشقتهن .. فكان العشق ما قتلا

وهناك من حيرته، وحيرت جميع الشعراء:
«الحيرة» (ص: ٣٥)، إذاً هو يتكلم عن نفسه
شاعراً، فبماذا حيرته؟

أَنْتِ مَا حيرتني وحدي أنا

أَنْتِ حيرت جميع الشعراء

ومزّق ورقة تحمل شعراً أو نثراً، ولغضبه

يحكم بأن هذه القصاصات الممزقة أثمن من

فتتها الفانية: «رسالة ممزقة» (ص: ٣٦)

تلك القصاصات التي مزقت

أثمن من فتتك الفانية

وتأتي ثقته مهتزة في حواء، فرغم أنه رأى في

إحدى بنات حواء حبة إلا أن الشك يقفز إلى

تساؤل عما إذا كان حياً حقيقياً، أو أنه نزوة،

فالغيد متقلبات الأحوال، فلهن مواسم أهواء،

وقد يكون الآن موسم الطيش، ووقت انصراف

الهُوى، وكل موسم في المعتاد يُؤلّي، والأحوال

قُلَّب: «مجرد سؤال» (ص: ٣٩):

أأحببتني؟ أم كان ما كان نـزوة

وللغيد أحوال .. وللطيش موسم

وتمر بذهنه خيانة ابنة حواء كما في «خيانة»
(ص: ٤٣)، فيسجل عنها خيانة بعد أن تعهدت
أن لا تخون، وفي هذا نوع من الهجوم، ولكنه
سخط لن يدوم، وسوف يعود إلى عشق آخر،
ويتغنى بها، يرسم لها رسماً مختلفاً، وهل أراد
بصيغة السؤال أن يخفف التهمة التي جالت في
ذهنه؟

أرسلتك السماء للأرض ظلاً

من حنان .. أخت عهد السماء

ويحذر من الهوى، وهو يتكلم عن تجربة، أو ما
يظنه تجربة! فيصف الهوى بأنه عالم مر ..
وشكوى .. وقيود، ويوجه تحذيره لطفل في

التجربة، وليس في السن: «تحذير» (ص: ٤٥) ما
هذا إلا حكم على المرأة:

أيها الطفل تنبه! فالهوى

عالم مر.. وشكوى.. وقيود
وأستاذنا الكبير إبراهيم فطاني - رحمه الله -
يقول:

إن الهوى أَلَم

به يتلذذ القلب الطعين

وهكذا تأتي الأبيات عن المرأة، فيها معاناة، أو
اضطراب، أو عتب، أو تحذير، وأن مصدر جمالها
شعره، وهناك الحب الشقي، والهوى الكسيح،
والشوق الملقع بالذعر، والمرأة غيمة داخلها غيث
أو رعود. والمرأة حروفه إذا نطق، وسكوته

الطويل الكئيب. وتلك ليست فجرًا مضيئًا، وإنما هي أنثى مثل غيرها، والعمق مظلم، والظاهر باسم، وهي مجرد قصة تنساب إلى النسيان.

ثم يرسم الصورة التي فازت بالوقفة الطويلة؛ لأن فيها فن الإتيقان في رسم واضح مقنع، في: «غاية الشوق» (ص: ٤٨):

شوقي إليك .. كأنه

شوق السؤال إلى الجواب

الإبداع في شوق السؤال إلى الجواب.

وقلبه يتسع لكل شقراء أو سمراء، وهو يغار على حبيبته، ولكنه يقسم أنه لا يغار، ثم يقسم أنه يغار، والكون يدري أنه يغار، يغار من مرور اسم غيره على شفيتها، ويود أن يفقأ عين من ينظر إليها بشواظ من نار، ويكفيه وهم من الحب يحلم

به. ويزعم أنها أحلى النساء، ويعرف أن هذا زعم.

والآن، لنخرج من عالم المرأة الذي له النصيب الأوفى من الأبيات، إلى بعض لمحات تحار القدم عندها، فلا تتعدهاها بيسر:

في «رحلة» (ص: ٦٣) يصف الحياة، ومعاناة المرء فيها، وانتقاله من هم إلى هم، ومن معضلة إلى أخرى، ومن ظماً إلى قلق. ثم تأتي القشرة الرقيقة اللامعة التي تغطي هذه الفكرة، فيقول: إنه لم يعد في الأرض حنان يُعزِّي المعاني:

ما سرت من ظماً إلا إلى قلقي

كأن كل حنان الأرض قد نضباً

ويقف على منبر الفخر، وهو المفضل عند الشعراء، ويؤكد، بثقة، أن الشعراء هم الذين

صنعوا الغرام، صنعوه ملحمة للسنين، وألبسوه
أفخر أبياتهم، وبَنَوْه من خفقات الحنين: «عن
الشعراء» (ص: ٤٦)، وكأني بقائل من غير
الشعراء يقول: إنكم تقولون ادعاءً، ونحن في
هذا نزيد عليكم، ولكن بدون ضجيج.

ونحن الذين صنعنا الغرام

وضعناه ملحمة للسنين

وهبناه أروع أبياتنا

وشدناه من خفقات الحنين

شدتم بناءه، وغير الشعراء سكنوا رحابه،
يا مدعين!. ولكن أقوالهم، وإن كانت خيالاً،
تبقى محفوظة في الصدور، ويحلو للألسن
تردادها، لهذا تبقى على مر السنين.

ونقفز معه من تلك الأغراض إلى غرض آخر،
يستحق الوقوف طويلاً، لأن فيه مناجاة الابن
لأبيه، ولمحة من العلاقة بينهما، ففي «أبي» (ص:
٣٥) تطل صورة الأب يعلم ابنه، يتلو ذلك
تساؤل: هل أخذ الابن بنصيحة أبيه، وتحذيره؟

تعلمت منك صدام الخطوب

فكيف تراني جناحاً كسيراً

وعلمتني أنت صبر الرجال

فما لي رجعت صبيلاً غريراً

هذه لمحات لا تزيد عن أن تكون تفكيراً
صامتاً في بعض أبيات غازي المختارة،
استنطقت، وقد نطقت لي بما قد تنطق بغيره
لغيري مختلفاً، فهي أحياناً فضفاضة، يدخل في
ثوبها أكثر من قوام.

نظرة في كتاب^(١)

هذا الكتاب هو «جمع الجواهر في الملح والنوادر» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني.

هذا الاسم للكتاب اسم على مسمى، فقد حوى من الجواهر ما يجعل القارئ لا يضعه من يده حتى يأتي على ما فيه. فيه جواهر في الأقوال، وجواهر في الأفعال، وجواهر في التجارب، وجواهر في عرض طباع الناس، وما يحدث بينهم، فيه كشف لأنفة الناس، واختلاف أحدهم عن الآخر. في هذا كله زهور جميلة ذات روائح

(١) نشرت في كتيب «المجلة العربية» (١٠٩) في محرم ١٤٢٧ هـ الموافق

فبراير ٢٠٠٦ م.

زكية، ونظرات تأسر الناظر.

لقد استطاع المؤلف أن يكون مثل نحلة تنقل
من زهرة إلى زهرة، كل زهرة تمسك بك حتى
تمتص ما فيها من رحيق. فيه من الفواكه والفوائد
ما يملأ النفس علماً وثقافة، ويمدها بمعلومات
وتجارب تعب عليها الآخرون، فقدمت لنا هنا
على طبق من بلّور.

سوف أستعرض بعضاً مما ورد به مما اخترته أن
يكون نموذجاً يعطي فكرة عما فيه من علوم ونبد
وطرائف وآراء هي ما يشغل بال أهل كل زمان،
وما يقولونه فيه أو يدعونه وسيجد القارئ ما قاله
أهل ذلك الزمن، أو ما فكروا فيه، أو ما حيرهم،
وسيجد ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه.

لينا نجمع مثلهم ما يمر بنا في حياتنا من مثل

ما مرّ بهم ودونوه، وما يمر بنا ونهمله، وطالما طالبت بتدوين أحاديث المجالس التي تمر بنا عفواً، وهي زهور مختلفة الألوان والروائح. لقد اقتطفوا منها ما زان كتب الأدب عندهم مثلما زانت قبل ذلك سمرهم في مجالسهم.

نجد أحياناً بعض ما يُدَوّن يثير الشك في أن ما يقص علينا منه لا يخلو من الوضع، ولكن جاذبيته، وما فيه من طرافة، أو من نهش مَنْ ليس من حزب الكاتب تغري بتدوينه وعرضه، ويمر عليه كثيرون فلا يأبهون إلا بما هو عليه من جاذبية. وقد أعجبني من الحصري أنه أخذ على عاتقه أن لا يثبت ما يغضب الله: «ما يخرج به قائله في الدين عن اتباع سبيل المؤمنين. فمن أهل الإلحاد من يسرّ حسواً في ارتغاء: ويطلب ما

يشفي، من دائه، ويضحك خاصة أو دائه، ... بما
يكمنه، بالطف ما يكمنه، كمون الأفعوان في
أصول الریحان، إذا قابله بشمّه، قتله بسمّه». (ص: ٤-٥).

وهذا قول سديد يلمسه من يقرأ كتب التاريخ
والأدب ويرى كيف يُدسّ السمّ في العسل، مما
جعل كتب التراث تحتاج إلى نخل وتصفية،
ليخرج منها الصحيح من الغث.

والحصري لا يرمي القول على عواهنه، بل
يأتي بالرأي ومعه دليل، فبعد أن قال ما قال
أردف ذلك بمثل صادق، لا يسع المرء إلا أن
يعجب بما قال، لأن ما قاله ليس إلا صدى لما
يشعر به من عانى من رؤية الأقوال الموضوعة:
إما للأذى، أو للتجليل، أو للتفكّه، والضحية هي

الحقيقة، ونحن معها ضحايا.

والمثل الذي جاء به عن وضع القصص ما
حكاه عن الجاحظ عن الشرقي بن القطامي أن
ابن عتيق لقي عائشة - رضي الله عنها - على
بغلة. فقال:

إلى أين يا أماء؟

ف قالت له: أصلح بين حين تقاتلا.

فقال: عزمت عليك إلا ما رجعت، فما غسلنا
أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة.
وعلق الحصري على هذه القصة بقوله:

هذه حكاية أوردتها الشرقي لِغِلِّهِ ودَغَلِهِ، على
وجه النادرة، لتحفظ، ويضحك منها، ويتعلق بها
من ضعف عمله، وقلّ عزمه، فيكون ذلك أنجع

وأَنْفَع لما أَرَاد من التَعَرُّض لَعَرَض أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .»

ولا مَزِيد على ما قاله الحَصْرِي، فقد وَضَعَ
إِصْبَعَهُ على الدَّاءِ، وَأَحْسَنَ التَّشْخِصَ، وَأَبَانَ
سَوَاءَ الشَّرْقِيِّ، وما دَعَاهُ إلى الاختِلاقِ والوَضْعِ،
وقد يَكُونُ أَضْحَكُ بَعْضُ من سَمِعَ هَذِهِ الحِكَايَةَ،
أَوْ من قَرَأَ عَنْهَا، فَمَاذَا نَفَعَهُ هَذَا، وقد آلَ إلى رَبِّ
عَادِلٍ؟!

وعَلِقَ الحَصْرِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ:

«ومِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ مِمَّا لَوْ ذَكَرْتَهُ لَدَخَلْتُ فِيهَا
أَنْكَرْتَهُ، فَقَدْ قِيلَ: الرَّائِيَةُ أَحَدُ الشَّائِمِينَ، كَمَا قِيلَ:
السَّامِعُ أَحَدُ الْقَائِلِينَ.»

لَقَدْ وَفَّى الحَصْرِي بَوَعْدِهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ مِثْلَ هَذَا،
مِرَاعَاةً لِدِينِهِ، وَاتِّبَاعاً لَخُلُقِهِ، وَمَا أَخَذَ بِهِ نَفْسَهُ،

كما وعد في مقدمته، مما أوردنا شيئاً منه.

وقد أورد الحصري أمثلة أخرى لولا ضيق
حيز هذا المقال لكنت جئت به، وهو مفيد لمن
يستطيع أن يرجع إليه في الكتاب، وقد لمس ما
يقع فيه الشعراء من المغالاة في المدح، واعتراض
بعض الممدوحين لأن فيما قيل زحف يُخرج من
الدين.

ونبه الحصري إلى خطئه في تأليف هذا
الكتاب، وأفصح عن جانب منها، فقال:
«وقد جعلت ما عملت مُدَبَّجاً مُدَرَّجاً، لتلذ
النفس بالانتقال من حال إلى حال، فقد جُبلت
على محبة التحول، وطبعت على اختيار التنقل».

ثم ذكر أمثالا لأناس مرموقين اختاروا التنقل
من حال جد إلى حال ترفيه واستراحة، يطول

الحديث لو دخلنا روض ما ذكره. ولكننا نشي
على كلامه، لأن الإحماض فيه إزاحة للتعب،
وإعداد الجسم للعمل مرة أخرى. وما قاله يدل
على عمق فهم لما أصبح يسمى اليوم: «علم
النفس». وما قاله هو تبرير مقدم لما سوف يضم
كتابيه من بعض ما قد يعده بعض الناس مخلاً
بمستوى الكتاب الذي ظنوا أنه سوف يكون
عابساً.

ومن الأمور التي أخذت حيزاً من حياة الناس
في السمر والمسامرة، وقد رأى الحصري أن هذه
لها شروط، حددتها التجربة، واستخلصت
بالمتابعة والتبصر، وذكر من جملة ما يجب أن
يراعى في الجواب الذي يأتي مجانباً لما يجب أن
يكون عليه الصدق، فيدرك المجيب الخطأ، أو

ينبه إليه، فيسارع باقتدار وسرعة إلى رقع الخرق،
ورأب الصدع، بطريقة توجب الإعجاب،
وتستدعي الإشادة، وتستحق التسجيل، وأعطى
أمثالاً على ذلك، نختار منها واحداً هو:

«ذكر عن الفتح بن خاقان أنه كان مع المتوكل
فرمى المتوكل عصفوراً فأخطأه، فقال:

أحسن يا أمير المؤمنين.

فنظر إليه نظرة منكرة فقال:

إلى الطائر حتى سلم.

فضحك المتوكل».

في هذه بلا شك سرعة بديهة، وصفاء عقل،
استحق معه الفتح أن يكون جليساً للمتوكل.

هذه القصة ذكرتني بقصة لها مماثلة، حدثت

عندما كنت أدرس في القاهرة في الجامعة، وزارنا في دار البعثة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل، وأقام الطلاب حفل سمر على شرف سموه، أُلقيت فيه بعض القصائد والخطب، ودعانا سموه إلى نزهة في القناطر، فسَبَقْنَا إليها، ومعنا أدوات التسلية بما فيه «الكيرم»، وعندما وصل سموه صار يتنقل بين المجموعات، وأطال المكث عند الذين كانوا يلعبون الكيرم. فدعت المجموعة سموه إلى المشاركة، ففعل، وعند أول ضربة لم يدخل من القطع الذي كان من المفروض أن يدخلها شيئاً، وأدخل اثنتين خطأ، فقال أحد الإخوة الطلاب بحماس متناه:

حلو يا سمو الأمير حلو

فالتفت إليه سموه وقال له:

من أين تأت الحلأوة؟

فرد الطالب:

الحمد لله أنه لم يدخل المضرب

فضحك الأمير وضحكنا معه، وعددناها

سرعة بديهة من الطالب، وحسن تخلص.

ويتطرق الحصري في حسن المجالسة إلى ما

روي عن بعض الفضلاء لمن هم أقل منهم مقاماً،

فلا يشعرونهم إلا أنهم منهم، حتى لا يجرحوا

شعورهم، ويفسدوا عليهم الصبغة، ويأتي بمثل

مدهش، لا يستغرب أن يأتي من إمام مذهب،

عرف بالفضل، وسأحة الخلق، وهو الإمام

الشافعي - رضي الله عنه - وهذه هي الحكاية،

ص (١٦):

«صحب الإمام إدريس الشافعي - رضي الله

عنه - قوماً في سفره، فكان يجاريهم على
أخلاقهم، ويخالطهم في أحوالهم، وهم لا
يعرفونه. فلما دخل مصر حضروا الجامع،
فوجدوه يفتي في حلال الله وحرامه، ويقضي في
شرائعه وأحكامه، والناس مطرقون لإجلاله،
فرآهم فاستدعاهم، فلما انصرفوا سئل عنهم،
فأنشد:

وأنزلي النوى دار غربة
إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكلة
أُحَامِقُهُ حتى يُقال سجيّة

ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله
ويعرج على حكايات المداراة واللباقة، وحسن
التصرف، وكيف أن الإنسان يربح عن طريق
ذلك أكثر من الحديث المباشر، لأن المحدث،

وهو ذو نجابة، يقدر ذلك كما حصل في حكاية رواها عن المنصور، ودليله المُعرّف له على أحياء المدينة المنورة، يقول في (ص: ٧٠):

«قال المدائني: لما حج أبو جعفر المنصور قال للربيع: أبغني فتى من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالماً بقديم ديارها، ورسوم آثارها، فقد بُعد عهدي بديار قومي، وأريد الوقوف عليها.

فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس بالمدينة، وأعرفهم بظريف الأخبار، وشريف الأشعار، فعجب المنصور منه؛ وكان يسايره أحسن مسaire، ويحاضره أزين محاضرة، ولا يتدئه بخطاب إلى على وجه الجواب، فإذا سأله أتى بأوضح دلالة، وأفصح مقالة، فأعجب به المنصور غاية الإعجاب، وقال للربيع:

ادفع إليه عشرة آلاف درهم.
وكان الفتى مملقاً مضطراً. فتشاغل الربيع منه،
واضطرتته الحاجة إلى الاقتضاء، فاجتاز مع
المنصور بدار عاتكة؛ فقال: يا أمير المؤمنين:
هذا بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية، الذي
يقول فيه الأحوص بن محمد:

يا بيت عاتكة الذي أتعزّل

حذر العداء وبه الفؤاد موكل

فقال المنصور: ما هاج منه ما ليس هو طبعه،
من أن يخبر بما لم يستخبر عنه، ويجب بما لم يسأل
عنه. ثم أقبل يردد أبيات القصيدة في نفسه إلى أن
بلغ إلى آخرها، وهو:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم

مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فدعا الربيع، وقال له: هل دفعت للمدني ما
أمرنا له به؟

فقال: أَخَرْتُهُ علة كذا، يا أمير المؤمنين.

قال: أضعفها له، وعجّلها.

وقد علّق الحصري بإعجاب على هذا بقوله:

«وهذا أحسن إفهام من الفتى، وأدق فهم من
المنصور، ولم أسمع في التعريض بالطف منه».

ويعرج على الأقطار، وما يحدث بينها من
عداء، وما يتبع ذلك من تأليف القصص لتأكيد
دعوى قاموا بها ضد بلد منافس لبلادهم. وقد
جاء بمثلٍ اختاره عن العداء بين الشام والعراق،
والتهم التي يلصقها بعضهم ببعض مما قد لا
يكون له أساس، ومن القصّة التي اختارها يتبين
اتهم أهل العراق لأهل الشام بالغباء، يقول في

هذا (ص: ٨٥):

«وأهل الشام غاية في الجهل والغباوة. دخل
رجل من أهل العراق الشام في أيام عبد الملك في
حوائج له، فحجب عنه، فدخل في غمار الناس،
فقال عبد الملك لجلسائه:

ما معنى قول الشاعر:

إذا ما المواشط باكرنها

وأتبعن بالظفر وحفاً طويلاً

تخذن القرون فعقلنها

كعقل العسيف غرايب ميلاً

يصف شعر امرأة، والوحف: التام،

والعسيف: الأجير، والغرايب: الشديد السواد،

يريد عناقيد الكرم، وروى - عراجين ميلاً.

فسكتوا عن آخرهم.

فقال العراقي لرجل من أهل الشام، له بزة

وهيئة:

أرأيتك إن أخبرتك بمعناه، وحصل لك الحظ

عند أمير المؤمنين، أتقربني منه حتى أسأله

حاجتي؟

قال: لك ذلك.

قال: إنما يصف البطيخ.

فوثب الشامي، وقال ذلك.

فافتضح، وانقلب المجلس ضحكاً.

فقال له عبد الملك: من أين لك هذا العلم؟

قال: هذا العراقي، ابن اللخناء، قال لي ذلك.

فقال عبد الملك: ما أدخلك؟ اذكر حاجتك؟

فذكرها، فقضاها له، وقال له:

اخرج من الشام، لا تفسدها عليّ بمجاورتك.
هذه صورة واضحة لعداء بعض الأقطار
لمنافستها، ولا يستبعد أن تكون هذه الحكايات
ألفت في أيام العباسيين، لمحو كل فضيلة للشام،
فإذا كان العباسيون قضاوا في السياسة على
الأمويين، وأصبحوا سادة الموقف في هذا
الجانب، فلا بدع أن يكون للناس أنفسهم حق
في الاعتلاء في العقل على أهل الشام.

ويبدو أن الوطيس كان حامياً في هذا الجانب،
فقد أردف الحصري هذه الحكاية بحكاية أخرى،
فيها الاتجاه نفسه الذي جاء في السابقة، ويتضح
الهدف نفسه، وهو خفض أناس في قطر مقابل
رفع آخرين على حساب آخرين في قطر ثان،

ولا يزال الأمر بين العراق والشام، ولا يزال في
تفضيل العراقيين على الشاميين.

وهذه هي الحكاية، وما يقدمه المؤلف أمامها.
(ص: ٨٧):

«وكان بنو أمية يكرهون أهل العراق لفطنتهم
ورقتهم، إذ سياسة الأغبياء أسهل عليهم؛ فقد
قال الإسكندر لأرسطاطاليس:

قد أعياني أهل العراق، ما أجري عليهم حيلة
إلا وجدتهم قد سبقوني إلى الخلاص، فتخلصوا
قبل إيقاعها بهم؛ وقد عزمت على قتلهم عن
آخرهم.

فقال: إذا قتلتهم فهل تقدر على قتل الهواء
الذي غذى طباعهم، وخصهم بهذا الذكاء؟ فإن
ماتوا ظهر في موضعهم من يشاكلهم.

فقال: ما الرأي؟

قال: من كان فيه هذا العقل كانت فيه أنفة
وحميّة وشراسة خلق، وقلة رضى بالضم،
فاقسّمها طوائف، وولّ على كل طائفة أميراً،
فإنهم يختلفون، فإذا اختلفوا قلت شكوتهم،
فغفلوا.

فأقاموا أربعمئة عام حتى جمعهم أردشير بن
بابك. وقال: إن كلمة فرقت بيننا أربعمئة سنة
لمشؤومة».

وينتقل الحصري في كتابه من روض إلى
روض، ومن شجرة يانعة إلى أخرى مثلها، ولو
قطفنا كل زهرة، أو كل فاكهة لأعدنا كتابة
الكتاب مرة أخرى كما هو، ولكننا نقفز إلى طرفة
قليلة الكلام، ظريفة المدلول، والمهم فيها المتعة،

وهي لا تخلو من لمز لأمة من جانب، وأمة أخرى
من جانب آخر. وأقرب المنافسة للازدهار في
تلك الحقبة، هي فيما بين العرب والعجم، وهذه
هي القصة (ص: ١٢٠):

«ودخل الضبي على عبدالله بن طاهر، فأنشد
شعراً حسناً، وبحضرته أعرابي. فقال الأعرابي:
ممن تكون؟

قال: من العجم.

قال: وما للعجم والشعر، وإنما الشعر للعرب،
وكل من قاله من العجم فإنما نزا على أمه أعرابي.
فقال [العجمي]: وكذلك من لا يقول الشعر
منكم، فإنما نزا على أمه عجمي إذا؟
فأفحمه».

ويأتي مفصلاً بأمر طريف، يلمس الناحية النفسية والفكرية، جاء عن دقة ملاحظة، تأتي من المثل الذي يقول: كل إناء بما فيه ينضح. ويسير هذا في شرح أثر المهنة على صاحبها عند الوصف، وكيف أنه يأخذ معانيه من أفرادياتها، ويبدأ بقصة ينقلها عن الجاحظ عن أثر الوراقة على الوراق، فيقول (ص: ١٤٢):

قال الجاحظ: سألت وراقاً عن حاله؟ فقال: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرقُّ من الزجاج، ووجهي عند الناس أشدَّ سواداً من الخبر بالزاج، وحظِّي أخفى من شق القلم، وجسمي أضعف من قصبته، وطعامي أمضُّ من الخبر، وشرابي أمرٌّ من العفص، وسوء الحال ألزم بي من الصمغ.

فقلت: لقد عبّرت ببلاء عن بلاء».

والجاحظ أديب مبدع يأخذ من فكره أكثر من تجربته، وإذا خطرت بذهنه الخاطرة الجميلة، مما فيه إبداع، سارع بوضعها في إطار يوحى بالتوثيق، وأحياناً هي ليست من ذلك بشيء، ولا يتردد أحياناً أن يلصقها بنفسه، فما يريد إلا إدهاش الناس أو إضحاكهم، فإذا وصل إلى هذه الغاية لا تهمه الوسيلة. وهو مثل الأصمعي في هذا. ومن المؤكد أن هذه القصة التي أحسن الحصري في اختيارها ما هي إلا من بنات أفكار الجاحظ، ولكن الفكرة صحيحة، في أن كل إنسان يتأثر بمهنته، ولكن ليس إلى هذا الحد من الإتيقان الأدبي المبهج.

وسوف أختصر قولاً للجاحظ يسير على

القضبان نفسها، وينحو نحوها، ولكن بثوب آخر، وأسلوب أخاذ، وما اختصرته هو الشعر الذي يورده بعد كل فقرة، مؤكداً صحة ما ذهب إليه.

ينقل الحصري في كتابه ما يلي (ص: ١٤٢):
«وللجاحظ في هذا النوع رسالة كتب بها إلى المعتصم، وقيل إلى المتوكل، في الحض على تعليم أولاده ضروب العلوم، وأنواع الأدب، وهي:
يا أمير المؤمنين، علّم بنيك من أنواع الأدب ما أمكن، فإنك إن أفردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يعرفوه؛ وذلك أن حزاماً، صاحب خيلك، حين سأله عن الواقعة ببلاد الروم قال:

لقيناهم في مقدار الاسطبل، فما كان إلا بمقدار ما يحسّ الرجل دابّته، حتى قتلناهم؛

فتركناهم في مثل نثير السَّرحين، فلو طرحت
روثة لما سقطت إلا على ذنب بردون.

وسألت بختيشوع الطيب عن مثل ذلك،
فقال: لقيناهم في مقدار ساحة البيمارستان، فما
كان إلا بمقدار ما يختلف الرجل مقعدين حتى
تركناهم في محقنة، ثم قتلناهم، فلو طرحت
مبضعاً لما وقع إلا على أكحل رجل.

وسألت جعفر الخياط عن مثل ذلك فقال:
لقيناهم في مثل سوق الخلقان، فما كان إلا
بقدر ما يخيט الرجل درزاً، حتى تركناهم في
أضيق من جُرْبَان، فلو طرحت إبرة لما وقعت إلا
على درز رجل.

وسألت إسحاق بن إبراهيم عن ذلك، وكان
زارعاً، فقال:

لقيناهم في مثل جريب من الأرض؛ فما كان
إلا بقدر الرجل مشاركة حتى قتلناهم عن
آخرهم، فلو طرحت منجلاً لما سقط إلا على
رأس رجل؛ فصاروا مثل أكوام التبن إذا خرج
عن الحب.

وسألت فرجا الرخجي عن مثل ذلك - وكان
خبازاً - فقال:

لقيناهم في مثل مقدار جفنة؛ فما كان إلا بقدر
ما يعجن الرجل قفيزاً، أو يخبز أرغفة، حتى
صيرناهم في أضيق من حجر التنور؛ فلو طرحت
جردقاً لما وقع إلا على خوان الخبز على كثرة
القتلى.

وسألت عبدالله بن عبدالصمد عن مثل ذلك
- وكان مؤدّباً، فقال:

لقيناهم في مقدار كتف، فما كان إلا بمقدار ما
يقرأ الصبي إمامه، حتى تركناهم في أضيق من فم
الرقم، فلو طرحت دواة لما سقطت إلا على حجر
قتيل.

وسألت الجهم بن بدر عن مثل ذلك - وكان
صاحب حمّام - فقال:

لقيناهم في مثل بيت الابتذال، فهزمناهم بقدر
ما يغسل الرجل وجهه؛ فلو طرحت ليفة لما
وقعت إلا على ظهر رجل.

وسألت الحسن بن أبي قماش - وكان أبوه
كناساً - فقال:

لقيناهم بقدر ما يكنس الرجل زنبيلاً، حتى
تركناهم في أضيق من حجر المخرج، فلو رميت
بنت وردانة لما وقعت إلى على ظهر قتيل.

وسألت أحمد الشرابي؛ فقال:

لقيناهم في مقدار بيت شراب، فلم يكن إلا
بمقدار ما يبزل الرجل دنّا، وحتى تركناهم في
أضيق من رطلية، ثم سألت دماؤهم كالدرددي،
فلو طرحت كأساً لما وقع إلا في كف رجل.

وسألت عبدالله الطاهري - وكان طباحاً - ،
فقال:

لقيناهم في مقدار مطبخ أمير المؤمنين، فما كان
إلا بمقدار ما يَشوي الرجل حَمَلاً أو جدياً، أو
يفرغ من طبخ ثلاثة ألوان، أو بمقدار فالودجة،
حتى تركناهم في أضيق من أثافي القدر، فلو
طرحت ملعقة لما وقعت إلا على بطن قتيل.

وسألت داوود الفراش عن مثل ذلك قال:

لقيناهم في مثل تربع الفسطاط، فما كان إلا

بقدر ما يفرش الرجل بيتاً أو بيتين، حتى تركناهم في أضيق من صاريات، ثم قتلناهم، فلو رأيت نجار التراب عليهم، وقد سالت دماؤهم في حمرة الأرمني.

[لا بد أن هناك سقطاً، فلم تأتِ الجملة التي في المعتاد أن يأتي بها لتختم الحديث].

يا أمير المؤمنين، إنما ينطق اللسان بما يتصور الجنان، ويظهر في الكلام ما يخطر على الأوهام، فمن لم يعرف إلا شيئاً واحداً لم يتكلم إلا عليه، ومن كثر علمه كثرت خواطره، واتسعت مذاهبه، ورب هزل أنفع من جد، إذا أصيب به موضع الحاجة إليه، ووضع بحيث تقع همم النفوس عليه، والسلام».

وواضح أن هذا الكلام موضوع ومنمق، ولم

يكن منه في الحقيقة شيء، ولأن الجاحظ لا يهتم
أن يعرف الناس أن ما جاء به موضوع، أو أحياناً
مسروق. ولو كان الجاحظ وزّع على الشخصيات
التي رصدها «استمارة» فيها بيانات يراد ملؤها لما
جاءت بهذه الصورة المتماثلة، وهذه الشخصيات
متباينة الثقافة والعلم، وأين للجاحظ القدرة على
الذهاب إلى كل واحد وحلب ما لديه من فكر
بهذه الصورة.

وقد جاء الجاحظ، بعد كل مهنة، بأبيات
شعرية غزلية تبين أثر صاحب المهنة فيها، وفيها
بحق مقدرة على الإنشاء الأدبي ما يشهد للجاحظ
بالمقدرة، وسعة الثقافة، ولباقة الدخول إلى
الموضوع. ولعل الجاحظ يتلذذ بإنتاجه هذا مثلاً
نتلذذ به نحن، على الرغم من معرفتنا بأنه مؤلف،

ولكن ما يأتي من الجاحظ من نسج الخيال يغلب أحياناً في جماله ما يأتي به صادقاً، وإن كان من الصعب في أمر الجاحظ أن يعرف الحد بين الحقيقة والخيال، وقد يكون جزء من القول حقيقة، ولكن طبيعة الجاحظ تغلبه، وتغريه قدرته، فيحليه بحلية يحسن جليها، وينمق مظهرها.

ويمكن أن نقول إن الجاحظ خفيف ظل، وأديب محلق، واسع الإدراك، ساحر الأسلوب، متعدد المواهب، لا يشق له غبار في مهنته، صاحب مدرسة خاصة في الأدب وفي التأليف والكتابة، ومقبول ما يأتي منه، على الرغم من علمنا بطريقته التي وصفناها.

ولسنا الوحيد الذين يقولون هذا، ولسنا

بدعاً في ذلك، وكل من درس الجاحظ يلحظ هذا الأمر الذي لا أظن أنه يعده عيباً، بل يعتمد إليه مختاراً، وكأنني به يتسم بما قد يُبدى في هذا من ملاحظات.

هذا الحصري يقول عن الأبيات التي أشرنا إلى أن الجاحظ ذيل بها الأقوال المهينة التي بسطها، وجمل بها حديثه، وهي أشعار قوية ورصينة. وإليك ما قاله الحصري عنها، وعن ما يماثلها (ص: ١٤٨):

«والجاحظ صنع هذه الأشعار لما وضع هذه الأخبار، وكان قديراً على الشعر، سراً قاله.

روى أبو مسلم الكشي قال:

حدثني إبراهيم بن رباح قال:

مدحني حماد بن أبان اللاحقي بشعر فيه هذان

البيتان:

بدا حين أثرى بإخوانه

فقلّ فيهم شبابة العدم

وذكره الحزم غبّ الأمور

فبادر قبل انتقال النعم

فرّوي هذا الشعر، وعُرف بالبصرة، ثم جاءني

الجاحظ فمدحني بشعر أدخل فيه هذين البيتين،

فاحتملت ذلك، وأثبتته؛ فبينما أنا جالس يوماً في

مجلس أحمد بن أبي دؤاد، والجاحظ في مجلسه، إذ

قال لي أحمد:

ما وصفت بشيء أحسن مما مدحني به

أبو عثمان، وأنشدني البيتين. فقلت:

إن مادحك - أعزك الله - يجد فيك مقالاً،

والجاحظ ملأ عينيه مني، ولا يستحي منه.
وقد أسهب الحصري في باب لاحق (ص:
١٤٩) ما جاء من أوصاف بليغة على السنة
أصحاب المهن والصناعات، في وصفهم البلاغة،
منهم الجوهري الذي أخذ من صفده وعبر عن
البلاغة، والعطار أخذ من قناني روائحه
وعطوره، والصائغ أخذ من مشغله، والصيرفي
من النقد، والحداد من كيره وبقية عدته، والنجار
من عدة نجارته، والنجاد من ندف القطن وما
يتصل به، والماتح من سقائه ومائه، والخياط من
الثياب والقمصان وبقية الملابس، وغير هؤلاء،
من صباغ، وبزاز، وحائك، ورائض، وجمّال،
وخمار وطبيب، وكحال، وهو كلام يستحق أن
يكتب ويُروى.

ومن الأمور التي اختارها الحصري حكاية
صارت حجة مفيدة لكثير ممن رغبوا عن واليهم،
واستمرت إلى زمننا هذا، ولعلها نقلت إلى العامة
حتى أصبحوا يتحزمون بها كلما تماثلت مواقفهم
مع ولايتهم مع ما حدث في ذلك الزمن: (ص:
١٦١):

«وشكا أهل بلدة إلى المأمون والياً عليهم،
فقال:

كذبتُم عليه، قد صحّ عندي عدله فيكم،
وإحسانه إليكم.

فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين؛ فما هذه
المحبة لنا دون سائر رعيتك، قد عدل فينا خمس
سنين، فأنقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع،
وتُريح معنا الكل.

فضحك منهم، وصرفه عنهم».

قول فيه منطق جاء من رجل عاقل عرف كيف يستفيد من ذكائه في فتح باب أغلق.

والحصري حريص على أن يعطي صوراً وافية عن المجتمع في تلك الأزمان، وإذا كان أغلب ما يرد به عن العقلاء، فإن هناك مجانين في أمورهم طرائف، وفيما يأتي منهم إضاءات، ويأتي منهم كذلك مفاجآت لم يحسب لها العقلاء حساباً، لأنهم يغرفون من عقل غير منتظم القواعد، ويسلكون في مسارب تفكيرهم ما لم يعتد العقلاء عليه، وبهذا فهم في واد والناس في واد، وإذا ما اعتنى مفكر دقيق في تصرفاتهم وأقوالهم، ومسارب تفكيرهم، وأعطاهما من متابعة الملاحظة، وتقسيم أنواع مفرداتها، لوجد أنها

ذات نسق منتظم لم يتبّه له الناس، وأورد
الحصري قصة لمجنونين (ص: ١٦٤) رأى أحد
المارة في فعلهما ما ظن أنه ليس فيه منطق، وأنه
يمكن أن يربح على حساب جنونهما، وكانت
العاقبة أنه باء بخفي حنين، وفوجئ بما لم يكن له
بالحسبان، واكتشف أن كسبه الذي تطلع إلى
الخطوة به كان سيجعله عبرة لمن اعتبر:

«قال هارون المخزومي:

رأيت مجنونين يتنازعان رغيفاً، يقول أحدهما:
هذا أنت تأكله.

ويقول الآخر: بل أنت تأكله.

قال: فقلت لهما - وأنا أظن أن أربح عليهما:
أنا آكله.

فقالا: يا أحق، إنه مع آدم (أي معه شرط).

فقلت: وما آدمه؟

قالا: وجأ الحلق، وصفع العنق.

فولّيت عنهما.

فقالا: يا مجنون، لولا بشاعة الأدم لكنا أكلناه

منذ حين.

ونجد خلوة لأحد الأدباء أعمل فيها الفكر،

فأجاد الادعاء، وجاء بما وجدته أهل الأزمان

طريفاً، وأخذوا يتناقلونه من جيل إلى جيل، ولم

يقف أحد وقفة تأن وتبصر، ويُقلّب الأمر على

جوانبه ليتأكد عما إذا كان بالإمكان أن يحدث هذا

بديهة بين اثنين بهذه الصورة، وهل نفس المريض

وهو في علته تمكنه من أن يتقعر، ولكن أحد أعداء

النحاة أخذ منشاره، ونشر خشبة هذه القصة،

وفصلها على أبي علقمة النحوي الذي دخل بها
تاريخ الأدب من غير أن يختار أن يدخله.

يقول الحصري (ص: ١٨٠):

وَحَصَلَتْ لِأَبِي عَلْقَمَةَ النُّحَوِيِّ عِلَّةٌ، فَدَخَلَ
عَلَيْهِ الطَّبِيبُ يَعُودُهُ، فَقَالَ:

ما تجد؟

قال: أكلت من لحوم هذه الجوازل [الناقة تقع
هزالاً، وفرخ الحمام]، فَطَسَيْتُ طَسَاءً [أَتَحَمُّ مِنْ
الطَّعَامِ] فَأَصَابَنِي وَجَعٌ مَا بَيْنَ الْوَابِلَةِ إِلَى دَائِيَةِ
الْعُنُقِ [مِنْ مَعَانِيهَا طَرَفُ رَأْسِ الْعِضْدِ، وَدَائِيَاتُ
الْعُنُقِ فَقَارُ الْعُنُقِ]، فَمَا زَالَ يَزِيدُ وَيَنْمِي حَتَّى
خَالَطَ الْخُلْبَ [لُحْمَةٌ رَقِيقَةٌ تَصِلُ بَيْنَ الْأَضْلَاعِ]،
وَالشَّرَاسِيفِ [غَضْرُوفٌ مُعَلَّقٌ بِكُلِّ ضِلْعٍ]. فَمَاذَا
تَرَى؟

قال: خذ خربقاً وسلفقاً وشبرقاً فزهزقه
وزقزقه واغسله بماءٍ روّثٍ واشربه.

فقال: ما تقول؟

فقال: وصفت لي من الداء ما لا أعرف،
فوصفت لك من الدواء ما لا تعرف.

قال: ويحك فما أفهمتي.

قال: لعن الله أقلنا إفهاماً لصاحبه.

الملاحظ أن أبا علقمة بعد أن نشر كنانته في
الأول تحدث مع الطبيب، وأخذ معه وأعطى بلغة
سلسة!!

والأصمعي أديب لامع، ولا بد أن يكون له
حيّز في كتاب «جمع الجواهر»، لأن المأثور عنه في
الأدب وتاريخه كثير؛ ولأن طبيعة ما يروى عنه

تتفق مع طبيعة ما ألف له هذا الكتاب.
والأصمعي كما سبق أن قلنا تختلط الحوادث
الحقيقية عنده بما هو متخيل، تطراً على باله فكرة،
أو يوحى أمر له بفكرة، فينسج قصة متقنة، تجعل
القارئ ينسى واجب النقد والتمحيص، لما في
هذه القصة من طرافة، ولما تحتوي عليه من قرب
للواقع، ولما تحتوي عليه من جاذبية، تسحر
القارئ، فينساق معها. وعندما يبهت التأثير،
ويتدبر المرء في الحصيلة التي مرت به من رواية
الأصمعي يختار فيما يقبله من حقيقة، أو يعده
خيالاً، أو ما هو الجزء الأصل في الحكاية، وما
هي الأبازير التي اختارها الأصمعي من دكانه
ومخزونه:

قال الأصمعي: طلب الحجاج رجلاً فهرب

منه، فمرّ بساباط [سقيفة بين دارين تحتها طريق]
فيه كلب نائم في ظله، قال:

يا ليتني مثل هذا الكلب.

فما أت ساعة حتى مرّ به الكلب وفي عنقه
حبل، فسأل عنه فقالوا:

جاء كتاب الحجاج وبه يأمر بقتل الكلاب.

لعلها موعظة مغلفة جاء بها الأصمعي بهذه
الصورة بدلاً من أن يأتي عن هذا التمني بقول
مباشر، يبين فيه رأيه في أن التمني قد لا يكون في
صالح التمني. على أي حال الأمر طريف،
والفكرة مبتدعة، وتأتي طبيعية من فكر مصدره
عقل الأصمعي، ونظرته للأمور.

ولا بد أن الحصري يختار الشيء لطرافته
أحياناً، أو لأنه يدخل تحت باب قد وضعه في

خطته، وقد وضع خبراً تحت باب «من علامات الحمق»، فوضع ما يمكن أن يعد حقيقة واقعة، وما يعد من نسج الخيال. والخيال يفضح نفسه أحياناً عندما يكون مزدحماً بالصدق التي لا يُعرف أنها سبق أن تجمعت في ما يحدث في الواقع. وفي القصة الآتية شيء من هذا، (ص ١٨٨).

قال هشام بن عبد الملك يوماً في مجلسه:
يعرف حمق الرجل بخصال أربع: بطول لحيته،
وشناعة كُنيتِه، ونقش خاتمِه، وإفراط شهوته.
ثم رمى بصره إلى رجل طويل اللحية في أقصى
المجلس، فدعا به. فقال:
هذه واحدة، ثم سأل عن كُنيتِه، فقال: كُنيتي
أبو الياقوت الأحمر.

فقال: وما نقش خاتمك؟

قال: وتفقّد الطير، فقال مالي لا أرى الهدهد.

هذه حكاية مهلهلة لا يحكمها عقل، ولا يجيزها منطق، وهي حكاية مرتبكة من حيث سير الوقائع فيها، فلا رابط بين طول اللحية والحمق، هذا مادي، والآخر معنوي يملئ تصرفاً خاطئاً. والكنية تطلق على الرجل من غيره لا يختارها ويتقيها ويلبسها. ونقش الخاتم قد يقبل حكماً على ما يكتب فيه، ونقش خاتم الرجل يدل على سفه، لأنه آية من القرآن، والرجل معرض لدخول الحشّ، وهم يتحرزون من هذا، والآية طويلة، ما الخاتم الذي يتحملها، أو تفي صفحته لها. ولو اقتصر معرّف الحمق على هذه لربما وُجد مسرب لنور الحقيقة في هذا.

وقد يكون مَن أَلَّفها رَكَّبها على شخص تتوافر فيه بعض هذه الدلائل، ونسبها لعبد الملك حتى تقبل، لأنه من غير السهل مناقشة ما جاء من الخلفاء من الحُكَم.

والحصري تساهل في رصدها في كتابه لأن لديه باباً يريد أن يضع تحته ما يندرج تحته، فإذا استبعد كل مهزوز قد لا يجد الحصلة التي سعى إلى رصدها.

القضاة في موقعهم مع الخصوم يتعرضون لمواقف طريفة، تستحق أن تُروى وتُدوّن، القاضي رزين وعالم وحكيم، إلا ما قلّ، والخصوم فيهم المنصف من نفسه، الصادق في قوله، الطالب لحكم عادل له أو عليه، وفيهم المدعي ظلماً وعدواناً، وفيهم اللجج، المزعج في

حديثه، ورفع صوته، ومخادعته، ومراوغته،
ومحاولة الكسب عن طريق تغطية الحقيقة
والتدليس، ومنهم الساذج، والعيي الذي لا
يعرف كيف يسط شكواه، أو يدفع دعوى
أقيمت عليه، وفيهم من يأتي بأشياء مضحكة
نتيجة تصرفه في مجلس القضاء وكأنه في الشارع.
وهناك صورة من تلك الصور، اختارها الحصري
لموقف طريف قام فيه القاضي بدفع المال هو بدلاً
من المدين قبل خطو المحاكمة خطواتها الأولى.
وهي حقاً طريفة، ولا ينقصها إلا أن الراوي لم
يذكر اسم المشكو مع أهميته، وما أبداه من أدب
وشعر، وما حصل عليه بعد الإدقاع والفقر،
وبسبب هذه الدعوى تعيّن أميراً في منطقة مهمة:
ذكر الحصري تحت باب: «قاض دفع مالاً لمن

توجه إليه باليمين» القصة التالية ص: (١٩٤)
ومن طريف ما في هذا الباب ما حكاه الصولي،
قال:

«كنت يوماً بين يدي أمير المؤمنين الراضي
بالله، إذ دخل عليه بعض الخدم برقعة دفعها
صاحب الخبر، الملازم لمجلس أبي عمر القاضي،
يذكر أن رجلاً أحضر خصماً للقاضي، وادّعى
عليه مئة دينار؛ فألزم القاضي الغريم اليمين، إذ لم
يجد الخصم بيّنة، فأخذ الدواة وكتب بيتين،
فدفعهما إلى القاضي، فأمر القاضي غلامه فأحضر
مئة دينار، ودفعها إلى الرجل. والبيتان هما:

وإني لذو حلف كاذب
إذا ما اضطررت وفي الأمر ضيق

وهل من جناح على مسلم

يدافع بالله ما لا يطيق؟

فعجب الراضي من الرجل وديانته، لخلاصه
من الحكم، وعجب من كرم القاضي، وحسن
فعله.

ثم أمرني بالركوب إلى القاضي، ومسألته في
البحث عن صاحب البيت، وإحضاره إليه. فلم
نزل أياماً حتى حصل لنا، فجئنا به إلى دار
السلطان فأمر له بألف دينار، وخمس خلع،
ومركوب حسن، وأمره بملازمة الدار، ثم قلده
الأهواز وأعمالها.

ولو أن كل قاض دون في تلك الأزمان، وفي
زمننا هذا، ما يمر به من طرائف وحكايات،
وإقرار ومراوغة، لكان تحت نظرنا أدب متميز،
مطرب ومفيد، وكاشف لجوانب المجتمع،

وأَنْفَسَ النَّاسَ، واختلاف الطبائع، وتعدد النظرات، ولبقي هذا الأدب في الصفوف الأولى من التراث، فيه المتعة، وفيه التجربة، وفيه العظة، وبه الاقتداء. وما دُونَ من أدب المحاكم والمحاكمات قليل جداً نسبة إلى ما كان بالإمكان تدوينه. وإذا كان بعض القضاة يتخرج من ذكر اسم المتحاكمين، فيستطيع أن لا يذكر الاسم، أو يرمز إليه رمزاً، وقد يصوغ الحكاية صياغة لا يفهم منها أن المقصود بعض ما تداوله الناس. إن تجاربنا في هذا المجال تدعو إلى الحث على تدوين مثل هذه المواقف القضائية، فنحن عندما نجلس مع بعض القضاة نسمع في المجالس ما يدهش، غرابة وطرافة وعمق فائدة.

ونخرج من هذه القصة إلى قصة أخرى تعيدنا

إلى تأليف القصص للّمز والهمز، والانتقام ممن له
على آخر مأخذ، إمّا أن تكون عنصرية محتد، أو
مهنة، أو سياسة، أو حسداً، أو تفكهاً.

والقصة كالتالي، (ص: ١٩٨):

كان أحمد بن أبي طاهر قبيح الوجه، وكان له
جارية من أحسن النساء، فضحك إليها يوماً،
فعبست في وجهه، فقال لها:

أضحك في وجهك فتعبين في وجهي؟

فقالت: نظرت أنت إلى ما سرّك فضحكت،
ونظرتُ إلى ما ساءني فعبستُ».

ثم سكت الراوي، ولم يقل لنا ماذا فعل أحمد
ابن طاهر، هل ثأر لكرامته، وأنزلها السوق
وباعها إلى من هو أقبح منه، أو «بلع» كرامته،
وصمت، ولم يعد يضحك في وجهها، ولم تعد

تعبس في وجهه؟

ومن يا ترى الذي كان جالساً بينهما ليسجل
هذا الانكسار وهذا الانتصار؟

إما أن مؤلف هذه القصة في نفسه شيء من
أحمد بن طاهر، فألف هذه إطفاءً لهذه الحرارة في
صدره، أو أنه أراد شخصاً غيره، في زمن لاحق
لزمن أحمد، وورّى بأحمد وجاريتيه، وستصل
الرسالة واضحة إلى من أراده، وما أحمد إلا
مشجب معد جاهز علق عليه الفكرة، ودلّ
القصة.

وهناك قصة تسير على نهج مماثل، إلا أنها
أخذت صورة الخير بدلاً من صورة الشر في
القصة الماضية، ولعل الثانية هذه هي الأصل
وتلك الأولى مستوحاة منها. وكأن مؤلف الأولى

رأى أن هناك زاوية قد ينظر منها إلى أمر مختلف.
والقصة الثانية أقرب إلى القبول، وإن كان يبقى
عنصر الراوي، أين كان قاعداً لينقل لنا ما دار
بين رجل وامرأة، ونقطة ضعف أخرى، ألم تفكر
الزوجة في هذا الأمر من قبل؟

والقصة كما وردت في كتاب: «جمع الجواهر»
كالتالي (١٩٨).

قالت «حمرة امرأة عمران بن حطان - وكان
قبيحاً، وكانت جميلة: إني لأرجو أن نكون جميعاً
في الجنة؟

فقال: ولم؟

قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وأُعطيتُ
أنا مثلك فصبرت، فالصابر والشاكر في الجنة.

والتأليف أحياناً يصل إلى الحد الذي يجد معه

القارئ أنه استهين بعقله إلى أبعد حدود
الاستهانة. وبُغض بعض الفئات لفئات أخرى
مثل قريش يجعل من السهل الاختلاق والتأليف،
وتشويه الصور، وإبراز بعض العيوب الشائنة،
مثل العيوب الذهنية، وما يخص الذكاء والفتنة
والنباهة أو الشرف أو النبيل. والقصة التالية خير
مثل لاحتقار ذهن القارئ أو السامع، (ص:
١٩٩):

قال أبو العالية: لما مات سعيد بن سلم
الباهلي، قال لي الرشيد: علّم فلاناً تعزية يُعزّي بها
ولد سعيد لفتى من بني هاشم:

فقلت للفتى: إذا صرت للقوم فقل:

عظّم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم
سعيداً.

قال: هذا طويل.

فقلت فقل: أعظم الله أجركم، وختم بالصبر
على قلوبكم.

قال: هذا أطول من ذاك.

قال: فقلت: أعظم الله أجركم. وكرره عليه
يومين.

فلما كان اليوم الثالث ركب وركبنا معه، فلما
قرب من باب القوم خرجوا إليه حفاةً إعظاماً له،
فلما رأهم قال:

ما فعل سعيد؟

قالوا: مات.

قال: جيد، وما أظن ذلك. فإيش عملتم به؟

قالوا: دفناه.

قال: أحستم. ثم انصرف».

لو كان هذا الفتى القرشي بهذه السذاجة والغباء، فهارون الرشيد أعرف به، ولا يأتي منه أن يعرضه للسخرية. تُرى هل أبو العالية قال ما قال، أو أنه مثل غيره قُسر أن يكون مشجباً علقت عليه هذه القصة التي لا بد أن هناك من هو بالغباء حيث يصدقها؟!!

لعل الحصري أتى بها ليفضح مؤلفها، أو لعله استظرفها.

ولنطلّ من نافذة ضيقة على طريقة من طرق الرواة في نسج ما يكتبون، وما يبيحونه لأنفسهم من وضع وتغيير واختصار أو زيادة. وهذا إقرار واضح بما فعله أحدهم، ويمكن أن يؤخذ منه دلالة على الآخرين من الأدباء

والكتاب والرواة أمثاله.

أورد الحصري قصة بعد أن انتهى من قصة مشهورة عن رجل من بني نهشل يكنى أبا الأغر، أظهر جبناً أمام حركة في بيت ظنها حركة لص، وتبين أنه كلب. وقال في القصة الثانية ما يلي (ص: ٢١٧):

«وقد روى ابن قتيبة وغيره هذا المقام لأبي حية النميري، واسمه الهيثم بن الربيع، وعليه عوّل أبو علي محمد بن الحسن المظفر الخاتمي في الحكاية التي وضعها على أستاذه علي بن هارون، وأتى فيها بكل مليحة نادرة، وزعم أنه أَحَسَّ حَسَّ برذون في اسطبله، فراعته، وتوهمه لصاً، - وهي طويلة في نحو أربعة أجلاد - وقال في أولها:

«هذه حكاية أبي الحسن علي بن هارون مع

اللصّ، الذي تخيل أنه دخل داره، أخبرني بها
أبو القاسم القنطري وغيره من حاشية أبي
الحسن، وَلَفَّظُ بعضهم يزيد على بعض، فجمعت
الروايات على اختلافها، ونظّمت شتيتها،
وهذّبت العبارة عنها، وأوردت المعاني مكسوة
من النثر الرائع، والتشبيه الواقع، مما يطرب
سامعه، ويروق متصفحه؛ ليكون وروده أغرب،
وحفظه أقرب.

وَنَحَلْتُ أبا الحسن، وجماعة ولده، قطعاً من
بارع الشعر، تناسب قطع الرياض نبت القطر،
صنعتها على ألسنتهم، ونسبتها إلى ارتجازاتهم.
وتمثلتُ عنهم بِفَقَرٍ من أشعار العرب، أسمى
قائلها؛ لئلا تلبس بما اختصاصت في نظمه.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت، وإليه
أُنيب».

وقال في آخرها:

«لقد كان في نبأ هذه الكريمة تبصرة لمستبصر،
وتذكرة لمتذكر. هذا ولم تقترح فيها الأقران،
ولا تنازلت فيها الفرسان، ولا استبهمت فيها
البهم، ولا أريق فيها ملء حجم دم؛ وإنما هو
تخييل جبان، وتسويل جنان، ولقد عزّونا إلى هذه
الطائفة من التشبيهات الباهرة، والأمثال النادرة،
ما يبعد جدًا عن مثلها؛ وإنما بعثنا على ذلك أشر
[مرح] الشيبية، ومرح الصبا، ولين الغصن،
وفضل القدرة، واستجابة لما تدعيه من أفانين
الكلام؛ ونستغفر الله من فضول العمل».

هذه وثيقة ثمينة تكشف تفاصيل عن النحل،

بلسان الناحل، وتكشف الأسباب التي دعت به إلى
النحل، والنهج الذي اتبعه، والأسلوب الذي
اختاره، والهدف الذي سعى إليه، وتكشف عما
دعاه إلى سلوك هذا المسلك، وما أقنعه بتبني هذا
النهج. ولو كان الذي كتب هذا عدو الكاتب
الناحل لما جاء بهذا الإتيقان، ولا كشف عن هذه
الخبائيا، القابعة في النفس، والنوايا التي تُسير
أموره. ولندلف الآن إلى بعض الجمل ونناقش ما
يرقد تحتها، وما يختبئ بين طياتها.

القصة أساساً لأبي حية النميري، أخذها
أبو علي محمد بن الحسن المظفر الحاتمي، وصاغها
حكاية وضعها على أستاذه علي بن هارون، ولكن
جعله يشعر أنه ظن حركة برذون في الاصطبل
لصاً قد تسلل إلى داره. وذكر الراوي أنها طويلة

جداً، وذكر اختلاف الرواة في روايتهم للحادثة،
وأنه جمع الروايات، ونظمها، وهذب عباراتها،
وغير في الأصل بأن صاغه بنثر رائع، وبديع
واقع، ليطرب سامعه، ولم يكن الأصل، وما فيه
من معان تهم، وما كان يهمه إلا غرابته، وسهولة
حفظه.

وأكد أنه نحل أبا الحسن وأبناءه شعراً مثل
نبت الروض غب المطر، وصفها على لسانهم،
ونسبها إليهم. وعلى لسانهم كذلك تمثل بأشعار
العرب حدد قائلها حتى لا يختلط ما أضافه من
الشعر بالشعر الأصيل، له هو، أما للآخرين فلم
يأت بشعر الآخرين إلا ليوهمهم أن ما جاء به
أصيل إلا أن قائله لم يذكر.

ثم يأتي في نهاية القول ويعد ما فعله مكرمة،

لأن فيه تبصرة وتذكرة، ولم يأت باختلاف، ولم يُسيء، وما هو إلا بنات أفكار أهداها للخاطب، أوحاها قلب. ويدعي أنه جاء بما جاء به مما يصفه بالنادر بوحى مرح الشباب، وضعف الوازع (لين الغصن)، والطاقة المخزونة، وانسياقاً مع وقع الألفاظ، أما المعاني والمدلول فلا يأبه بهما. ولشعوره بالذنب لما فعله يستغفر الله في النهاية من فضول العمل.

أجل هكذا يدخل الوضع على ما دُوّن في كتب الأدب وتاريخه. ونحن إن كنا حدسنا من قبل أن هذا يحدث فلم يكن في أيدينا دليل ملموس إلا ما استقرأناه من النصوص، وما توحى به، وما يأتي بينها من تناقض، أو ما هو مخالف لثوابت التاريخ، أو طبيعة الأمور، أو أصول الأدب

والذوق فيه. أما الآن فقد جاءنا الدليل واضحاً
على لسان أحد الوُضَّاع، والمدلِّسين. والله
المستعان في كشف ما هو صحيح وما هو أجرب.
ويطرق الحصري باب الهجاء ويأتي فيه
بموروث جذَّاب، وما جاء في الأبيات التي
أوردها مؤلم ولكنه عَفٌّ ليس فيه ما يؤذي السمع
إلا لمن قِل فيه، وفيما قِل مقدرة على تصيد
المعاني، والبحث عما يكون لائقاً في مقامه. وقد
اخترت أبياتاً قصيرة، ولم أورد الطويلة، رغم ما
فيها من معانٍ، خوف الإطالة، ويقول الحصري
إنها كانت بين ابن المعتز وابن بسام مهاجاة. وبدأ
ذلك بذكر ما قاله ابن المعتز، (ص: ٢٢٣):
يا ثقيلاً على القلوب إذا عـ

نَّ لها أيقنت بطول الجهاد

يا قذى في العيون يا حرقه بيـ

ن التراقي حزازة في الفؤاد

يا طلوع العذول ما بين إلف

يا غريبا وافي على ميعاد

يا ركوداً في يوم غيم وصيف

يا وجوه التجار يوم الكساد

خل عنا فإنما أنت فينا

واو عمرو أو كالحديث المعاد

فأجابه ابن بسام بقوله:

فقدتك يا قذاة في شراب

دخلت من الدناءة كل باب

لئيم الفعل أشأم من غراب
وضيع القدر أطفل من ذباب
وأثقل حين تبدو من رقيب
وأكذب حين تنطق من سراب
وأغدر للصديق من الليالي
وأنكى للقلوب من العتاب



وطالما تميت أن القضية في زمننا هذا يكتبون ما
يمر بهم من خصومات تلابسها بعض الطرف،
ويصاحبها حلول هي في منتهى ما يتوقع من
نباهة القاضي، وعبقريته، ومع المتعة التي سوف
يجدها القارئ بمتابعة ما يكتب في هذا الشأن،

فإن هناك فائدة جلّ للقاضي المبتدئ. وقد تتماثل هذه الأمور في كل زمن، ولكن قد يأتي زمن متأخر بما لم يأت به زمن متقدم.

وقد لاحظت أن القاضي الضليع في القضاء، المتمرس صاحب التجربة عندما يتحدث في مجلس ما فهو يشد السامعين، وأذكر من بين من أعرفهم من القضاة الذين أحسنوا التصرف في المشاكل التي قابلتهم، والشُّبه التي جاءت من الخصوم الشيخ محمد البواردي - رحمه الله - والشيخ محمد بن عودة - حفظه الله - وقد يكون لطريقة قصهم لهذه القصص دخل في شد الناس، إضافة إلى اختيارهم للحوادث التي تأتي عرضاً، لتثري الحديث عما يدور حوله الحديث.

وما يكتب في هذا المجال يصبح أداة ثقافة

مطلوبة، لما تمتاز به من التنوع؛ لأن ما يلجئ
الناس إلى القضاء لا يأخذ منحى واحداً، وإنما
يأخذ مناح لا يمكن التنبؤ بها، لأن أمور الحياة لا
يكاد يحدها حد، أو يحصرها عد. لهذا تأتي أهمية
القاضي النابه، لأن العلم وحده لا يكفي،
فالفراصة عند القاضي مهمة، والحرص على
العدل، وضبط النفس، من الأمور التي لا تكمل
صفات القاضي الناجح إلا بها.

أُقدِّمُ هذه المقدمة لقصة أوردتها الحصري، فيها
من الطرافة والمتعة ما يستحق نقلها هنا، رغم أنها
طويلة. وهي من القصص التي تمر بالذهن عند
قراءتها سحابة شك في أنها مؤلفة، أو أن لها
أصلاً، ولكن لحقها ما ليس منها. ورغم أن
القاضي لم يحتاج إلى جهد في إصدار حكم إلا أن

مجرى الحوادث، وما احتوت عليه من متعة
استحقت أن تنقل من المحكمة إلى بلاط الخليفة،
وقد وردت في (ص: ٢٣٠):

«وبينا ابن أبي ليلى في مجلس القضاء إذ تقدم
إليه امرأتان: عجوز وشابة، فقالت الشابة:

أنا - أصلح الله القاضي - امرأة مُبَدَّنة
(جسيمة) وقد بهرني النَّفس؛ فإن رأى القاضي أن
يأذن لي فأحسر عن وجهي فليفعل.

فقالت العجوز: أصلح الله القاضي: إنها من
أحسن الناس وجهاً، وإنما تريد أن تخدع القاضي،
لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال.

فقال لها ابن أبي ليلى: إذا أنتِ شددتِ قناعك
فشأنك ووجهك.

فحسرت الفتاة عن وجه جميل، ثم قالت:

أصلح الله القاضي - إن هذه عمتي، وأنا
اسمها أمي لكبر سنّها، وإن أبي مات وخلف
مالاً، وخلّفتني في حجرها؛ فجعلت تمونني،
وتحسن التدبير في المال، وتوفّره عليّ، إلى أن
بلغت مبلغ النساء، فخطبني ابن عم لي فزوجتني
منه، فكان بي وبه من الحب ما لا يوقف على
صفته.

ثم إن ابنة لعمتي أدركت، فجعلت هذه
تُرغّب زوجي فيها، فتأقت نفسه إليها، فخطبها.
فقلت: لست أزوجهما حتى تجعل أمر بنت
أخي في يدي.

فقال لها: قد فعلت.

فلم أشعر حتى أتاني رسولها، فقال:
عمتك تقرئك السلام، وتقول لك:

إن زوجك خطب ابنتي، وإني أبيت أن
أزوجه منهُ حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل
ذلك، فأنت طالق.

فحمدت الله على ما بُليت به.

وإن زوج عمتي هذه قدم من سفر، فسألني
عن قصتي فأخبرته، فقال:

تزوجيني نفسك؟

فقلت: نعم، على أن تجعل أمر عمتي في يدي.

قال لي: فما تصنعين إذا؟

قلت ذلك إليّ؛ إما أن أعفو، وإما أن أقتصّ.

قال: قد فعلت.

فأرسلت إلى عمتي أن زوجك خطبني، وأني
أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل،

فأنت طالق!

فضحك ابن أبي ليلى، فقالت العجوز:
لا تضحك أيها القاضي، فالذي بقي أكثر
وأعظم.

فقالت الشابة: ثم إن زوج عمتي مات،
فجعلت تخاصمني في ميراثه، فقلت لها:
هو زوجي وأنا أحق بميراثه.

فأغرت ابن عمي، ووكلته بخصومتي ففعل.
فقلت: يا ابن العم، إن الحق لا يستحي منه، وقد
صلحت لك إذ نكحتُ زوجاً غيرك، فهل لك
في مراجعتي؟

فقال: كان ما كان ولا ذنب لي فيه، بل كنا على
أشد رغبة، وأعظم محبة.

ثم قال: أو تفعلين؟

قلت: على أن تجعل أمر بنت عمتي بيدي.

قال: قد فعلتُ.

فأرسلتُ إلى بنت عمتي أن زوجها خطبني،
وإني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي ففعل،
فأنت طالق.

فقالت العجوز: أصلح الله القاضي: أيحل هذا
أطلق أنا وابنتي؟

فقال ابن أبي ليلى: نعم، التعس (الهلاك)
والنكس لك.

ثم ركب إلى المنصور فأخبره حتى ضحك،
وفحص برجليه، وقال:

أبعد الله العجوز، ولا فرج عنها.

يبدو أن الحصري تعجبه الطرائف التي تأتي
عن الأشخاص، فُتُري أنهم خارجون عن النطاق
المعهود، ولا تزعجه المغالاة التي لا ينساق
وراءها الراوي، سواء كان يروي عن غيره، أو أن
له مجهوداً في التأليف، أو الزيادة على ما ألف.
ومن القصص التي تتصف بهذه الصفة قصة أتى
بها عن غفلة رجل من الأشراف، وقد تعدت
غفلته الحدود، مما يجعل المرء يؤمن بأن هذا
الرجل بهذه الغفلة لا يمكن أن يجمع مالاً، أو
يُبقى على مال ورثته، والكاتب أعجبه الطريقة في
ترادف مظاهر الغفلة فألصقها بكل حركة يأتي بها
هذا الشريف، واسمه أبو جعفر الشق، وقد
يكون في أبي جعفر بعض الغفلة ولكن لا يتصور
أنها تصل إلى هذا، ولكن ما دُونَ طريف، ويؤخذ

على أنه من باب «الفن للفن»، ولم يكتف عنه
بقصة واحدة، ولكنه أَرَدَها بخمس أخرى، كل
واحدة تأخذ نهجاً مختلفاً، ولكنها في النهاية تصب
في حوض واحد هو حوض الغفلة (ص: ٢٧١).
«كان بمصر شريف من ولد أبي العباس
يعرف بأبي جعفر الشق، شبيه بابن الجصاص في
الغفلة والجدّ والنعمة، قال أبو القاسم بن محمد
التنوخي:

بعثني أبي إليه من قرية تعرف بـ «تلا»،
يستقرضه عشرة أَرَادِبَ قَمَحاً وثلاثين زوج بقر،
وكتب معي بذلك رقعة، فأتيت إليه، وسلمت
عليه، ودفعت إليه الرقعة، فقال:

ذكرت أباك بخير، وحرسه وأسعده، فهو
صاحبي وصديقي وخليطي، وأين هو الآن؟

قلت بقرية (تلا)، أعز الله سيدي الشريف.

قال: نعم، حفظه الله، هو بالفسطاط معنا،
وقد انقطع عنا كذا، ما كنت أظنه إلا غائباً.

قلت: لا يا سيدي هو (بتلا).

قال: فما لك ما قلت لي؟ فما كان سبيله أن
يؤنسني برقعة من قبله.

قلت: يا سيدي قد دفعت إليك رقعته.

قال: وأين هي؟

قلت: تحت البساط.

فأخذها وقرأها، وقال:

قل لي الآن، كان لك أخ أعرفه حار الرأس،
حاد الذهن، يحسن النحو والعروض والشعر، فما
فعل الله به؟

قلت: أنا هو، أعزك الله.

قال: كبرت كذا، وعهدي بك تأتيني معه،
بزقة، فحطة، قرد لاش.

قلت: نعم، أيد الله الشريف.

قال: وما الذي جئت فيه.

قلت له: والدي بعثني إليك برقعة يسألك
فيها قرض عشرة أراذب قمحاً وثلاثين زوج بقر.

قال: وهو الآن بالفسطاط؟

قلت: لا يا سيدي هو (بتلا).

قال: نعم، وإنما ذاك الفتى أخوك؟

قلت: لا، أنا هو.

فهو يراجعني الكلام، وقد ضجرت من شدة
غفلته، وكثرة نسيانه لما أقول له، حتى أقبل كاتبه

أبو الحسين، فقال:

سل هذا الفتى ما أراد.

فسألني، فعرفته، فأخبره.

فقال له: نقِّدْ له حاجته.

فوقع لي الكاتب بما أراد، وقال:

تلقاني للقبض بالديوان، فشكرت الشريف

ونَهَضت.

فقال: اصبر يا بني فقد حضر طعامنا، وقُدِّم

الطعام وفيه حصرية غير محكمة، فرفع يديه،

وقال: مثل مطبخي يكون فيه مثل هذه! علي

بالطباخ، فأتى فقال له:

ما هذا العمل؟

فقال: يا سيدي، إنما أنا صانع وعلى قدر ما

أُعْطَى أَعْمَلْ، وَقَدْ سَأَلْتَ الْمَنْفَقَ يَشْتَرِي لِي مَا
أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَتَأْخِرْ عَنِّي، فَعَمَلْتُ عَلَى غَيْرِ تَمَكُّنٍ،
فَجَاءَ التَّقْصِيرُ كَمَا تَرَى.

فَقَالَ: عَلِيٌّ بِالْمَنْفَقِ.

فَأَحْضَرَ، فَقَالَ: مَا لِي قَلِيلٌ؟

قَالَ: لَا يَا سَيِّدِي، بَلْ عِنْدَكَ نَعَمٌ وَاسِعَةٌ.

قَالَ: فَمَا لَكَ تَضَايِقُنَا فِي النِّفْقَةِ وَلَا تَوْسَعُ، كَمَا
وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْنَا؟

قَالَ: يَا سَيِّدِي، إِنَّمَا أَنْفَقَ مَا أُعْطِيَ، وَقَدْ سَأَلْتُ
الْجَهْدَ أَنْ يَدْفَعَ لِي فَتَأْخِرْ عَنِّي.

فَقَالَ: عَلِيٌّ بِالْجَهْدِ.

فَأْتِيَ بِهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ لَمْ تَدْفَقْ لِلْمَنْفَقِ شَيْئًا؟

قَالَ: لَمْ يَوْقِعْ لِي الْكَاتِبُ.

فقال للكاتب: لمَ لم تدفع إليه شيئاً؟

فتلعثم في الكلام، ولم يكن عنده جواب.

فقال للكاتب: قف هاهنا، فوقف. ووقف

خلفه الجهبذ، ووقف خلف الجهبذ المنفق،

وخلفه الطباخ، وقال:

نفيت من العباس إن لم يصفع كل واحد منكم

من يليه بأكثر ما يقدر عليه، فتصافعوا.

قال: فخرجت وأنا متعجب من غباوته، ودقته

في هذا الحكم.

وفي القصص الخمس الأخرى من المتعة ما قد

يساوي هذه، وقد يكون بعضها كان لغيره ثم

نسب إليه، وهذه عادة بعض الأدباء ينقلون

الطريقة من شخص إلى آخر، مع تحريف يجعلها

تناسب مع موقعها الأخير، وهم ينجحون في

هذا لأن ما فيها من طرائف تنسيهم مناقشتها
ونقدها.

* * *

لا ينفك الأعراب يهزؤون بالحضر سكان
المدن، ولا تكاد تجد كتاباً عن تاريخ الأدب لا
يضم بين دفتيه شيئاً مما يقوله هؤلاء عن أولئك،
أو أولئك عن هؤلاء، ولعل هذا من مصدر
العداء المتأصل بين الفريقين، فالحضر كانوا
يعانون من غارات البدو والبدو كانوا عرضة
لخداع التجار، ورفع الأسعار عليهم، وغبطهم
حقهم إذا ابتاعوا منهم دواباً، أو شيئاً من
إنتاجهم مثل السجاد الذي اعتادوا على نسجه،
والاستفادة مما يحتاجونه منه، وما زاد عن
حاجتهم جلبوه على أسواق المدن.

وقد يكون بعض ما يقوله أحد الفريقين في الفريق الآخر مبنياً على أساس صحيح، ولكن المغالاة فيه، وجعله مجالاً للنحل هو ما يقف أمامه المرء رافضاً.

والحصري، وهو يتصفح كتب الأدب ليختار منها ما يملأ الخطة التي وضعها لكتابه يجد شيئاً من هذا فيضعه تحت عنوان «من ملح الأعراب»، فجاء فيه بما يقبل وما يتردد في قبوله. والفحص الدقيق العميق هو الذي يبين الأصل من الهجين، وبعضه واضح الوضع، مؤلفه ساذج إذا كان يظن أنه سوف يقبل على أنه حقيقة، ومن القصص التي جاءت تحت هذا الباب القصة التالية (ص: ٢٧٥).

«قال بعض الرواة (وعدم ذكر اسم الراوي

أحد مداخل الشك في أن هناك راوياً غير كاتب الأسطر):

خرجنا نريد البصرة، فنزلنا على ماء لبني سعد، فإذا أعرابية نائمة، فأنبهناها للصلاة، فأنت الماء فوجدته بارداً، فتوجهت إلى القبلة قاعدة، ولم تمسّ الماء، فكبرت، ثم قالت: اللهم قمت وأنا عجلي، وصليت وأنا كسلي، فاغفر لي عدد الثرى.

قال: فعجبنا، وقلنا:

ما تجوز لك الصلاة، وما هذه بقراءة.

قالت: والله إن هذه لصلاتي منذ أربعين سنة». وعدّ الحصري قصصاً على هذا المنوال في الجهل بالدين والخلط فيه، ولم تخل إحداها من لمز

بمسيلمة ما هو مقبول عند الناس، صدق قائله
أو كذب:

«وقام أعرابي يصلي وخلفه قوم جلوس،
فقال: الله أكبر، أفلح من هب إلى صلاته،
وأخرج الواجب من زكاته، وأطعم المسكين من
نخلاته، وحافظ على بعيه وشاته.
فضك القوم، فقال:

أمن هينمتي ضحكتم؟ أشهد عند الله على
عمتي أنها سمعت ذلك من في مسيلمة.

والفراسة وقصصها تستهوي الناس، ويحرص
الكتّاب على تدوين ما يأتي من أصحابها مما يدل
على فراسة وذكاء. ولا غرابة فالصفات النادرة
بضاعة ثمينة، وكسب مطلوب، ولهذا تأتي كتب
الأدب وفيها عناية بمثل ذلك، والحصري حرص

على أن لا يخلو كتابه من ذلك، فجاء ببعض القصص ومنها القصة التالية (ص: ٣٠٩):

«كان أحمد بن طولون قد نابذ الموفق، وباينه بالعداوة، وخلعه، وكان قد ضبط مصر من الجواسيس، وكان متيقظاً فهِماً، فأشرف من قصره يوماً، فإذا بجنازة قد مرّت عليه. فقال:

عليّ بالنعش ومن فيه.

فأحضره، فقال:

قم يا متماوت.

ثم دعا بالسياف، وقال: اضربه فقام الميت من نعشه.

فقال له: أنت متجسس من ناحية أحمد؟

قال: نعم.

قال: لو لم أتقدم [كذا] إليك لقتلتك، وقتلت
من معك.

وأمر من أخرجهم عن عمل مصر.

ف قيل له: من أين علمت ذلك؟

فقال: رأيت القوم ليس عليهم كآبة من مات
له ميت، ورأيتهم يطوفون بالقصر، ونظرت إليه
في النعش، فرأيت رجله قائمتين، ورجل الميت
تسترخي، فحكمت أنه حي، فلما حضر رأيت
يسارق النفس، فصحت القضية.

ومن الأمور التي يلاحظها المتبع لعصور ما
بعد الخلافة العباسية أنها مما يحرص عليه حكام
المناطق ممن له علاقة بالأدب، من تشجيع الأدباء
والشعراء، وكان من أبرز هؤلاء سيف الدولة
الحمداني، وكان يقصده الأدباء والشعراء ومن

بينهم المتنبي. ومجلس سيف الدولة خير مثل
للبيئة التي يزدهر فيها الأدب، ويكرم الأدباء،
وكان يُقصد من العراق ومصر لمن لم يجد
التشجيع في بلاده، ويؤمل أن يجد التعزيد
والتشجيع عند هذا الحاكم البارز في هذا المجال.

وقد أورد الحصري قصة فيها صورة من
حرص سيف الدولة على الالتفات للأدب
والأدباء، وتشجيعهم بتقدير إنتاجهم، وإعطاء
آرائهم الاعتبار، والقصة تُظهر مدى تبرز من
يقصدونه ومن يلجؤون إليه، ويعرضون آراءهم
عليه، وكما سوف نرى أظهر إحساناً لفكرة بدا
فيها منطق مقبول، ولكنه سرعان ما اكتشف أن
وراء الباقعة باقعة أشد، وهذه هي القصة كما
يروها الحصري في كتابه (ص: ٣١٤)

«نقد لشعر امرئ القيس

ومن عجب ما يتعلق بهذا الباب إنه وصل إلى
حضرة سيف الدولة رجل من أهل بغداد يعرف
بالبحث، وكان يُنقَرُّ على العلماء والشعراء بما لا
يدفعه الخصم ولا ينكره الوهم، فتلقاه سيف
الدولة باليمين، وأعجب به إعجاباً شديداً، فقال
يوماً:

أخطأ امرؤ القيس في قوله:

كأنني لم أركب جواداً للذة

ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزقَّ الرّويّ ولم أقل

لخلي كرى كرى بعد إجمال

وهذا معدول عن وجهه لا شك فيه.

ف قيل : وكيف ذلك ؟

قال : إنما سبيله أن يقول :

كأنني لم أركب جواداً ولم أقل

لخيلي كـري بعد إـجـفـال

ولم أسبأ الزق الروي للذة

ولم أتـبـطن كاعـبا ذات خلخال

فيقرن ذكر الخيل بما يشاكلها في البيت كله،

ويقرن ذكر الشرب واللهو بالنساء، ويكون

قوله : للذة في الشرب أطبع منه في الركوب.

فبهت الحاضرون، واهتز سيف الدولة، وقال :

هذا التهدي وربي.

فقال بعض الحاضرين من العلماء للمبحث:
أنت أخطأت، وطعنت على القرآن إن كنت
تعمدت.

فقال سيف الدولة: وكيف ذلك؟

فقال: قال الله تبارك وتعالى:

(إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنت لا
تظماً فيها ولا تضحى). وعلى قياسه يجب أن
يكون:

إن لك ألا تجوع فيها ولا تظماً، ولا تعرى فيها
ولا تضحى، وإنما عطفه امرؤ القيس بالواو التي
لا توجب تعقياً، ولا ترتب ترتيباً.
فخجل الرجل وانقطع».

هذا مجلس يستحق الوقت الذي يخصص له،

فهو مجلس مفكرين، أحد المتحدثين جاء بفكرة
تعارض رأياً كان مقبولاً طوال قرون، وكان
الاعتراض مفاجئاً ووجيهاً، ونال الإعجاب
المتناهي من أديب يتذوق الأدب، ويلمح الفكرة
الذكية، ولكن صاحب هذا الرأي المدهش وقع
ضحية الانسياق أمام أول فكرة تطرأ على الذهن،
دون أن يديرها في ذهنه، ودون أن يعطي أهمية
لقبول الأدباء لها طوال السنين الماضية، وعمّا قد
يكون هناك مما قد يكشفه التدبر والتبصر،
ووجوب عرض الفكر على أناس لهم إلمام بهذه
الأمور قبل إشاعته على الناس.

وقد فوجئ بمن رد عليه قوله بحجة دامغة،
سواء صح أنها قيلت في مجلس سيف الدولة ذاك
أو في مجلس آخر، سبقه تدبر وتبصر - المهم أن

السلاح كان قاطعاً وقاصماً جاء برهان من القرآن
لم يجد الناقد إلى رده سبيلاً. ولا بد أن سيف الدولة
حول وجه إعجابه إلى هذا الناقض الفذ.

القصة التي مرت، وما جاء فيها من اعتراض،
وما تبع ذلك من رد وبيان، جاءت بصورة أخرى
في بدئها، وفي بعض أجزائها، ولا بد أن إحداهما
أصل والأخرى تابعة لها، تغيرت معالمها بسبب
الراوي الذي اعتمد على المعنى ولا يهتم ببعض
المعالم في القصة الأصل. وقد تكون الصيغتان
مأخوذتين من صورة ثالثة، ثم لم تتبين لنا بعد:

والرواية التي جاء بها صاحب: «يتيمة الدهر»
(ص: ٤٣) المجلد الأول، طبعة دار الكتب
العلمية: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٥م) جاءت بهذه
الصيغة:

«استنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي
قصيدته التي أولها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وكان معجباً بها، كثير الاستعادة لها.
فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها، فلما بلغ
قوله فيها:

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تربك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال: قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتقد

على امرئ القيس بيتاه:

كأنني لم أركب جواداً للذة

ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل

لخيلي كري كرة بعد إجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما، كما ليس يلتئم شطرا

هذين البيتين، وكان ينبغي لامرئ القيس أن
يقول:

كأنني لم أركب جواداً ولم أقل

لخيل كرى كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروي للذة

ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك أن تقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف

ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمربك الأبطال كلمى هزيمة

كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال: أيد الله مولانا، إن صح أن الذي

استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر

منه، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا.

ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة

الحائك، لأن البزاز يعرف جملة، والحائك يعرف

جملة وتفاريقه، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية

إلى الثوبية. وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة

الركوب إلى الصيد، وقرن السباحة في شراء

الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء.
وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكرى
الردى، وهو الموت، ليجانسه، ولما كان وجه
الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً،
وعينه من أن تكون باكية، قلت:

ووجهك وضاح وثرغك باسم
لأجمع بين الأضداد في المعنى، وإن لم يتسع
اللفظ لجميعها.

فأعجب سيف الدولة بقوله، ووصله
بخمسين ديناراً من دنائير الصلات ..

والعلاقة بين الحاضرة والبادية تأخذ منح
مختلفة فيما دُوّن في الأدب عنها، فأحياناً تأتي
الصورة الجميلة فيما أتى من أحد أفراد أبناء
البادية، وأحياناً يأتي على هذه الصورة صداً يؤثر

على وضوحها، وما هو حقيقة فيما يأتي في هذا
كثير، وما هو مؤلف أكثر، ولكنه يمثل شعور
الحاضرة تجاه البادية، وخلاف ذلك ما يخص
الحاضرة مما يجلو الصورة، ويزينها، أو يشوهها.
والقصة الآتية وزنت الأمر بين الفئتين بطريقة
مقبولة، وفيها من الشعر الجميل، والمنطق في
المحادثة مما جعلها تُختار وتُدَوَّن، وهي في (ص:
٣٣٩):

«وجلس مالك بن طوق في قصره في شباك
مطل على رحبته، ومعه جلساؤه، إذ أقبل أعرابي
تخب به ناقته، فقال:

إياي أَراد، ونحوي قصد، ولعل معه أدباً
ينتفع به.

ثم أمر بإدخاله، فلما مثل بين يديه قال:

ما أقدمك يا أعرابي؟

قال: سيّب الأمير، ورجاء نائله.

قال: هل قدّمت أمام رغبتك وسيلة؟

قال: نعم، أربعة أبيات قلتها بظهر البرية، فلما رأيت ما يباب الأمير من الهيبة والجلال استحققتها واستصغرتها.

قال: فهل لك أن تنشدنا أبياتك على أن نجيزك عليها ألف درهم، فإن كنت ممن أحسن ربحنا عليك، وإلا فقد نلت مرادك، وربحت علينا.

قال: رضيت. وأنشد:

وما زلت أخشى الفقر حتى تعلق

يدي بمن لا يتقي الدهر صاحبه

فلما رأني الدهر تحت جناحه
 رأى مرتقياً صعباً منيعاً مطالبه
 رأني بحيث النجم في رأس باذخ
 تُظِلُّ الوري أكنافه وجوانبه
 فتى كسواء الغيث والناس حوله
 إذا قحطوا جادت عليهم سحائبه
 فقال: قد ظفرنا يا أعرابي، ورزقنا الفلج
 [الظفر والفوز] عليك، والله ما قيمتها إلا عشرة
 آلاف درهم.
 قال: فإن لي صاحباً شاركته فيها، وما أراه
 يرضى ببيعي.
 قال: أتراك حَدَّثْتُكَ نفسك بالنكث؟

قال: نعم، وجدت النكث في البيع خيراً من
خيانة الشريك.

فأمر له بعشرة آلاف دينار.

لقد كان الأعرابي صادقاً في تراجعته عن القبول
بما يأتيه به الوعد، فقد ر له مالك بن طوق صدقه
وصراحته، وذكاءه في طريقة عرضه في التراجع
مما تعهد به، وبدلاً من الدراهم أصبحت الهبة
دنانير وبدلاً من الألف صارت عشرة.

ومقدرة الأعراب على استدرار الهبات حتى
من أعند ضرع تدل على ذكاء وفطنة، وتدل على
صفاء ذهن، وعلى حسن تصرف، وضبط
أعصاب. والتركيز على الوصول إلى الهدف مبعثة
للنجاح في القصد. ومن قطع مسافات ومسافات
يحدوه الأمل، ويسوطه سوط الحاجة والعوز

جدير بأن يسلك كل الطرق الموصلة، وأن لا
يتمسك بعزة زائفة، أو مجد مصطنع.

وأمامي في هذا الكتاب قصة تمثلت فيها هذه
الأمور التي ذكرتها، فالأعرابي قوبل بوابل من
النقائص، وبسيل من الشتائم، وبطوفان من
الأماني القاصمة، ومع هذا فقد سيطر على
أعصابه، ورد رداً استحلب السحاب فأمطر،
واستنبت العطاء فأثمر، فأصبح صاحب اليد
الطولى في الموقف، ونجح النجاح الذي أراده،
وفاجأ من سواه ممن حضر من مسلكه البديع،
وحسن رده، وتصرفه اللائق برجل صهرته
الصحراء، ونبت ما فيها من رائحة الكلام الحسن
من الخزامي التي تعج بها بيئته، والقصة وردت في
(ص: ٣٣٩):

«دخل أعرابي من ثقيف على خالد بن عبد الله
القسري، فشكا إليه قلة المطر، وجفاف الشجر،
وكثرة العيال، وعدم المال. وكان خالد مبغضاً
لثقيف، فقال:

أما ما ذكرته من قلة المطر فوددت أن الله -
جلّ اسمه - ضرب بينكم وبين السماء صفائح
من حديد، وجعل مسيلها مما يلي البحر، فلا
تصل إليكم قطرة من مائها. وأما ما ذكرت من
يبس الشجر فوددت أن الله أحرق ما لديكم من
ذلك. وأما ما ذكرت من قلة المال وكثرة العيال
فوددت أن الله قطع يديك ورجليك، ولم يجعل
لأهلك كاسباً غيرك.

فقال: أيها الأمير - أصلحك الله - وطئتُ
أرضك، وأملت رفقك، فلا تصرفني بحسرة
الحرمان، واجعل قرابي منك بقدر أملي فيك، لا

بقدر نسبي عندك.

قال: يا غلام أعطه بدرة.

ثم زاده أخرى».



يختار الناس في زمننا في تأديب الذي يعاكس النساء في الشوارع، أو في الدكاكين، أو عن طريق الهاتف، وينهون أمرهم بطرق مختلفة إما شكوى إلى الشرطة، أو العقاب المباشر من الزوج أو الأخ، أو بصفعة من المرأة نفسها.

وأذى الساقطين للنساء عرفته الأزمان المتتالية، وليس وقفاً على زمننا، أو على شبابنا أو بلدنا، ولكنه في كل بلد، وفي كل زمن. وتأتي طرائف في مقابلة هذا الأذى، ومعالجته، وتأديب المقدم عليه. ومن القصص الطريفة قصة نجحت

في تأديب الفاسق أدباً ناجحاً، أوردتها الحصري
في كتابه في (ص: ٣٤١):

«حكى المدائني قال:

كان بالمدينة امرأة جميلة عفيفة ذات زوج،
وكان فتى من أهل المدينة يتبعها كلما خرجت،
ويعرض لها. فلما آذاها شكته إلى زوجها، فقال
لها.

فما عندك في أمره حيلة؟

قالت: قد فكرت في شيء إن ساعدتني عليه.

قال: فأنا أساعدك.

فبعثت جاريتها إليه تقول:

إن الذي بقلبي منك أكثر مما بقلبك مني،
ولكني امرأة مستورة، ولا أعرف الفساد، فكنت

امتنع عليك وفي قلبي النار.

فلما بلغت الرسالة استطار فرحاً، وقال
للجارية: ما أدري كيف أؤدي شكرك إذ جرى
هذا الأمر على يديك؛ فبلغها السلام، وقولي لها:
إني سائر إليك غداً.

ووهب للجارية ديناراً. وطالت ليلته حتى
أصبح، فوجه إليها بجدي وفاكهة.

فقالت الجارية: قد وجب علي شكرك
لإجابتك إياي في حاجة مولاتي، وأنا أشير عليك
بحيلة بها يتم أمرك.

قال: وما هي:

قالت: سيدتي فيها حشم وخجل، وانقباض
من الرجال، فإذا جلست معك، فلا تتعرض لها

بكلام ولا غيره، حتى تشرب معك أقداحاً.
قال: نعم.

وصعدت الجارية، فعاونت سيدتها على
إصلاح الجدي والطعام؛ فلما أحكمته نزلت
الجارية، وبسطت لسيدتها مصلياً، وجاءت،
فسلمت، وقعدت، وجاءت الجارية بالطشت
والماء، فغسلت أيديهما، ووضعت المائدة بينهما،
وجاءت بالجدي والطعام.

فحين أخذ المخدول اللقمة فوضعها في فمه
جاء الزوج فقرع الباب؛ فوضعت المرأة يدها على
رأسها، وقالت:

افتضحت وهلكت.

فقال: دعي الجزع، واحتالي في موضع أكن
فيه إلى خروجه.

قالت: ما أعرف موضعاً يخفى عليه إلا أن
نَحْلَ الحمار الذي في الدهليز، وتقوم في مكانه.
فقال: افعلي.

فجاءت الجارية إلى حمار يطحن في الدهليز
مشدود العينين، فنَحَّتْه، وربطت المغرور مكانه،
وقالت:

اطحن مكان الحمار، ولا تمسك فيفطن بك،
فإني أرجو أن يخرج سريعاً وترجع إلى سرورك.
ثم فتحت الباب، ودخل الزوج، فقالت له:
خرجت على أن تقيم أياماً؛ فما الذي جاء بك
الساعة؟

قال: كنت عزمت على ذلك، فمرّ بي إخوان،
فعرضت عليهم المقام في الضيعة. فقالوا:

لا يمكننا اليوم، ولكننا - إن شاء الله تعالى -
نصير إليك غداً.

فأردت أن يكون مجيئهم إلى البيت أسهل عليّ،
فبادرت إليك، لتصلحي ما يحتاجون إليه،
وخاصة الدقيق، فينبغي أن لا يفتر الحمار في
الدقيق.

فجلسا يأكلان والمخدول يطحن ثم وضعنا
نبيذاً، وجعلا يشربان، والزوج يقول، ساعة بعد
ساعة: هاتي العصا لكي أقوم لهذا الحمار الملعون،
فإني أراه كسلان، ونحن نحتاج إلى الدقيق كثيراً،
فتقوم الجارية فتقول له:

الله الله في نفسك، لا تفتر، فإني أخاف أن يقوم
فيراك.

ثم لم يزل يطحن دائماً، والرجل يشرب مع

امراته إلى أن طلع الفجر، فقام الرجل فتهيأ
للصلاة، وخرج إلى المسجد، فحلت الزوجة
المغرور، وقالت:

طُرْ إلى بيتك لئلا يراك إنسان فتفتضح.

فخرج يعدو على وجهه عريان ويده على
سوءته، فدخل إلى منزله، وبقي مسبوتاً (شبه
ميت)، مطروحاً على وجهه، لا يحرك عضواً.

فلما كان بعد مدة قالت المرأة لزوجها:
قد بقي علينا شيء من الولع بالمخدول.
قال: شأنك.

فبعثت إليه، وقالت:

مولاتي تقرئك السلام وتقول لك:
الله يعلم ما تداخل قلبي مما نزل بك، ولوددت

أن أتيك بنفسي، ولكن المقادير تنزل من السماء،
وإني إليك لمشتاقة، فأحب أن تصير إلينا، فإن
زوجي قد خرج إلى موضع له فيه مقام شهر،
فنستأنس جميعاً، ونسترجع ما فاتنا.

فالتفت إليها سريعاً، وقال:

عسى قد فرغ دقيكم؟

هناك قصة تأتي دائماً على الألسنة، وتمر على
أفكار الناس ولا يمسون منها إلا ما كان مثلاً،
وقد جاء الحصري بالقصة في كتابه منسوبة
وموضحاً فيها أسماء أبطالها، يقول في (ص:
٣٦٤):

«بعثت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص
مولاها فنُداً يأتيها بنار وهي بالمدينة، فمضى إلى
مصر، فأقام بها سنة، ثم جاء بنار وهو يعدو

مسرعاً، فعثر، فبدّد الجمر، فقال: تعست العجلة.

وقد مرّ موقف مماثل بأحد الشعراء فقال:

ما رأينا لغراب مثلاً

إذ بعثناه يجي بالمشعلة

غير فند أرسلوه قابساً

فثوى حولاً وسبّ العجلة

وحصان خيال الجاحظ جامع، لا يرده راد،

ولا يحده حد، تمر بذهنه صورة فيملاً هيكلها بما

يجعلها تأخذ صورة أخرى، فإذا أعوزته الطرفة لا

يتردد أن يعرض نفسه مهزلة، ولكنه في ما رواه

عنه الحصري صب عصارة أدبه على كيسان،

مستملي أبي عبيدة، فصال قلمه في سيرته البليدة

وجال، وجاء بما لا يقبله العقل، ولكن تبتهج
الأذن لما فيه من صوت هزلي.

كتب الحصري في كتابه (ص: ٣٦٦) يقول:
«كان كيسان مستملي أبي عبيدة، موصوفاً
بالبلادة، قال الجاحظ:

كان يكتب غير ما يسمع، ويقول غير ما
يكتب، ويستملي غير ما يقرأ، ويملي غير ما
يستملي، أمليت عليه يوماً:

قلت لمعشر عدلوا بمعتمرٍ أبا عمر
فكتب أبا بشر، وقرأ أبا حفص، واستملي أبا
زيد، وأملي أبا نصر».

هذه رحلة سريعة في روض زاهر من رياض
الأدب، وما قلته قليل مما يمكن أن يقال، وما

اخترته يمثل بعض جوانب من أمور رأى
الحصري أهمية تسجيلها، وقد ختم كتابه بقوله
(ص: ٣٦٧):

قد أتممت - أكرمك الله - لهذا الكتاب جميع
شروطه، ولم أخلّ بتحريره وضبطه، وجعلته
كالسامر الذكي، والمناذر اللوذعي، الذي إذا هزل
عفّ، وإذا جدّ رمز، فأمضي بك في العجائب
المضحكة، والغرائب المونقة، ثم أصلها ولا
أفصلها، من تعلق بأخبار ظريفة، وأشعار
شريفة، وقد خفت أن أكلفك نصباً، وأحملك
تعباً، فقطعت إذ الزيادة في الحدود نقصان في
المحدود، وربّ ربح أدى إلى خسران، وزيادة
أفضت إلى نقصان؛ فنعوذ بالله ونستغفره مما
جرى به اللسان، ونصلي على سيدنا محمد ولد

عدنان، وعلى آله وصحبه السادة الأخيار
والأعيان، صلاة دائمة بدوام الأزمان، آمين.

«الشرح الرائد»^(١)

باعي في النحو وكتبه قصير ولا عجب ألا
أُتعمق في تقويم الكتاب لغيري وأن أقصر ذلك
لنفسي فقط، فقد وجدته مفيداً فائدة عظمت، إذ
أكمل بعض النقص عندي في الجانب الذي
عاجله، واعتبرته فريداً في ذلك، فمنهجه، وعمّده
إلى بعض المواضيع المهمة، وإبرازها بطريقة
تختلف عما اعتدته في كتب النحو المتداولة،
وحصره للحالات التي تندرج تحت مدلول
واحد، سهل المقارنة بين القاعدة والتطبيق،
وسوف يسهل الرجوع إلى المعلومات فيه عند

(١) هذا تعليق سريع على كتاب الدكتور محمود حسن أبو ناجي:

الشرح الرائد لكتاب «نظم الفرائد وحصر الشوارد» لابن

بركات. كتبه في ٩ شوال ١٤٠٥ هـ.

حاجة المرء إلى مراجعة مسألة من المسائل الواردة فيه.

ونشر كتب التراث هذه، حتى لو كانت أحياناً تتماثل في المعلومات والمنهج، إلا أنها تعطي الفرصة لمن يريد الاطلاع أن يدرس المواضيع من جوانب مختلفة، وبأساليب متعددة، وهذا أدعى لفهم المعلومات ورسوخها في الذهن.

والنحو - خلافاً لما هو معروف عند من يقف عند المبادئ فيه - علم يؤدي دوراً كبيراً في تمرين العقل وتدريبه على التحليل والاستنباط وفيه مجال للجدل العقلي، لعله لا يوجد إلا في نحو اللغة العربية، ولو قرأ أحد أقرب الكتب في هذا لأدرك إلى أي مدى يمكن أن يكون رأسه بأيدي لاعبين من جدل العلماء الذين يغوصون إلى

الأسباب: نسمع حجة هذا فنقول هذه هي الحجة، وتقرأ الرد عليها، فتقول كيف فاتني هذا الرد، وتسمع الرد على الرد فتدهش لقدرة الراد. وهكذا حتى تسلم بأنه لا مناص لك من الالتفات يميناً لهذا ويساراً لهذا بإعجاب ودهشة، وأقرب مثل أن يقرأ أحدهما الأوجه في إعراب (إن هذان لساحران).

لهذا يظلم النحو للسمعة الشائعة عنه نتيجة ضحالة الدارسين لهدف تأدية الامتحان ولو تعمق الدارسون في كتب العقل النحوي لوجدوا فيها ميداناً للمتعة الفكرية يدهش ويعجب.

هذا جانب، وهناك جانب آخر، وهو اختلاف النحويين المؤلفين لبعض الكتب في العصور الوسطى، في المنهج، والمعالجة، مما يضيف نوعاً من

التغير الشاذ للانتباه، وهو وسيلة من وسائل
التثبيت والتركيز الذهني، مما يسهل التطبيق
والاستفادة من النظريات.

لقد قرأت كتاب الشرح الرائد لكتاب: نظم
الفرائد وحصر الشوارد لابن بركات، وتحقيق
الدكتور محمود حسن أبو ناجي، ولا أقول إنني
هضمت كل ما فيه، أو أنني استوعبت مرامي
المؤلف، فهناك أمور أشعر أنني في حاجة إلى أن
أجلس في حلقة المؤلف أسأله وأستزيد، وأمور
أخرى أشعر أن النساخ ربما أدوا دوراً في إيهام
فكرة بعد أن كانت واضحة في ذهن المؤلف،
وسهلة الفهم على القارئ. وقد بذل المحقق
جهداً لأن يخرج الكتاب مفيداً، والحكم على
مجهوده متروك للمتخصصين، فما أنا إلا ممن

جلسوا على حافة المائدة دون أن يدعوا. جذبني إليها فرحة برؤية مجهود لأحد تلاميذي، أراه يخطو في ميدان العلم خطوات واسعة تمنيتها له يوم أن كنت أدرسه، وأعلق عليه آمالاً في أن يكون ممن يحملون المشعل، يضيء به الطريق للآخرين، كما أضيء له السبيل من قبل، من أناس شرفهم الله بحمل العلم أمانة في أعناقهم، يرجون أنهم أدوا حقاً عليهم على الوجه المطلوب.

وأحدنا يفرح بالمتخصص في النحو، لندرة من يقدم على هذا التخصص، حتى أصبحت أقسام اللغة العربية في جامعاتنا العربية تعاني من قلة من يسدون الحاجة في هذا المجال، ولهذا يستقبل المتخصص ببهجة وحماس، ويقاس على ذلك

الكتاب الذي يؤلف أو يحقق في هذا الحقل،
ولعل ثراء المكتبة بأمثال هذه الكتب والجهود
يتسبب في اجتذاب دارسين أكثر، ومتخصصين
متعمقين.

هذا وأرجو أن يكون في هذا الكتاب النفع
العميم وأن يثيب محققه على مجهوده ويوفقه فيما
وقف نفسه عليه.

المصادر المحلية لتاريخ

المملكة العربية السعودية^(١)

دأبتُ على تفادي إلقاء محاضرات عامة، فلم أُلِّق في حياتي محاضرة عامة على جمع إلا في النادر، ولم أكن لهذا النادر مختاراً، ما عدا محاضراتي في الجامعة على عدد محدد من الطلاب، في فصل من فصول الكلية، وفقاً لمنهج معين مرسوم.

والسبب في عدم تحمسي لإلقاء محاضرات عامة هو أنني أجزم، مهما كانت معرفتي بما أتحدث عنه، أن من بين المستمعين من هو مثلي في هذا الأمر، ولهذا فلا فائدة له من محاضرتي إياه

(١) محاضرة أُلِّقَت استجابة لمعالي وزير التعليم العالي الأخ الدكتور

خالد بن محمد العنقري، في ٢٠/٩/١٤١٧هـ، بمناسبة «البرنامج

الثقافي لدارة الملك عبدالعزيز، وهو رئيس مجلس إدارتها حينئذ.

عن ما لا يزيد علمه شيئاً؛ أو أن من بينهم من هو أعلم مني وعلى هذا فأولى بي أن أستمع إليه، لا أن أسمع، وهو يجعلني أستحي أن أبدو في حديثي مُنْقِصاً لحقه، أو مقلصاً لقدره، أو متجاهلاً لمقامه؛ لأن في هذا ما يدخلني نطاق سوء الأدب؛ أما إذا كان من بينهم من هو أقل مني، فقد شالت كفته مع رجحان كفة القسمين السابقين.

ولم اختر في هذا المقام أن أحاضر، ولكنها رغبة زميل عزيز، وإخوان أعزاء، أحسن الجميع الظن بي، فليمسحوا لي أن أحملهم وزر تقصيري، لأنني أعرف يقيناً، أن في الميدان الذي سوف أتكلم عنه، من هو أكثر مني علماً، وأعمق بحثاً، وألصق صلة، وأكثر دأباً، وأقصى متابعة، وأوفر

وقتاً، وأحدث اطلاعاً، لانقطاعه، إلى حد كبير،
لدراسة هذا التخصص، ومراقبة ما يجد فيه،
ولعله لم يُختر لهذا الموضوع، لأن نصيبه في هذه
السلسلة من الكلمات بحث ثانٍ، في جانب آخر،
ومن أشير إليهم هنا كثيرون، خاصة من قاموا
بدراسات علمية متعمقة، وبحوث مستقصية،
وهم أبناء في جامعاتنا، تهيأت لهم سبل الإبداع،
فسلكوها، وأتيحت لهم إمكانيات البحث،
فاستغلوها، ولن أتعرض لذكر أسمائهم أو نتائج
عملهم، أو استقصاء دراساتهم، لأنهم معروفون
للعاملين في هذا الحقل، وإنتاجهم ملء السمع
والبصر.

يبقى بعد هذا أن أعرض عليكم، فقط ما
أعرفه عن المصادر، وما أعرفه عنها محدود،

وليس لي فيه إلا طريقة العرض، واختيارُ الزوايا
التي ألمس منها جوانب الموضوع، وسيكون
لملاحظاتكم - بعد ذلك - ما سوف يسد
الثغرات، التي قد تحتاج إلى ملء، نتيجة ضيق
وقت البحث، أو السهو أو الوهن.

والعنوان المقترح ذو شقين:

الأول: المصادر المحلية لتاريخ المملكة العربية
السعودية، وحصص الأمر في المصادر المحلية جعل
المهمة، من بعض النواحي أسهل مما لو أطلق
الأمر، فشمّل المصادر غير المحلية وهي متنوعة،
ومتشعبة، وكثير منها لا يزال يحميّه ضباب
كثيف من نوع أو آخر، لكل نوع منه ستار
حاجب؛ فالجهل بآماكن المصادر العالمية ستار،
وعدم السماح بالاطلاع على ما هو معروف منها

ستار، واللغة أحياناً ستار.

أما المصادر المحلية، فقد خدمت، إلى حد ما، خدمة تتناسب مع همة المساهمين في ذلك، ومقدرة الباحثين عنها، وتبصر الدارسين لها؛ وتكاد أهم المصادر المحلية تنحصر في الأمور الآتية:

١ - كتب مخطوطة عما قبل الدولة السعودية، أو عن الدولة السعودية الأولى، أو عن الثانية؛ أو كتب بحثت في التاريخ والجغرافيا والأنساب، وركزت على منطقة بعينها، أو فترة بذاتها؛ وقد طُبِع بعض هذه المخطوطات، مرةً أو أكثر من مرة، ومن بين هذه الكتب ما أصبح من أول المطبوعات التي أمكن أن يتداولها متابعو تاريخنا الحديث، وأضحت في أيدي الناس وسدت فراغاً شاسعاً، واستوعبها القارئ، وكتب عنها من كان

مهتماً بالتاريخ لهذه الحقبة؛ وعلق هؤلاء على بعض ما جاء فيها، وفُحصت من قبل بعض الدارسين أثناء دراستهم لهذه الفترة؛ ولا تكاد الفائدة المستقاة منها تُحصر؛ أما المعلومات المدونة فيها فأساس من أسس دراسة تاريخ هذه الفترة في الجزيرة العربية، ما وثق، وما لم يوثق.

٢- ثم تلت ذلك فترة، أُلْتُفِت فيها إلى بعض المخطوطات المكملّة لما سبق أن طبع، وقد تكون سابقة لها في الزمن، أو معاصرة، أو لاحقة، ولكنها تساويها، أو تزيد عنها في الأهمية والاعتبار؛ لأنها تضيف معلومات مهمة، للتأكيد أو الترجيح، أو التصحيح، أو النقض.

٣- وهناك مخطوطات مهمة عن فترة تاريخية متقدمة لم تصل إلينا، ولكنها ذكرت في كُتُبِ

دارسين متأخرين، استفاد منها مؤرخون قدامى،
أو أشاروا إليها؛ وبعضها عثر عليه وبعضها لم
يعثر عليه؛ وأمكن أن يستدل على زمنها بمعرفة
زمن وفاة مؤلفها؛ ومنها ما هو قليل الصفحات،
حتى أن بعضها لم يزد عن خمس ورقات.

٤- وهناك كتب لا تزال مخطوطة، وأهميتها
محدودة، لتأخر زمن مؤلفيها، وكثرة نقلهم من
غيرهم، أو نقلهم من صحف معاصرة؛ ولعل
هذا من أسباب عدم العناية بها، وتحقيقها
وطبعها؛ مع أن هذا لو تم لأفاد، لأنه إن خلي من
معلومات فلا يخلو من معرفة رأي المؤلف في
بعض الأمور، التي عاصرها أو لحق في زمنه على
من عاصرها، فأخذ منه.

٥- ومن المصادر المهمة الوثائق الحكومية

الرسمية، والوثائق الخاصة لدى الأفراد، مما يحمل معلومات متشعبة، قد لا توجد في غير مظانها؛ وبعض هذه الوثائق اقتضت طبيعته نشره، وبعضه لا يزال ينتظر العناية به، وترتيبه وتبويبه، وإتاحة الاطلاع عليه من قبل الدارسين؛ ومما يحضرنى عن أهمية الوثائق الخاصة ما حصلت عليه جامعة الملك سعود من خطابات جاءت ضمن ما اشترته من مكتبة الشيخ سليمان الصنيع رحمه الله .

٦- ومن بين المصادر المفيدة ما يتواجد من خطابات ومراسلات، صادرة من داخل الجزيرة، استقرت في نهاية الأمر في بعض المراكز خارج المملكة، وأهم هذه المراكز:

أ- دارُ الوثائق القومية في القاهرة (بالقلة).

ب- المكتبات الرسمية في اسطنبول.

ج- مكتب شؤون الهند (بلندن).

د- وزارة الخارجية البريطانية ممثلة في مكتب

الوثائق هناك.

هـ- ما قد يكون اقتبس من وثائق أو

خطابات، أو صور، في كتب الرحالة الأجانب،

الذين زاروا الجزيرة.

٧- دراساتٍ حديثة، تعد أساساً لما اشتملت

عليه من موضوعات ومعلومات، لم يسبق

تدوينها عن فترة متأخرة، أو معلومات صححت

مفهوماً خاطئاً، أو أدخلت تنظيماً في المنهج أو

الخطة أو حللت جوانب معينة؛ وتركزت بعض

الكتابات على تاريخ الملك عبدالعزيز - رحمه الله

- أو ما يوصل إليه. وهذا القسم من المصادر

كثيرة، نسبة إلى فترة نشاط تأليفها؛ وميزتها أنها اعتمدت، في بعض الجوانب، على وثائق لم تنشر من قبل مما يجعلها بهذا ترقى إلى أهمية المصادر.

٨- وهناك من وثائق التاريخ ما طبع من كتيبات عن أحداث سياسية منقطعة، أرادت بها الدولة تبيان الحقيقة في موقفها من بعض الأحداث، وأقرب مثل الكتاب الأخضر الذي صدر عن مؤتمر الكويت لتحديد الحدود بين المملكة العربية السعودية والعراق والأردن في عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣-١٩٢٤م.

٩- المعلومات التي أدلى بها بعض من عاصروا حوادث مهمة في تاريخ المملكة الحديث، أو شاركوا فيها، ومع ما دُوّن من ذلك تأتي روايات شفوية جاءت عرضاً، أو في مناسبة من المناسبات

وقد جاء من ذلك ثمار يانعة، غدت التاريخ بحقائق رئيسة إن لم تضيف معلومات جديدة، فإنها ساهمت في إقامة جوانب في تكملة صورة مسرح الأحداث؛ ومن جملة هذه الجهود ما قام بتدوينه القسم الثقافي بالحرس الوطني، فقد قابل عدداً من الرجال المسنين، ممن عاصروا الملك عبدالعزيز، وشاهدوا بناء المملكة العربية السعودية الحديثة، أو ساهموا بطريق أو آخر، في أداء واجبهم تجاهها.

وقد تكونت من هذا معلوماتٌ ثرة، لمست جوانب متعددة من الحياة في بدء حكم الملك عبدالعزيز، وما سار عليه منها ما هو سياسي، ومنها ما هو حربي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي؛ ومنها ما هو داخلي، ومنها ما

هو خارجي، وربما حددت، عرضاً، بعض معالم سياسة الحكم والإدارة، وجهود التنظيم، ووضع الأسس، ونجاح التوحيد الإداري بين المناطق، وغير ذلك، مما أصبح موثقاً بتواتر المعلومات من مصادر مختلفة.

١٠ - المراسلات بين الحكام الإداريين والسلطة المركزية، ومجموع من هذه المراسلات تزخر به الدوائر المختصة، وبعضها قد يكون من السهل الاستفادة منه للتاريخ، وبعضها ينتظر تنظيماً، عن طريقه يُحدّد ما يمكن أن يتاح للاستفادة منه، عن طريق إشاعته ونشره، أو الاطلاع عليه اطلائاً تحكّمه حدود، لما لا يزال له من سرّيّة، أهميتها قائمة.

١١ - مراسلات بين أفراد لهم أهميتهم من

رجال الملك عبدالعزيز، قاموا ببعض المهمات،
التي كلفوا بها من قبله، أو من قبل أحد رجاله
المعنيين، وقام بأداء المهمة شخص بعينه، واحتفظ
المُرسل إليه بهذه الخطابات؛ وأذكر مثلاً لهذا
إبراهيم النشمي - رحمه الله - وما لديه من
خطابات من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يأمره
فيها بالقيام بعمل معين، وقد قدم إبراهيم - رحمه
الله - في يوم من الأيام صوراً من بعض هذه
الخطابات لديوان الخدمة المدنية، (ولعلها لا تزال
في ملفه إلى هذا اليوم)، قدمها لأنها وثائقُ ترسم
حدود عمله، وبعضها حربي، وتحدد زمنه ونوعه
وحجمه.

١٢ - خطابات بين أصحاب مهن مختلفة،
وبينهم وبين الحاكم وفيها من المعلومات ما لا

يمكن تحديد فائدته الضافية، لتقرير النواحي الاقتصادية، في بعض الفترات، أثناء بعض الظروف سواء كان ذلك في مجال الأسعار، كما في حال التجار، أو أنواع السلع، والحاجة إليها، أو طرق التوريد ووسائله، أو التصدير ونوعه، أو سائر سبل التجارة، من مسالك وموانئ، وطرق النقل.

١٣ - الصحف، وما في حكمها، مصدر مهم، لما فيها من سجل منظم للحوادث، فهي من هذا الجانب، لا يُستغنى عنها، ولا يكْمُل الأمر إلا بها.

وبجانب ما ينشر في الصحف من أخبار الوقت، وما يكتب من بيانات رسمية، وما يرصد من وثائق مختلفة، وما يكتبه أفراد اجتهاداً من

آراء، وما يبدو أنه من أفكار، فقد خُطت بعض
الصحف خطوة تعد أساساً في التاريخ، وعملاً
مباشراً فيه لهذه الحقبة، إذ عمدت إلى استضافة
بعض كبار السن ممن عاصروا قيام المملكة، أو
شاركوا في نشاط من أنواع النشاط الذي واكب
قيامها؛ فكان لانطلاق المتحدث على طبيعته،
وإعطائه العنان لسجيته، أثر في قبول ما يأتي به
من معلومات، وهذه المعلومات يظهر أثرها، قوة
وضعفاً، عند مقارنتها بغيرها، ويتقرر الاعتماد
عليها كما جاءت، أو بعد أن تتعرض للفحص
والتحقيق، واختلاف الجهات التي يأتي منها
هؤلاء الأفراد، وتباين الحقول التي يطرقونها،
وانطلاقهم في الحديث عن الأعمال التي كانوا
يقومون بها، والزوايا التي يدخلون منها، أو

يُدخلهم السؤال منها، تقرب المعلومات من
التكامل، وترسم صورة تدنو من الواقع
والحقيقة.

١٤ - الشعر: ومنه الفصيح والعامي،
والغالب على هذه الفترة - مما يحمل تاريخها،
خاصة السياسي منه والحربي - هو الشعر العامي،
حتى لا تكاد قصيدة، قيلت في ذلك الوقت تخلو
من فائدة تاريخية، إن لم تكن عن الناحية
العسكرية، فهي عن الناحية السياسية، أو الناحية
الاجتماعية بأنواعها؛ ويصعب تجاهل ما جاء من
حقائق فيما قيل من شعر عامي في القرن الهجري
الماضي وسابقه، فهناك معلومات ثرة، يمكن أن
تسد ثغرات في تاريخ المنطقة.

ومن حسن الحظ أن كثيراً من الشعر العامي

قد دُوّن وأصبح بين يدي الباحث؛ وقد يكون في فهم نصوص الشعر العامي صعوبة على بعض الدارسين المحدثين، إذا لم يكن قد شرح وفُسر وكُشِفَت ألفاظه الغريبة، ومراميه البعيدة، وما أُبهِم فيه من قول، وما غَمَض من معنى. وقد طبع من هذا الشعر كثير، طبعات مختلفة، فحمل المطبوع منه صوراً واضحة، لحياة حافلة بالأحداث.

وقد لا تخرج دراسة الشعر العامي، لغرض التاريخ، عن دراسة السابقين للشعر الفصيح؛ فالمدخل واحدة، والصور واحدة، والمرامي واحدة، والروح واحدة؛ وتكاد تكون الفوائد واحدة، والعيوب واحدة؛ فالفوائد من الحقائق والصور محققة، والعيوب يمكن ملاحظتها في

التناحر القبلي، والصلح العشائري، وفيما بين المدن من تنافس، وفيما بين المناطق من تناحر، وما قد يشوب ذلك من مبالغاة أدت إليها هذه العيوب.

هذه العيوب ساهمت في رسم غير الحقيقة، مما يتطلب من الباحث نباهة فائقة، ويقظة حذرة، ومعرفة تامة بما بين القبائل من صلات وتيرات، وما بين بعض المدن والمجتمعات من منافسات. وقد أجّلت الحديث عن هذا المصدر عمداً، ليكون آخر أنواع المصادر، لأهميته لتاريخ زمتنا في الجزيرة، وما سبقه من زمن مباشر له.

ومن أبرز المحاولات الجادة الناجحة، للاستفادة من الشعر العامي لدراسة التاريخ، دراستان: إحداهما الدراسة التي قام بها الأخ

الأستاذ الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، إذ كان الشعر العامي مصدراً رئيساً من مصادر أحد كتبه. وأرجو أن نرى منه المزيد، وأن يحتذى عمله هذا، حتى لا يبقى بيتٌ شعر فيه إشارة تاريخية تُمَتُّ إلى زمننا، وزمن آبائنا، إلا استفيد منها قبولاً، أو رفضاً.

والدراسة الثانية تلك التي أقدم عليها الدكتور عبدالله الفوزان، وهي دراسة متأنية عن حميدان الشويعر، مبنية على شعره، وتوصل فيها إلى حقائق مهمة عن الشاعر وزمنه، ولعل أحد الأسباب، التي حدت به إلى هذه الدراسة، كثرة ما ذكر عن حميدان من تهم لم تصمد أمام البحث. وقد يكون هناك دراسات أخرى لم أطلع عليها، واهتمامي انصب على الدراسات التي

أوقفت على بحث تاريخي؛ أما ما جاء خاصاً
بالأدب وتاريخه، فلم أعدُّه في هذا الجانب.

هذا هو الجانب الخاص بالمصادر في عنوان
الحديث الذي اختاره الإخوان لهذه الكلمة، وقد
اختصرت القول فيه ليتناسب مع الوقت،
فاكتفيت ببعض الجوانب، دون استقصاء لما
يندرج تحت أنواع المصادر.

أما الجانب الآخر من العنوان فيخص العناية
بالمصادر، ومظاهر العناية بالمصادر التاريخية
المحلية متعددة.

أولها: السعي لمعرفة هذه المصادر في مظانها
المختلفة فبعضها يأتي عن طريق الرواية الشفهية،
وبعضها عن طريق الإفصاح بذلك في الكتب
التي يكتبها أصحابها، أو عن طريق إشارة آخرين

إليها في كتبهم، أو مقالاتهم؛ والجهد الذي يبذل في هذا المجال يختلف بمقدار قوة الإشارة أو ضعفها، فربما يقال في كتاب: سمعت أن فلاناً ألف كتاباً عن كذا، أو في كذا، أو أن يقال: اطلعت على كتاب ألفه فلان في كذا، جاء فيه قوله .. إلخ.

وثانيها: أماكن وجود المصادر وتحديدُها، وهذه خطوة مهمة، لأنها إذا عُرِفَتْ، تُوفِّرَ على الباحث المتأخر جهداً، ووقتاً، وتُنِيرَ له الطريق، للوصول إلى المكان أو المكتبة التي فيها المصدر؛ ومعرفة ما إذا كانت من المكتبات القديمة، ذات الإمكانات المحددة، مما يستوجب السفر إليها أو تكليف من يقوم بنقل النص المطلوب؛ أو كانت من المكتبات الحديثة، ذات الإمكانات المتقدمة،

التي يكفي معها أن يطلب صورة ترسل بإحدى الطرق الحديثة.

والمكتبات الآن في تقدم مستمر، فيما يؤدي إلى خدمة الباحث، ومساعدته في تقليل الجهد، واختصار الوقت ووفاء العمل، وحسن النتيجة.

وثالثها: محاولة الربط بين المصادر في حال وجودها متكاملة أو ناقصة، وتحديد أماكن كل فئة منها؛ وقد يضاف إلى هذا الجهد معرفة الأقدم منها، وما هو المصدر المستقي، والمصدر المستقي منه، مع تحديد تواريخ الكتاب والنسخ، ودرجة الثقة في الناسخ وزمنه؛ وهذا جزء يدخل في دراسة المصدر، أما بقية الدراسة فتأتي في العنصر التالي:

وهو رابعها: وهو دراسة كل مصدر دراسةً

وافية، تبين ما تميز به، وما فيه من جديد، إضافة إلى ما هو معروف أو نقضاً له، أو تعديلاً لما فيه. وهذه الأمور، بعد الدراسة، تحدد قوة المصدر أو ضعفه، وهذا يقرر مدى الاعتماد عليه.

وتدخل في هذا العنصر معرفة مصادر المؤلف المكتوبة أو الجهات التي استقى منها مشافهة، أو أنه اقتبس ما هو مدون مع تحديد مدى الاعتماد عليه، أو إغفاله، أو الأخذ منه بحذر وتدخل كذلك معرفة دور المؤلف، أو الراوي، في نقد ما استقاه، وذهب إليه وقراره النهائي عنه.

وخامسها: بعد أن يتبين النقص في مصدر من مصدرين متشابهين أو في كليهما، يأتي السعي لإيجاد الربط بين الناقصين، ليكْمُل أحدهما الآخر؛ أو يصححه؛ وهذه خطوة مهمة في العناية

بالمصادر؛ والجهد هنا قد لا يكون سهلاً، خاصة إذا كان السعي للتصحيح، أو التأكد من المعلومات، وسوف يلمس نصوصاً مُفرّقة في كتب عديدة، بعضها قد لا يكون في التخصص نفسه، ولكنه جاء عرضاً؛ فقد يكون المصدر المدروس تاريخياً والنص المقارن، أو المصحح به، جاء في كتاب في تاريخ الأدب كأن يكون خطبة ترسم سياسة، جاء بها الأديب لقيمتها البلاغية واحتاج المؤرخ إلى نصها، لما فيه من مرام سياسية، أو عسكرية.

وسادسها: تحقيق المصادر، وشرح نصوصها، وأهمية هذا العنصر تأتي من أنه يُقَرَّب المصدر من التناول من قِبل الباحثين والدارسين، ويسهل عليهم الرجوع إليه، خاصة إذا نشطوا.

والخدمة المتكاملة للمصدر، في التحقيق والشرح والتعليق تساهم ليس فقط في سهولة البحث، ودقته، ولكنها تساهم كذلك في التشجيع على الإقدام على خدمة الفترة التي تدور حولها معلومات المصدر.

وسابعها: وضع الفهارس المتعددة وترتيبها؛ ورغم أن الفهارس قد تُعد ضمن مرحلة التحقيق والنشر، إلا أنني مع الذين يفضلون أن يفرد لها في الحديث عنصر يختص بها وحدها للأهمية التي يجب أن تعطى لها؛ فالفهارس هي المخطط، أو الخارطة، التي عن طريقها يستطيع الباحث، أو القارئ، أن يهتدي بسهولة إلى ما يريد أن يصل إليه، بدءاً أو عودة ومراجعة.

وبدون الفهارس فالناظر في المصدر كالسائر

في درب العلامات فيه غير مواتية، وكلما تنوعت
الفهارس دل هذا على زيادة في العناية، ينتج عنها
إراحة القارئ أو الباحث واختصار الوقت،
والتحبيب إلى هذا المصدر، والتشجيع للرجوع
إليه.

وإذا حاولنا أن نزن مدى عنايتنا بمصادر
تاريخنا، نجد أن أحد المقاييس الدقيقة، الصادقة،
هو وجود فهارس متنوعة ومتقنة، لأنها كلما
اتصفت بها تين الصفتين، أبرأت الذمة في حق
المصادر، وأكدت أنه قد بُذل فيها المستطاع من
العناية والرعاية، والالتفات، وأداء حق العلم
والمعرفة.

وأود أن أقف هنا، وأضم صوتي إلى من يحذر
المؤرخ من أن يقع هو، أو محققُ مخطوطات، أو

أي مؤلف، تحت سلطة الناشر، أو الطابع؛ فالناشر والطابع؛ في بعض الأحيان، يبحثان عن الكسب المادي، واتباع السبل المريحة لهما، ولا يلامان على هذا؛ ولكن على المؤلف، أو المحقق، أن يتدخل في كل أمر يخص الطباعة، فيحدد شكل الكتاب، وحجمه، وعدد الأسطر في الصفحة، وعدد الكلمات في السطر الواحد، وحجم الحرف، ومساحة الهامش والهامشية، ليُشعر القارئ أن المؤلف، أو المحقق، لم ينسه وهياً له كلّ أسباب القراءة الممتعة، والاطلاع المبهج وأبعدا عنه ما يزهده في القراءة؛ واحترام عقل القارئ يساهم كثيراً في قبول الكتاب، أو العزوف عنه.

وثامنها: فحص نصوص المصدر فحصاً

دقيقاً، نصاً نصاً ويجب ألا يظن أن هذا متداخل مع بعض ما سبق من عناصر الفحص إذ أن هذا يأتي تابِعاً لما سبق أن اتخذ على المصدر التاريخي والفحص التام الدقيق يقرر مدى بقاء النص لما وجد له أو وجوب تجاهله، ويوجد الثقة فيه، أو يهدمها.

ولا يسقط المصدر، أو يُلغى الاستفادة منه، ألا يبقى، بعد الفحص والتدقيق إلا القليل، نتيجة إبعاد ما يظن أنه ظن، أو خلط، أو وهم، أو تداخل، أعمى عنه بعض بريق العاطفة التي كانت تسيطر على كاتبه، من حب في المفاخرة، أو رضى فئة، أو غضب من فئة. وهذه هي بعض أنواع السوس التي تنخر في كيان مصادر التاريخ والأدب، وغيرهما، والتي كثيراً ما عانى

الباحثون، والدارسون، منها، عند محاولة التمييز بين مختلف النصوص.

ولكثرة الوضع في التاريخ، وسهولة ذلك، لطبيعة التداخل في هذا الحقل، أقر المؤرخون المحدثون، أنفسهم، أنهم يسيرون في حقل من الشوك، يعوق سيرهم، ويحد من انطلاقهم في عملهم؛ والأسباب للنحل، والوضع، كثيرة، وليس هذا مجال الإسهاب فيها، ونكتفي بالإشارة العابرة التي مرت، ولكن هناك مثل طريف يحسن نقله هنا:

كان هناك مناظرة في قسم التاريخ، في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، في أواخر الخمسينات الميلادية، وكان عنوان المناظرة:

«التاريخ عبث، أو غش وخداع، أو التاريخ

تافه، أو لا شيء، أو مثل عدمه History is

humbuq».

ومعنى هذا أنه لا يُعتمد عليه. وأحد أساتذة

التاريخ الكبار أخذ جانب مهاجمة التاريخ،

وعضد العنوان، ودلل على رأيه ومن جملة ما دلل

به القصة التالية:

تقابل، في أحد العصور، جيشان: ألماني

وفرنسي، وتقاتلا قتالاً عنيفاً، وانتصر الألماني

انتصاراً ساحقاً، وانهمزم الفرنسي انهزاماً ذريعاً؛

وعاد الجيش الألماني بالأسرى والغنائم، وبقي

الجيش الفرنسي يللم فلول جيشه؛ فلما انتظم

عقد الجند الفرنسيين، نادى قائد الجيش الفرنسي

ضارب البوق وقال له: اعزف موسيقى النصر!

فظهرت الدهشة على وجه عازف البوق،
وعلى وجوه ضباط الجيش الفرنسي، وتساءلوا:
أي نصر، ونحن مهزومون؟ قال قائد الجيش،
بأنفة وشموخ: هذا العزف للتاريخ، وعنى بهذا
أن الباحث عندما يرى في التاريخ أن بوق النصر
قد عُزف، فلا بد أن هناك نصراً، وسوف
تتناطح التواريخ وكل مؤرخ يدعي لجانبه النصر،
وتضيع الحقيقة في خضم التزوير.

كم في التواريخ التي بين أيدينا من موسيقى
نصر من هذا النوع، وكم جهد سوف يبذل،
لُتُجَلَّى الحقيقة، ويظهر أدياؤها بعد أن غطاها
غبار الوضع قروناً وقروناً.

نعود إلى العناصر التي عددناها، فإذا أخذنا
هذه العناصر التي يستدل منها على مدى العناية

من عدمها، نجد أن تاريخنا المحلي مر بكل هذه العوامل، فمنه ما استكملت فيه جوانب العناية، ومنه ما لمست العناية بعضه، ومنه ما لا يزال ينتظر الالتفاتة.

ويحكم هذا أمور مختلفة، في مقدمتها حاجة الدارس في بحثه إلى بعض المراجع الرئيسة أو الفرعية، مما يؤدي إلى الالتفات إلى هذا المصدر من المصادر، أو ذاك، والعناية به؛ والباحث بعد استفادته من مصدر من المصادر، التي قامت عليها دراسة الدراسات التي اهتم بها، يجد أن من السهل عليه، فيما بعد أن يعتني بهذا المصدر، الذي استفاد منه، وبذل فيه جهده، ولم يبق لتحقيقه ونشره، وإشاعته، إلا جهد قليل، وكأن التأدب مع المصادر المستفاد منها، يوجب لها حقاً

على الدارس فقد أسدت له معروفاً، وهي مخطوطة، وعليه أن يرد لها الجميل الضافي، ورد المعروف هنا هو في تحقيقها ونشرها.

وهذه هي سمة بعض المصادر التي نشرت مؤخراً، خاصة من قبل حاملي الدكتوراه. أما ما سبق هذه العناية التي هي صفتها. فلعل عوامل العناية المحدودة، وقد اقتصرت على الطبع فقط، جاءت إما لغرض تجاري، أو لالتصاق ثقافي بين المخطوط وقارئ من القراء، رأى في طبع المصدر فائدة واضحة له ولأمثاله.

والخطوات الثابتة، المنتظمة، في رعاية المصادر التاريخية المحلية، جاءت من أصحاب الرسائل الجامعية، فهؤلاء مؤخراً لجؤوا إلى هذه العناية عن علم، وبفهم متكامل، وتخصصهم يبقى هو

العامل الأساس في توافرهم على هذا المنهج،
واتباع هذه الخطط الموصلة؛ حتى المؤسسات
العلمية عندما تُقرّر نشر مخطوط، أو تأليف
كتاب، فإنها تجد في أصحاب الرسائل الجامعية
بغيتها، فيهم هم، أو من يماثلهم في علمهم
وتخصصهم.

وإذا كان المتخصصون العلميون من
السعوديين المؤهلين في الماضي قلائل، فهم ليسوا
كذلك اليوم؛ ولهذا فنحن ننظر إلى أن ما لم يُخدم
حتى الآن، ولم يُعتنَ به، سوف تكون الالتفاتة إليه
صادقة، حتى لا يبقى مصدر إلا وقد أخذ حقه
من الدراسة والتحقيق والنشر، ليتفرغ العلماء
والباحثون للتحليل والاستنباط.

وقد تكون الالتفاتة إلى ما هو معروف اليوم

أسهل من البحث عما قد يكون مُؤلفاً مجهولاً،
ولكن الاستقصاء لأمثال هذه المصادر الشاردة
سوف يكون مجال تحد للجيل القائم من العلماء،
والجيل القادم، خاصة وأن الإمكانيات الحديثة
اليوم سهلت كثيراً مما كان صعباً في الماضي،
وساعدت على قلة الجهد، وتقصير الطريق،
وتوفير الوقت؛ وما على أحدنا اليوم لشحذ
الهمة، إلا أن يتصور المؤرخين السابقين، وقد
وجدوا تحت تصرفهم هذه الإمكانيات الحديثة:
ماذا كان بإمكانهم أن يحققوا؟ وهم حققوا ما
حققوا بإمكانات ساذجة محدودة.

بقي كلمة أخيرة، أختتم بها حديثي هذا، وهي
عن أمر يشغل ذهني دائماً، ويشغل ذهن كثيرين،
وهو أن بعض من في أيديهم مخطوطات، ورثوها،

أو اشتروها، أو أهديت لهم يصر على عضل هذه
المخطوطات، فلاهم ينشرونها، ولا هم يسمحون
للقادر على تحقيقها ونشرها أن يقوم بذلك.

والأمر، في نظري، جسيم، يُلحق بهذا العاضل
إثماً، لأنه يجب عن مؤلفها دعوة مخلصه يرفعها
باحث مستفيد، وَمَنْ كتب المخطوط، وأنحل
جسمه بالسهر والتعب، وتعرض للحر والبرد،
وحرّم نفسه متع الحياة، وأرهق عينيه، وأدى بهما
إلى الضعف أو العمى، بالكتابة على ضوء مصباح
وقوده الودك، أو لحمته الشمع والزيت، رجا
بعمله هذا وجه الله، وكلمة جزاه الله خيراً، يقولها
مقر بالفضل.

لم يُضَحِّ كاتب المخطوط هذه التضحية، ويؤمل
في الله هذا الأمل، ليُقْبَرَ كتابه في رفٍ أو صندوق،

ويبقى عرضة للتلف مع مرور الزمن، ومفاجآت الأيام. هذا بلا شك لا يرضي مؤلف المخطوط، وأقل درجات رضاه ممن وقع في يده مخطوطه، وهو حصيلة نور عينيه، وثمره سنين عمره، وعَوَضُه عن متع الحياة التي زهد فيها، أن يتيح لكتابه أن ينتشر بين الناس.

فأرجو أن يهدي الله هؤلاء العاضلين إلى طريق الحق وهو القادر على ذلك، والهادي إلى سبيل الرشاد.

أخي العزيز الدكتور يوسف عز الدين^(١)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:
أرسل لي صديقنا الحبيب عبدالعزيز السالم
الكتاب الذي أرسلته لي عن طريقه، وهو كتاب
«طقوس الحداثة: قراءة نقدية لنقاد: «قلب على
سفر».

فشكراً على إرساله، وقد قضيت معه وقتاً
مفيداً، وقد اقتضى الأمر أن أعود إلى كتاب «قلب
على سفر» مرة أخرى، حتى أكون قريب العهد
به، فأستطيع أن أتابع ما جاء في كتاب «طقوس
الحداثة».

وقد استفدت من قراءتي للكتابين في وقت

(١) أرسل الخطاب إلى الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين في إنجلترا
حيث يقيم في ٦/١٢/١٤٢٦ هـ عن كتابه «طقوس الحداثة».

واحد، إذ بهذا استطعت أن أدخل في أعماق فكر
النقاد، وأن أعرف ما يدور في أذهانهم، تجاه ما
جاء في روايتك، وقد اكتملت الفائدة بهذا،
ومشيتُ مع النقاد ومع الدكتور عبدالرحمن
المرغلاني في تعرجات المسالك التي لاحق بها
النقاد، فمرة يلتقي بهم، ومرة يفوته ذلك.

ولست متعمقاً مع مصطلحات النقد الحديث.
ولهذا كنت معك في روايتك على السليقة، دون
قيود الفن التي أشعر أنني أضيع معها في دروب
مظلمة، خاصة وأن كثيراً منها اجتهد في الترجمة
قد لا أوفق في وضعه في قلبه الذهني، لأن قواعد
الصرف ليست في انسجام معه.

لقد أعدت لي ذكريات أحيائنا في لندن، وهي
ما تنقلنا فيها، متجاورين أحياناً، ومتباعدين

أحياناً، إيرلز كورت، وكنزنجتون هاي ستريت،
ونوتنج هل جيت، وتوتنهام كورت رود،
وهورلبورن، وغيرها كثير، وكان المَفْصِل الذي
لا يتغير هي الكلية ومكتبها، وغرفة الجلوس،
والشاي، والتجمعات الحبيبة التي تجمعنا
بالشوش، ونييه عاقل، وشاكر خصباك،
والنقاش الحاد الذي يقوم فيعلو الصوت فيه ثم
ينخفض.

رحم الله تلك الأيام، فكل شيء فيها باسم،
وقد لمستَ بعض المواجه في روايتك، وضغطت
في بعض الأحيان على مفاصل اللذة والبهجة في
الصور التي رسمتها؛ ترى لو عدنا إلى تلك
المربع هل تسمح المفاصل والركب أن نمشي من
الإيرْ لذكورت على الأقدام إلى توتنج هام كورت
رود وهو رلبون والجامعة دون أن تصرخ الأقدام

والركب، فتقول: قطنى كما قالها الحوض قبل
ذلك:

امتلاً الحوض وقال قطني

مهلاً رويداً قد ملأتُ بطني

وعلى ذكر الشوش، فالشوش هو الشوش،
الباسم الضاحك رغم عبوس الأيام له أحياناً،
ويخيل إليّ أن أحداً دغدغه مع أبطه ونسي يده
هناك، فهو مزغزغ مدغدغ دائماً، زاده الله من
فضله.

أعود إلى «قلب على سفر»، وقد اخترت أن
تجعلها مقتصرة على صورة من صور الطلاب
العرب، وما يحدث لهم مع الجنس الآخر، من
الحضارات الأخرى، ولا شك أن لك هدفك من
هذا، إلا أنه كان بودي أنك زوجت كامل

(ياحسودي!) بنورية، وأريتنا صورة للانسجام الذي قد يحدث بينهما، خاصة وأنه مصري، ومصر فيها ما يجب الأوروبيات من مظاهر المجتمع الذي جئت منه، أو أريتنا صورة من صور النفرة والتباعد فيه، ولو فعلت هذا لكان هناك مجال لامتحان سلطان الحب، أو سلطان ضعفه وتضاؤله، ولكن هناك مجال لتقابل العادات والتقاليد، ومجال لمعرفة مدى قوة الإرادة عند العربي أو الأوربية في مقابلة المشاكل، والتغلب عليها، أو الخنوع لها، والانحناء، مما يكسر الجرة، ويقضي على الأحلام.

لا أظن، وأنت الرجل الاجتماعي في لندن، ليس في جعبتك إلا قصة واحدة، أو رواية واحدة، خاصة وأني، وقد يكون معي رضا حوارى، من القلائل الذين لمحو بعضاً من

يوسف عز الدين في «كامل» مثلاً كرهه للشراب،
وبعده عنه، وتمسكه بذلك.

لقد أحسن الدكتور المرغلاني بتطرقه لهذا
الجانب من الدراسة، فهي تلقي ضوءاً كاشفاً،
قوياً، على كنه الرواية، والآراء حولها، وأنا من
أنصار جمع الآراء، وعدم تركها موزعة في
الصحف، فهذا فيه حفظ لها، وإتمام لفائدتها،
وإقرار بتميزها عن بقية مواد الصحيفة.

لقد أسعدني أن أعرف أن «قلب على سفر» قد
طُبعت طبعة ثانية، وأرجو أن تكون هذه الطبعة
خير من الطبعة السابقة، فهذه طبعة صغيرة
الحروف، صفراء الورق، وهي لا تليق بهذه
الرواية. ومما شدني في «طقوس الحداثة» كِبَر
الحرف، ونصاعة بياض الورق، ولهذا قرأته في

يوم واحد هو الرواية، ولا شك أن الإخراج
يؤدي دوراً كبيراً في أن يجعل الكتاب جذاباً،
ومريحاً في القراءة، ولهذا حرصت عند طباعة
كتبي على أن أحدد الحرف، وحجمه، والورق
وثقله، والسطر وطوله، والصفحة وعدد
أسطرها؛ وأشرف عن قرب على تنفيذ ما أحده.
هذه عجالة أكتبها فور انتهائي من قراءة
كتاب: «طقوس الحداثة»، لأنني إذا لم أسارع إلى
ذلك، فإني أركن إلى التسويف الذي ليس له
مدى.

تحياتي، ودم معافى ونشيطا في الكتابة والتأليف:

أنوك

عبدالعزیز النوبطر

الفهارس

أولاً: فهرس الموضوعات.

ثانياً: فهرس الأعلام.

ثالثاً: فهرس الأماكن.

رابعاً: فهرس الأشعار.

* * *

أولاً: فهرس الموضوعات:

المقدمة	٥
مع كتاب «صفحات من حياتي»	١٠
مع ديوان «أنوار» لنورة العبدالله الشبيلي	٢٠
«فكر القائد» تأليف جواهر بنت عبدالعزيز بن	
عبدالله بن جلوي	٦٣
«الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي»	٧٠
شكراً للدكتور محمد الملحم	٨٣
مع كتاب «الإعلام في المملكة العربية السعودية»	
للدكتور عبدالرحمن الصالح اشبيلي	٩٤

مع الشيخ عبدالعزيز التويجري في كتابه:	
«ذكريات وأحاسيس نامت على عضد الزمن»	
١٠٦	
في المقدمة لكتاب: ذكريات وأحاسيس	١١١
مع الدكتور غازي في أبيات القصيدة	١٥٠
نظرة في كتاب	٢١٤
الشرح الرائد	٣٢٦
المصادر المحلية لتاريخ المملكة العربية السعودية	
٣٣٢	
إلى أخي الدكتور يوسف عز الدين	٣٦٩
الفهارس	٣٧٦



ثانيا - فهرس الأعلام

الله: قدم لفظ الجلالة دون نظر للترتيب الهجائي:

.... ٥، ٥٦، ٦١، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤،

٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٨،

١٧٧، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٦٦،

٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠،

٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٤، ٣٠٠،

٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٦٧،

٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١

نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، قدم دون نظر

إلى الترتيب الهجائي: ٣٢٣

إبراهيم بن رباح ٢٤٤

إبراهيم فطاني ٢٠٨

٣٤٣	إبراهيم النشمي
١٣٨	الأحفاد
٢٤٥	أحمد بن دؤاد
٧٥، ٧٢	أحمد الدعجاني
٢٦٣، ٢٦٢	أحمد بن طاهر
٢٩٥	أحمد بن طولون
٢٤٠	أحمد الشرابي
٢٢٦	الأحوص
٢٣٢	أردشير بن بابك
٢٣١	أرسطاطاليس
٢١٠، ٢٠٧، ١٨٥، ١٥١	الأرض
٥	الأزهار
٢٣٧	إسحاق بن إبراهيم

أبي إسحاق بن إبراهيم الحصري .. ٢١٣، ٢١٥،
٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧،
٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨،
٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٦٨،
٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧،
٣١٤، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣

أسطول ١٨٥

الإسكندر ٢٣١

الإسلام ١٣٦

أسماء بنت أبي بكر ١٧٧

أشباح ١٨٢

الأصمعي ١٣٥، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤

الإعلام ... ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢،

١٠٣

الأفلاك	٥
الأقاحي	١٨٧
الأقلام	١٣٨
آل سعود	٦٧
آل مبارك	٨٧
امرئ القيس	٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥
الأمة العربية	١٨٢
أنوار	٢٠، ٢٤، ٣٩
الأوراق	١٣٨

الأعلام المبدوءة بكلمة «ابن»

ابن أبي ليلى	 ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣
ابن بركات	 ٣٢٥ ، ٣٢٨
ابن بسام	 ٢٧٤ ، ٢٧٥
ابن الجصاص	 ٢٨٥
ابن آدم	 ١١٤
ابن عتيق	 ٢١٧
ابن قتيبة	 ٢٦٨
ابن المعتز	 ٢٧٤

الأعلام المبدوءة بكلمة «أبو ، أبي ، أبا» وفق ما جاء في متن الكتاب

أبا بشر	٣٢٢
أبو جعفر الشق	٢٤٨ ، ٢٨٥
أبو الحسين	٢٨٨
أبا حفص	٣٢٢
أبي حية النميري [اسمه الهيثم بن الربيع]	٢٦٨ ،
	٢٧١
أبا زيد	٣٢٢
أبو العالية	٢٦٥ ، ٢٦٧
أبي عبدة	٣٢١ ، ٣٢٢
أبو عثمان	٢٤٥
أبو علقمة النحوي	٢٥١ ، ٢٥٢

أبو علي محمد بن الحسن	٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٦٨
أبي عمر القاضي	٢٥٩
أبا عمر	٣٢٢
أبو القاسم القنطري	٢٦٩
أبو القاسم بن محمد التنوخي	٢٨٥
أبو مسلم الكشي	٢٤٤
أبا نصر	٣٢٢
أبو الياقوت الأحمر	٢٥٥

الأعلام المبدوءة «بني أو بنو» وفق ما ورد في متن الكتاب

بنو أمية ٢٣١

بني نهشل ٢٦٨

بني هاشم ٢٦٥

* حرف الباء

بترول (البترول) ٩٠

(بحر، بحار، (البحر) ٥٢، ٥٧، ١٥٥، ١٨٣،

١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٤، ٣١٢

بختيشوع ٢٣٧

بدر (البدر) ١٥٦، ١٥٥

بر (البر) ١٥٥، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧

(بعير، ناقه، جمل، إبل) ١٢٥، ١٣١، ١٣٢،

١٤٥، ١٤٤، ١٣٦، ١٣٥

٢٣٧ (البهارستان)

* حرف التاء

تاريخ (التاريخ) ١٣٧، ٢١٦، ٢٧٣، ٣٣٥،

٣٦١، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٤٥، ٣٤١، ٣٣٦

التعليم ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٢

تلفزيون (التلفزيون) ٩٨، ٩٩

* حرف الثاء

ثريد (الثريد) ١٨٦

ثلج (الثلج) ١٨٦

ثمانين (الثمانين) ١٢٦، ١٢٨

* حرف الجيم

جاحظ (الجاحظ) ٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢،

٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٣٢١، ٣٢٢	
٧٨.....	جامعة القاهرة
٣٥٩.....	جامعة لندن
٣٣٨.....	جامعة الملك سعود
٣٣٦، ٢١.....	الجزيرة العربية
١٤٩، ١٠٥، ٦٢، ٢٠، ١٠.....	الجزيرة (صحيفة)
٢٣٧.....	جعفر الخياط
٢٣٩.....	الجهم بن بدر
١٧٨.....	جنات النعيم
٦٢.....	جواهر بنت عبدالعزيز بن جلوي
٢١٣.....	الجواهر

* حرف الحاء

- الحجاج (حجاج) ٢٥٤ ، ٢٥٣
- الحرمل (حرمل) ١٧٦
- حزام ٢٣٦
- الحسن بن أبي قماش ٢٣٩
- حسن المشاري ٨٦
- حماد بن أبان اللاحقي ٢٤٤
- حمرة ٢٦٤
- حميدان الشاعر ٣٤٩

* حرف الخاء

- خادم الحرمين الشريفين ٦٤ ، ٦٢ ، ٢٧
- خالد ١٨١
- خالد بن عبدالله القسري ٣١٢

٣٣١	خالد بن محمد العنقري
١٩١	الختل
١٦٤	الحَدِين
١٤٣	خراش
٣١١ ، ١٣٥	الخزامى

* حرف الدال

٧٨	دار العلوم (كلية)
٣٠٢	دار الكتب العلمية
٢٤٠	داود الفراش
٣٤٣	ديوان الخدمة المدنية

* حرف الذال

١٨٥	ذئب/ ذئاب
١٧٩ ، ١٤٣ ، ١٣٥ ، ١١٦	ذكریات/ الذكريات

ذهب / الذهب ١٧٤ ، ١٨٥

* حرف الراء

راشد بن خنين ٧٣

الراضي بالله ٢٥٩ ، ٢٦٠

ربيع / الربيع ١٨٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧

رضا حواري ٣٧٢

رمال / رمل ١٨٥ ، ١٨٦

رمضان ١٨٦

الرياح ٥١ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٨٧

رياض / الرياض / روضة ٥ ، ٦ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٩١ ،

١٤٥ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٦٩ ، ٣٢٢

الرياض (صحيفة) ٦٩

* حرف الزاي

زمن (الزمن) ١٥٢، ١٣٥

* حرف السين

سارية ١٣١

سحاب / السحاب ٣١١

سرّاب / السراب ١٨٤، ١٦٣، ١٣٦

سعيد بن سلم ٢٦٦، ٢٦٥

السفلة ١٢٢

السفين ١٨٣

السفينة ٥٦

سِلْب ١٣٤

سلطان بن عبدالعزيز ٣١

سلمان بن عبدالعزيز ٣٤

سليمان الصنيع ٣٣٨
 سماء/ السماء ٣٢٠، ٣١٢، ٢٠٧، ١٨٥
 سمراء ٢٠٩
 السنون ٢١١، ١٣٨، ١٣٢، ١٢٦
 سورية ١٤
 سيف الدولة الحمداني ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨،
 ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦.

* حرف الشين

الشافعي ٢٢٣
 شاكر خصبك ٣٧٠
 شراع ١٨٦، ١٨٤
 الشرح الرائد ٣٢٨، ٣٢٥
 الشرقي بن القطامي ٢١٨، ٢١٧

الشعر العامي ٣٣، ٢٢، ٢١

شقراء ٢٠٩

الشوش ٣٧١، ٣٧٠

* حرف الصاد

الصاروخ ١٣٢

الصَّبَّار ١٧٦

الصحف ٣٤٥، ٣٤٤

الصولي ٢٥٩

* حرف الضاد

الضأن ١٤٥

الضبي ٢٣٣

الضفاف ١٨٨

* حرف الطاء

طفولة (الطفولة) ١٤٦، ١٤٧

طقوس الحداثة (اسم كتاب) ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٧٤

الطيف ١٧٨

* حرف الظاء

الظباء ١٤٣

الظماً ١٧٦، ١٧٧، ١٨٤

* حرف العين

عائشة ٢١٧

عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ٣٢٠

عاتكة ٢٢٦

عالم الكتب ٧٦

العباسيون ٢٣٠

عبدالرحمن الصالح الشبلي ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١

عبدالرحمن المرغلاني ٣٦٩ ، ٣٧٣
عبدالعزیز «الملك» ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٣٣١ ،
٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣

عبدالعزیز الخويطر ٨١ ، ١٠٤ ، ١٤٨ ، ٣٧٤
عبدالعزیز السالم ٣٦٨
عبدالعزیز بن عبدالمحسن التويجري ١٠٥ ،
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،
١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣

عبدالله بن الزبير ١٧٧
عبدالله بن طاهر ٢٣٣

عبدالله الطاهري	٢٤٠
عبدالله بن عبدالصمد	٢٣٨
عبدالله الفوزان	٣٤٩
عبدالله الفيصل (الأمير)	٢٢٣، ٢٢٢
عبدالملك	٢٥٧، ٢٢٩، ٢٢٨
العرفج	١٧٦
العصر الجاهلي	١٣٤
عقد	١٧٢
عكاظ	٦٩
علي بن هارون	٢٧١، ٢٦٨
عمر أبو ريشة	١٨١
عمران بن حطان	٢٦٤

* حرف الغين

غازي القصيبي ٩٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٠،
١٦١، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٩، ١٩٢،
١٩٣، ٢٠٤، ٢١٢

غبار (الغبار) ١٨٦
غدير / غدران ١٨٣
الغيد ٢٠٦، ٢٠٧

* حرف الفاء

فاجعة ١٨٢
الفتح بن خاقان ٢٢١
فند ٣٢٠

* حرف القاف

قرآن كريم ٥

القضاء	٧١
قافلة	١٢٠
القاهرة	٢٢٢
القمر/ الأقمار	١٢٠، ١٣٢، ١٤٥، ١٨٦
قيس	١٦١

* حرف الكاف

كتاب/ الكتاب:	٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١،
	١٩، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٨٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٠٣،
	١١٦، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨،
	٢١٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٢، ٣٢٣، ٣٧٤
الكريم	٢٢٢
كيسان	٣٢١، ٣٢٢

* حرف اللام

الولؤ ٧١

اللغة/ اللغة العربية ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٥١ ، ٥٦ ،

٣٢٩،٣٢٦،١٠٣

* حرف الميم

المأمون ٢٤٧

الماعز ١٤٤، ١٣٥

الملاك ١٦٥

مالك بن طوق ٣١٠، ٣٠٧

مبروك نافع ٧٩، ٧٨

متحف ١٤١

المتنبى ٣٠٣، ٢٩٧، ١٨٩، ١٢١، ١٠٦

المتوكل ٢٣٦، ٢٢١

المجلة العربية ٢١٣، ٩٠، ١٦

محمد بن إبراهيم البواردي ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤،

٢٢٧، ٧٥

محمد بن جبير ٧٣

محمد بن عبداللطيف الملحم ٩٢، ٩١، ٨٢
 محمد بن عبدالوهاب (الإمام) ٨٥
 محمد بن عودة ٢٧٧
 محمود حسن أبو ناجي ٣٢٨، ٣٢٥
 المخطوطات .. ٣٦٦، ٣٦٥، ٣٥٦، ٣٣٦، ٣٣٥
 المدائني ٣١٤، ٢٢٥
 المدينة الفاضلة ١٥٨
 المروج ١٨٤، ١٧٦
 مسيلمة ٢٩٤
 المصادر / مصدر ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥،
 ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠،
 ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٢،
 ٣٦٣.

المطر ٢٩، ٣٧، ١٤٥، ١٨٥

معاوية ٢٢٦

المعتصم ٢٣٦

مغناطيسياً ١٧٥

الملل ٤٩

المملكة العربية السعودية/ السعودية ١٤، ١٩،

٦١، ٦٣، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٤٨،

٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٠

منصور الخريجي ١٠، ١٣، ١٥، ١٦، ١٨

المنصور ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٨٣

الأمواج/ موج البحر ٤٤، ٥٢

الموانئ ٦٤، ٣٣٤

الموت ١٧٩، ١٨١، ١٨٢

ميناء ١٨٤

* حرف النون

نايف بن عبدالعزيز (الأمير) ٣٣

نبيل ١٨٣، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧

نبيه عاقل ٣٧٠

النجوم ٥

النحو ٣٢٩، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥

نصل ١٦٥

نورة العبدالله الشبيلي ٢٠

* حرف الهاء

هارون المخزومي ٢٤٩

هارون الرشيد ٢٦٧، ٢٦٥

هشام بن عبد الملك ٢٥٥

الهيروغليفية ٧٨

* حرف الواو

الواحة ١٨٥ ، ١٨١

الوثائق ٣٤٤ ، ٣٤٠ ، ٣٣٨

الورود ١٨٧ ، ١٧٩

الوطن ١٣٩ ، ١٣٦ ، ٧١ ، ٣٦

وكالات الأنباء ١٠٠ ، ٩٩

ولي العهد ٢٩ ، ٢٨

* حرف الياء

يحيى محمود بن جنيد ٨٦ ، ٨٠

يزيد ٢٢٦

يوسف عز الدين ٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٦٨

يوسف وهبي ١٦٢

ثالثا - فهرس الأماكن

مكة المكرمة ٨٣، ٨٦، ١٠٦
المدينة المنورة ١٤، ٨٣، ١٠٦، ٢٢٥، ٣١٤
٣٢٠

* حرف (أ)

الأحساء ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩،
٩٠، ٩١، ٩٢
الأرض ٧٧، ٢٣٨
الإسطنبول ٢٣٦
الأسواق ٢٩١
إنجلترا ٣٦٨
إيران ٨٩
إيرلند ٣٧٠

* حرف (ب)

البادية	 ٣٠٧، ٣٠٦
البرية	 ٣٠٨
البصرة	 ٢٩٣، ٢٤٥
بغداد	 ٢٩٨، ١٠٦
بلاد الروم	 ٢٣٦
بيداء	 ١٢٥

* حرف (ت)

تلا	 ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥
التنور	 ٢٣٨
توتنهام كورت رود	 ٣٧٠

* حرف (ح)

حقل ١٢٧

حمام ٢٣٩

* حرف (خ)

الخيام ١٢٠، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٤

* حرف (د)

دار الوثائق القومية في القاهرة ٣٣٨

دمشق ١٠٦

الدهلز ٣١٧

* حرف (ر)

روض ٢٣٢

* حرف (س)

ساباط ٢٥٤

* حرف (ش)

الشام ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١

* حرف (ص)

الصحراء/ الصحاري ٢٧، ٥٢، ١١٤، ١١٩،
١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨،
١٤٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٣١١

* حرف (ض)

الضيعة ٣١٧

* حرف (ط)

الطائف ٧٤
الطريق ١٧، ٨٩، ١٢٨، ١٣١، ١٣٣، ١٤٤،
١٧١، ١٧٥، ١٩١، ٣٥١

* حرف (ع)

العراق ٢٣١، ٢٢٧، ٨٩

العقير ٨٩

* حرف (ف)

الفسطاط ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٤٠

* حرف (ق)

قبر/ قبور ١٧٢

القرية ١٢١، ١١٧

القناطر ٢٢٢

* حرف (ك)

كنز نجتون هاي ستريت ٣٧٠

الكويت ٣٤٠

* حرف (م)

المسجد ٣١٩، ١٣١، ١٣٠

مصر ٧٨، ٢٢٤، ٢٨٥، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٠،
٣٧٢

المطبات ١٨

مطبخ ٢٤٠

مفحص ١٧

الميدان ٣٣٢

* حرف (ن)

نجد ١٢١، ٨٩، ٨٨

نوتنج هل جيت ٣٧٠

* حرف (هـ)

الهند ۱۸۹

هورلبورن ۳۷۰

رابعاً - فهرس الشعر

الصفحة

القافية

* الهمزة

- سلي المرافئ عني .. إنني رجل
أضنى المرافئ .. إبحاراً .. وإرساء ١٩٩
أرسلتك السماء للأرض ظلاً
من حنان .. أخنت عهد السماء ٢٠٨
أنت ما حيرتني وحدي أنا
أنت حيرت جميع الشعراء ٢٠٧
وكان الحلم ثم أفقت منه
وقد ضمت يداي على الهواء ١٦٥

* الألف *

لم تكـونـي في خـيالـي امـرأة

١٦٢ كنت فجرا باسم النور .. دنا

٥١ كل ما خـلي قـسا قـلبي نـسا

* الباء *

فـقـدـتـك يـا قـذـاةً في شـراب

٢٧٦ دخلت من الدناءة كل باب

أودع أحبابي بظاهر أدمعي

٢٠٤ وأكتب بالدمع الذي لا يرى الكتب

كيف أبكيك والبكاء حرام

١٧٨ حين تهوي غب النضال الحراب

أنا بين القبور ألم عمري

١٧٣ وأنت ذبالة خلف الضباب

ما سرت من ظمأ إلا إلى قلقي

٢١١ كأن كل حنان الأرض قد نضبا

وتبقى قوافي الحب إذ يعث البلى

١٦١ بمن علقوا قيساً على آلة الصلب

نبكي إذا شئت .. نشدو حين تأمرنا

١٧٦ ففيك وحدك، كان الهم والطرب

وتنهش .. تنهش فينا الكلاب

٢٠٥ ونقنع أننا هجونا الكلاب

تريدين طعم حنني إليك

١٧٢ إذا لامسي بيديك اللهب

شوقي إليك .. كأنه

شوق السؤال إلى الجواب ٢١٠

* التاء *

كان ملء البر والبحر أخي

ومضى .. لم تبق إلا الذكريات ١٨٠

«أشهد أن المفارق، يا المشاوف، كيف

خص إلى ثارت أشواق لها ما هقيت» ٥٦

* الحاء *

أطالع في الوجوه فلا تريني

سوى رقص السراب على البطاح ١٦٥

كلمة حنان منك ترضي غروري

تبحر بي بحر السعادة والأفراح ٥٨

* الدال

يا ثقيلاً على القلوب إذا عـ

٢٧٥ نّ لها أيقنت بطول الجهاد

من جرب الحب لم يقدر على حسد

١٦٨ من عانق الحق .. لم يحقد على أحد

أخفيت عن كل العيون مواجعي

١٥٧ فأنا الشقي على السعادة أحسد

أشدو فأطرب بالغناء .. وربما

١٩١ صدح الهزار .. وقلبه يتفصد

أيا ابنة كل اخضرار المروج

١٧٧ أنا ابن الجفاف .. وما استولدا

وأنا العليل .. أحس أدواء الورى

١٦٩ وأنا المرقط بالجراح .. أضمد

تبارك الله شعشت منك الأنوار

٣٨ أشرق سنا نورك على كل موجود

يحفظكم الله من تصاريق الأقدار

٣٩ جعل الهنا دوم وفرحتكم تزود

أهدي سلامي والتحية لنايف

٣٣ شيخ حكيم نال كل الفرايد

يا ويل من ينوي الردى والنكايف

٣٤ من رادع الطاغين وأهل المكاييد

أيها الطفل تنبهه! فاهوى

٢٠٩ عالم مر .. وشكوى .. وقيود

* الراء

بعض الظروف اللي تمربحياتي

٤٠، ٢٥ تهز وجداني وتشعل به أنوار

واقبل علي، لقياك يجمع شتاتي

٤٠ ويزرع صحاري دنيتي عشب وازهار

ما الشيب أن تفقد الألوان نضرتها

١٩٥ الشيب أن يسقط الإنسان منحدرا

٤٥ «وشفت غيم السعادة في سماي انتشر»

أيـشعر بالجوع من روحه

١٧٠ مناجم للذهب الأصفر؟

وإن سهرت مقلّة في الظلام

١٩٤، ١٥٩ رأيت المروءة أن أسهرها

يا حبيبي عن هواكم مستخير

٥٥

ما لقيت من الهوى غير القهر

تعلمت منك صدام الخطوب

٢١٣

فكيف تراني جناحاً كسيراً

حياتنا من فضل ربي تساهيل

٣٧

وقلوبنا بيض بها الطيب مشهور

* السين

يا أغلى الغوالي، يا عطر ورد يفوح

٢٦

حباك حياة، وتاج يزها به الراس

* العين

٥٠ «البعد لاهب، ويتواقد بالأضلاع»

مررت بهذي الأرض حلما مسافراً

١٧٩ وخلفتها.. أندى.. وأحلى.. وأبدعا

٦٠ «تقواني الذكري، وتغلبني دموع»

قومي! افتحي الباب! إن لم تفتحيه.. غدا

١٦٤ يدقه شبحي الباكي.. فينخلع

* القاف

المجد ألا يضم الليل جائعة

٢٠٥ المجد ألا تغطّي طفلة خرق

آه لويـدري شراع مبـحر

١٧٢ في المنى.. ما طاف في بال الغريق

وإني لـذو حلف كاذب

٢٦٠ إذا ما اضطررت وفي الأمر ضيق

رحمة الله عليه إنه

١٩٦ مات .. هل عاش الذي خان الرفيقا

* الكاف *

٥٨

«إلى متى والحزن يرسم ظلالك»

أنا وحدي شاعر المجد الذي

١٨٩

يتمناه خيال في خيالك

* اللام *

نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا

١٢١

وكذا الدنيا نزول وارتحال

كأنني لم أركب جواداً للذة

ولم أتبطّن كاعبادات خلخال ٢٢٩، ٣٠٠، ٣٠٥

أشكو إليك حسان الأرض قاطبة

عشقتهن .. فكان العشق ما قتلا ٢٠٦

لا تسألي عن معاناة تمزقني

أنا اخترعت الظما .. والسهد .. والمملا ١٦٣

وأصدق الشعر بيت فرّ من شفتي

وضل عن درب قرطاسي .. فلم يصل ١٩٢

يا بيت عاتكة الذي أتعزّل

حذر العداء وبه الفؤاد موكل ٢٢٧

أسندي الرأس .. فوق .. صدري .. وابكي

١٨٩ رب دمع يزري بشعر الفحول

اترك الجرح لحظة .. يتكلم

١٩٧ رب جرح يطيب حين يقول

بإبحار القريض! ما عز بحر

٢٠٥ لم يصنه من العدا أسطول

إذا ما المواشط باكرنـا

٢٢٩ وأتبعن بالظفر وحفاً طويلاً

* الميم

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

٣٠٤ وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهونائم ٣٠٤، ٣٠٦

بدا حين أترى بإخوانه

فقلل فيهم شبابة العدم ٢٤٦

طيفاً قدمت .. كأنه حلم الصبا

ينساب في قلب المشيب المعتم ١٥٣

أريده لبني الإنسان .. يحضنهم

أبا يوزع في أطفاله النعما ١٦٠

حسبت الموت لما جاء ضيفا

أتاك .. يؤم مضيافاً كريما ١٨١

ليت الشباب بعمر الحب .. يا امرأة

١٩٨ ما زال حبي لها طفلاً .. وما فطما

شمري كحسبك .. لا يخبوشابهما

١٩١ لم تشك ليلى ولا مجنونها هرما

وهنا عمري .. ثملات صبا

١٧٨ وظما قفر .. وأشباح جحيم

وأزعم أنك أحلى النساء

٢٠١ وأمضي أصدق ما أزعم

الشعر قفز لحظة

١٩٠ من الحياة في نغم

أأحببني؟ أم كان ما كان نزوة

٢٠٨ وللغير أحوال .. وللطيش موسم

* النون

قلتم: «خianat» .. وهل بينكم

١٥٥ إلا الذي أبرم عهداً .. وخان؟

«الله يسهل لك، وكل خير تشوف

٥٧ حيل الله أقوى، باعنا من شرانا»

وجربت الأنعام .. فكان أقسى

١٦٥ من الأعداء .. إعراض الخدين

ويرعيني المصير .. ورب حتف

١٦٧ يروع .. وفيه تحرير السجين

خير شعر ما قيل والقلب طفل

١٩١ خير حب مامات وهو جنين

* الهاء أو التاء المربوطة أو هاء الضمير

«يا الله عسى كل النوايب تعداه

٢٩

الي سما بالفعل، والطيب حاشه

«ما والله أحصي بالقصايد مزاياه

٣٠

جمائله كثر المطر مع رشاشه

سلام يا شيخ شجاع ومهيب

٣١

ليث بهامات المعالي مقامه

بطبع الكرم والجود مولاي موهوب

٣٢

سلطان، سلطان الوفا والكرامه

جوهرة يفرح الكرام بها

١٢٢

وغصه لا تستسيغها السَّفَلَة

إذا أعطاك غيري عقد ماس

١٥٤ منحتك من عيون الشعر درة

إذا ضحكتُ سمعتُ اللحن يشدو

١٧٠ وإن غضبتُ سمعتُ زئير نمرة

تخبئني أنت .. في الكلمات

١٩٩ مجازاً يخاف دخول الحقيقة

لا تعجبي! قلبي فراش الهوى

٢٠٢ يقفز للنار، وفيها رداه

«درع الرياض الله بفضله يزيده

٣٥ عز وسعادة مع حياة هنية»

عمر مضى لي قبل شوفك حسوفه

٤٧ معك يتسامى كل ود خبرته

أما الخيام فإنها كخيامهم

١٢١ وأرى نساء الحي غير نساءها

كل دمع سال في الليل على

١٦١ وجنة .. يترك أجفاني ندية

«زرعت في قلبي من الحب آهات

٤١ وهتان عطفك بالموده سقاها»

أضحك مع الي ضحك والهم طاويني

١٩١ طوية شنون الطَّرَق وإن قطّروا ماها

تلك القصاصات التي مزقت

٢٠٧ أثن من من فتنك الفانية

وأنزلني النّوى دار غربّة

٢٢٥ إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكلة

وما زلت أخشى الفقر حتى تعلق

٣٠٩ يداي بمن لا يتقي الدهر صاحبه

ما رأينا الغراب مثلاً

٣٢٢ إذ بعثناه يجي بالمشعلة

* الياء - ياء الضمير

٥٣ «وبامشي لراعي الطيب لو ما مشى لي»

٥٤ «نادتني أفراح الزمن، قلت سمي»

ويا ملاكاً.. ظننت الرفق بسمته

١٦٦ انظر لنصلك المزروع في كبدي

من ظلامي العميق أهديم النور

١٦٨ ولحني أصوغه من بكائي

يأخذ الموت كل شيء .. ويعيا

١٧٩ بالغوالي .. من ذكرياتي الغوالي

امتلاً الحوض وقال: قطني

٣٧٢، ١٨٥ مهلاً رويداً قد ملأتُ بطني

لا تخدعنك أبيات أنمقها

١٩٢ فإن زخرفة الأشعار من حيلي

آهات كل الناس تسكن خافقي

١٩٤ وعذاب كل الناس يؤنس أعظمي

أرهقتُ من حمل الحروف .. فحدثي

١٩٧ بالحب أعماقي .. ولا تتكلمي

* **

نبذة عن المؤلف

- ولد عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.
- جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.
- حاصل على الليسانس من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م).
- حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م).
- عُيِّن في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود.
- عُيِّن وكيلاً للجامعة عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) حتى عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م).
- درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية

الآداب.

- انتقل من الجامعة رئيساً لـديوان المراقبة مدة عامين تقريباً. ثم وزيراً للصحة مدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للمعارف مدة واحد وعشرين عاماً.
- عُيِّن في ١٤١٦ هـ (١٩٩٥ م) وزير دولة وعضو في مجلس الوزراء.

كتب صدرت للمؤلف

- نشر عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) كتاب «الشيخ أحمد المنقور في التاريخ».
- ألّف عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) كتاب: «عثمان بن بشر».
- ألّف عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) كتيب: «في طرق البحث».
- طبع في عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغتين العربية والإنجليزية.
- حقق عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) كتاب: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره.
- حقق كتاب: «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ

(١٩٧٦م).

- من حطب الليل: الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ
(١٩٧٨م)، والثالثة، عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م).
- أَلْف عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م كتاب: «قراءة في ديوان محمد بن عبدالله بن عثيمين.
- أَلْف بين عامي ١٤٠٩هـ و١٤١٤هـ (١٩٨٨م
و١٩٩٣م كتاب: «أي بُني» في خمسة أجزاء.
- أَلْف منذ عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) كتاب: «إطالة على التراث» سبعة عشر جزءاً.
- أَلْف عام ١٤١٨هـ (١٩٩٧م) كتاب: «يوم وملك».
- أَلْف منذ عام ١٤١٩هـ وحتى ١٤٢٧هـ (١٩٩٨-٢٠٠٢م) ثلاثة أجزاء من كتاب: «ملء السلة في ثمرة المجلة».

- أَلْف عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م حديث الركبتين.
- أَلْف عام ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م) كتاب لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية.
- أَلْف عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م) كتاب: «دمعة حرّى».
- أَلْف عام ١٤٢٦هـ / ١٤٢٧هـ (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م)، ستة أجزاء من كتاب: «وسم على أديم الزمن - لمحات من الذكريات».
- أَلْف «بعد القول قول»: عام ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م).

نبذة عن المؤلف

- * ولد عام ١٣٤٤هـ في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.
- * جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.
- * حصل على الليسانس من دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١م.
- * حصل على الدكتوراة في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ.
- * عُيِّن في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود.
- * عُيِّن وكيلاً للجامعة عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٩١هـ.
- * درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب.
- * انتقل من الجامعة رئيساً لديوان المراقبة لمدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للصحة لمدة عامين تقريباً، ثم وزيراً للمعارف لمدة ٢١ عاماً.
- * عُيِّن في عام ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء.

كتب صدرت للمؤلف

- * نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب: «الشيخ أحمد المنقور في التاريخ».
- * أَلَّف عام ١٣٩٠هـ كتاب: «عثمان بن بشر».
- * أَلَّف عام ١٣٩٥هـ كتيب: «في طرق البحث».
- * طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغتين العربية والإنجليزية.
- * حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره.
- * حقق كتاب: «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ.
- * من حطب الليل: الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ، والثالثة عام ١٤٢٥هـ.
- * أَلَّف عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م كتاب: «قراءة في ديوان محمد بن عبدالله ابن عثيمين».
- * أَلَّف بين عامي ١٤٠٩ و ١٤١٤هـ كتاب: «أي بُني» في خمسة أجزاء.
- * أَلَّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب: «إطلالة على التراث» سبعة عشر جزءاً.
- * أَلَّف عام ١٤١٨هـ كتاب: «يوم وملك».
- * أَلَّف منذ عام ١٤١٩هـ وحتى ١٤٢٧هـ ثلاثة أجزاء من كتاب: «ملء السلة من ثمر المجلة».
- * أَلَّف عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠١م حديث الركبتين.
- * أَلَّف عام ١٤٢٤هـ كتاب: «لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية».
- * أَلَّف عامي ١٤٢٥/ ١٤٢٨هـ جزأين من كتاب: «دمعة حرى».
- * أَلَّف عامي ١٤٢٦/ ١٤٢٨هـ سبعة أجزاء من كتاب: «وسم على أديم الزمن - لمحات من الذكريات».

رَصْدٌ

رصد لسياحة الفكر

هذا كتاب يسجل دراسات لي قمت
بها لبعض الكتب التي صدرت في
المملكة العربية السعودية، وهذه
الدراسات إما مقدمات لكتب قبل
طبعها، أو نظرات في كتب طُبعت
وظهرت، وقرأتها وأعجبني ما
فيها، ورأيت فيه فائدة للقراء،
فأبدت لهم رأيي، علهم يجدون
الوقت ليتمتعوا مثلما تمتعت.

ردمك : ٨ - ٧١٦ - ٥٦ - ٩٩٦٠

مطبعة أسفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م